سلسلة المائة كتاب

نايجل ويست

خيط الخداع

أساطير التجسس للحرب العالمية الثانية

ترجمة نمير عباس مظفر

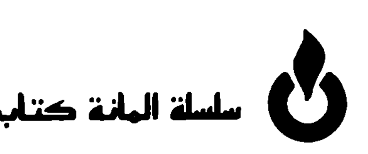
مراجعة : اللواء الركن علاء الدين مكي خماس



دار الشؤون الثقافية العامة

وزارة الثقافة والاعلام

العراق ـ بغداد ـ اعظمية ص.ب ٤٠٣٢ ـ تلكس ٢١٤١٣ ـ هـ ـ ٤٤٣٦٠٤٤



تصدر عن
دار الشؤون الثقافية العامة

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
الدكتور محسن جاسم الموسوي

تعنون كافة المراسلات
لرئيس مجلس ادارة دار الشؤون الثقافية العامة

العنوان
أعظمية - ص ب ٢٠٣٢ ، تلكس ٢١٤١٣٥
العنوان البرقي: آفاق تلفون - ٤٤٣٦٠٤٤
بغداد - العراق



اساطير التجسس للحرب العالمية الثانية

تأليف: نايجل ويست

ترجمة نمير عباس مظفر

مراجعة: اللواء علاء الدين مكي خماس

الطبعة الاولى بغداد ـ ١٩٨٦.

المحتويات

«لقد آن الاوان لفضح زيف المتاجرة بقصص التجسس. فمنذ ان وضعت الحرب اوزارها، ظهرت المئات من الكتب التي تناولت موضوع الخدمات السرية ان ما يعادل واحد بالمائة فقط من هذه الكتب يمكن اعتباره دقيقاً تماماً، وهناك نسبة اكبر اعتمدت على الحقائق. الا أن القسم الاكبر من هذه الكتب لم تكن سوى قصص خيال محض في الوقت الذي تدعي فيه الحقيقة.»

بيرنارد نيومان: في كتاب «الجاسوس»

Bernard Newman: (Spy)

«ان حجم المعلومات المضللة التي وجدت طريقها الى (النشر) ثم ارتفعت من بعد فاصبحت تأريخاً لامر مروع حقاً

دافيدسي. مارتن: «تيه المرايا»

David.c Martin: Wilderness of Mirrors

يكتنف الغموض عالم الاستخبارات الخفي. فطبيعة التجسس بحد ذاتها تجعل من هذا العالم موضوعاً شائكاً يصعب على الباحث سبر اغواره. وفي اغلب الاحيان يكاد يكون التوصل الى اثبات وقائع حدث معين امراً مستحيلاً. ففي الازمنة الصعبة تقتضي الضرورة حجب العمليات الاستخبارية بغطاء اضافي من السرية يساهم بدوره في اشاعة جو من الارباك والخداع. وكلما انصرفت الجهود الى تأليف الكتب التي تتناول الاحداث المشهورة (او سيئة الشهرة منها) تجد الاخطاء طريقها اليها فيصبح التأريخ نتيجة ذلك محرفاً. وإزاء التحفظ الرسمي بصدد اعطاء الصورة الصحيحة للوقائع، يميل المؤلفون الى الاعتماد على نصوص بعضهم البعض الآخر فيضاعفون بذلك حجم. الاخطاء السابقة.

وتكتسب هذه الاخطاء احياناً اهميتها الخاصة، سيما اذا ما ارتبطت باحداث ذات شأن. وقد يساهم العشرات، ولربما المئات، من الناس في انجاح عملية ما. إلا انهم بالتأكيد لا يجمعون على استذكار جانب معين منها بل يستذكر كل منهم جانباً مختلفاً. وبانعدام الرأي الرسمي فان تكرار رأي شديد الانحياز والمغالاة فيه يؤديان الى تبديل احداث القصة الاصلية. فمن هو يا ترى صاحب الرأي الصحيح؟ وماذا حدث بالضبط؟

كان لحرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨ العظمى نصيبها مما يمكن تسميته «باساطير الجاسوسية». فنجد مثلاً ان هنالك ستة كتب وثلاثة افلام روائية ومسرحية استعراضية تدور احداثها جميعاً حول شخصية (ماتا هاري) matahari ـ تلك الامرأة التي يمكنها بكل بساطة ان تطالب بلقب اشهر من احترف التجسس في القرن العشرين. وقد ايد معظم الناس ما ادعته لنفسها من انها كانت راقصة معبد هندوسي منحدرة من أصل اوراسي (اوربي ـ آسيوي) هجين. إلا ان (مارجريت ماكلاود) marguerite Macleod ـ وهذا اسم (ماتاهاري) الحقيقي ـ لم تكن في الواقع اي شئ من هذا القبيل، بل انها كانت زوجة عسكري هولندي اخذ الضجر وخيبة الامل منها مأخذاً عظيماً فشاءت ان تختلق لنفسها ماضياً مزيفاً. وان صح ما ورد في بعض التقارير المعاصرة عنها فانها لم تكن حتى ذات شكل جذاب. وفي كل الاحوال فان شهادة ميلادها المؤرخة في ١٨٧٦/٨/٧ تثبت بانها كانت قد تجاوزت الاربعين من عمرها عندما تم اعدامها في باريس عام ١٩١٧.

كذلك يرى الكثير من الناس بان المرضة (إيدث كافيل) Edith Cavell كانت جاسوسة بريطانية. وقد اشار المؤرخ المشهور (إم. آر. دي فوت) M. R. D. Foot الى «الجانب السري من عمل المرضة (كافيل) الذي حدده بالعمالة لحساب الاستخبارات

(البريطانية)[1].

فيقول: «من المؤكد انها اعدمت من قبل الألمان في تشرين الاول من عام ١٩١٥ بسبب الخيانة في زمن الحرب وذلك من خلال قيامها بتأمين وصول المجندين الى العدو»، إلا ان تهمة التجسس لم توجه لها قط. وقد وجدت وجهة النظر الألمانية هذه بالاساس تأكيداً حتى من لدن (هنري لانداو) Henry Landau، احد ضباط خدمات الاستخبارات السرية (البريطانية) السابقين الذي أوعز له بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى بالتحري عن خلفية موضوع إلقاء القبض على الانسة (كافيل) واعدامها. وقد استنتج (لانداو) بان المرضة هذه لم تكن جاسوسة ابداً بالرغم من ان منظمتها، المكلفة بتأمين هروب الاسرى، قد ساعدت الكثير من جنود الحلفاء على الوصول الى خطوطهم. ثم يستطرد ليقول:

«اني على يقين جازم بان الانسة (كافيل) والبارزين من اعضاء منظمتها لم يمارسوا التجسس.[2]»

يهدف هذا الكتاب الى دراسة تفاصيل تلك الاساطير الاخبارية الاكثر رواجاً، كما يهدف في نفس الوقت، الى تعقب اصولها ومصادرها. فهل تم لـ (ونستون تشرشل) حقاً، مثلاً، استلام انذار مسبق من (بليتشلي) عن الغارة الجوية التي نفذتها القوة الجوية الالمانية (اللوفتوافا) على مدينة (كوفنتري) البريطانية؟ وهل تعمد الرئيس الامريكي (روزفلت) كتمان معلومات هامة تتعلق بالهجوم الياباني على ميناء (پرل هاربر) الامريكي؟ وهل تم جر سلاح الجو الملكي البريطاني الى كمين جوي في سماء مدينة (نيورنبورغ) الالمانية؟

في سنوات ما بعد الحرب، كتب عن هذه المواضيع المثيرة للجدل العديد من الكتب التي يناقض البعض منها الآخر بصورة قطعية. وهنا لابد ان نتساءل: من منهم على صواب؟ ومن الذي ثبت بانه الاكثر امانة؟ ولماذا يُفضل راي مراقب معين على رأي غيره؟ وهل يمكن لملاحظات احد المشاركين فعلاً (في العمليات السرية) أن تحظى بتقييم اعلى من رأي يتوصل اليه مؤرخ بعد عدة عقود نتيجة قيامه بدراسة المصادر وتمحيص السجلات؟

تحاط العمليات الاستخبارية في الازمنة الصعبة دائماً بغطاء من السرية وفي بعض الاحيان لا يؤذنون ابداً بنشر محتويات الملفات المتعلقة بالمواضيع المطلوبة لكي يطلع عليها الجمهور. ولكن بالرغم من ذلك فقد شهدت السنوات الاخيرة زيادة في حجم الوثائق

السرية التي تم رفع الحظر عنها والتي وجدت طريقها الى الجمهور ففي عام ١٩٧٧ مثلاً رفع الحظر عن أول دفعه من نصوص (ألترا) التي وجدت طريقها الى دائرة السجلات العامة بعد ان تم حل رموزها. وقد قام المؤرخون نتيجة ذلك باعادة النظر بما سبق لهم تثبيته من أحكام.

وقد رفع غطاء السرية بدرجة اكبر عندما تم نشر المجلد الاول من التاريخ الرسمي للاستخبارات البريطانية ابان الحرب العالمية الثانية. وقد حظي فريق الابحاث التابع للاستاذ (هنسلي) بامتياز لم يسبق له مثيل عندما أذن له الاطلاع على سجلات مختلف المنظمات السرية الامر الذي تم من خلاله تسليط الاضواء على جانب مظلم من التأريخ عُرف بغموضه التقليدي ولربما وجد عدد من ضباط الاستخبارات المتقاعدين في هذا تسامحاً مما حثهم على الخروج من صمتهم ليمدوا يد العون الى الذين انصرفوا الى سبر اغوار المواضيع التي كان قد حرم عليهم الخوض فيها سابقاً.

واذا ما تم تحليل ما تحتويه المجلدات الثلاثة المتداولة حالياً من التأريخ الرسمي (للاستخبارات البريطانية) من معلومات موثقة. واذا ما تم إقناع اشخاص معينين للخروج من صمتهم والبوح بما لديهم من اسرار، يمكن عندئذ اكتساب رؤية جديدة وذلك في ما يتعلق بتفاصيل عدد من العمليات السرية المعينة. ومن الجدير بالذكر ان ما عُرف سابقاً عن تفاصيل هذه العمليات ـ امثال الغارة المشؤومة التي شُنت على ميناء (دييپ) ـ كان مبنياً على الحدس والتخمين والادراك المتأخر.

اما القصص اللاحقة فانها تتعلق بنشاطات اكثر الجواسيس تعقيداً ونقصد بذلك العملاء المزدوجين. وقد زُعم بان العملاء المزدوجين الذين عملوا لصالح الحلفاء، لعبوا ادواراً حاسمة لا في عملية (ماركت جاردن) في (آرنيم) فحسب بل كذلك في النجاح الذي حققته نشاطات حلقة (لوسي) الشهيرة في سويسرا وفي الكشف عن هوية الجاسوس الالماني المعروف باسم (سيسيرو). ويعمد العملاء المزدوجون هؤلاء، كما يعمد المسؤولون عن نشاطاتهم من ضباط الاستخبارات، الى نسج خيوط معقدة من الغش والخداع حول انفسهم وادوارهم بحيث يصبح الانصراف الى ترجمة اسمائهم المجفرة الى صيغها الحقيقية امراً بحد ذاته مثبطاً للعزيمة لشدة تعقيده.

وكمثال توضيحي، دعنا نأخذ هويتي عميلين مزدوجين من بين المشهورين من عملاء منظومة الخدمات الأمنية البريطانية الـ (ام آي ٥) وهما المعروفان باسميهما المجفرين (مت) و (جيف). كان هذان الجاسوسان قد جندا للعمل لحساب الالمان في

النرويج وقد أرسلا في مهمة سرية ال (سكوتلنده) وذلك في شهر آذار من عام ١٩٤١. وبعد فترة قصيرة من وصولهما الى مدينة (بانفشاير) تم إلقاء القبض عليهما، إلا انهما سرعان ما انصرفا، كعميلين مزدوجين، للعمل بكل رغبة وحماس وبدءا ببث رسائل مضللة الى مسؤوليهما في مكتب الاستخبارات العسكرية الالمانية (الآبفير). وقد استمرا على هذا المنوال حتى شهر شباط من عام ١٩٤٤. فماذا كان اسماهما الحقيقيان؟ وماذا حل بهما بعد انتهاء الحرب؟ لقد ادعى احد المؤلفين بانه على بينة من بواطن الامور. ولكن في عام ١٩٧٧ قال المؤرخ الأمريكي (لادسلاس فاراجو) بانه قد عثر عن طريق الصدفة على ثمانمائة صندوق اصفر من صناديق المايكروفيلم التي ضمت المجموعة الكاملة (لاراشيف) مكتب الاستخبارات العسكرية الالمانية (الآبفير). وقد اخبرني (فاراجو) عند زيارتي له في نيويورك بان هذه الصناديق التي كانت قد وضعت بحوزة مكتب (الأراشيف) القومية الامريكية منذ نهاية الحرب قد بقيت في وضعها المغلق دون ان يمسها احد وبانها مليئة بالاسرار ذات الطابع الاستثنائي بما في ذلك السجلات التي كشفت عن هويتي الجاسوسين (مت) و (جيف).

ويقول (فاراجو) في كتابه «لعبة الثعالب» عن الجاسوسين المذكورين بانهما «عمدا الى اتخاذ عدد من الاسماء المستعارة والارقام ولكننا نعلم اليوم بان اسميهما الحقيقيين كانا (اولاف كلاوسين) و (جاك بيرج)»[٣]

حاولت اقتفاء اثر كل من (كلاوسين) و (بيرج) دون جدوى ولكنني اكتشفت عوضاً عنهما كتاباً كان قد كتب عام ١٩٥٨ واستندت محتوياته على «يوميات الجنرال (ابرفين لاهاوزن) الخاصة بالعمليات السرية اثناء الحرب». وقد اكد كل من المؤلفين (تشارلس وجتون) و (غونتر بيس) بان الجنرال (لاهاوزن) هذا كان رئيساً للقسم المسؤول عن العمليات التخريبية في مكتب الاستخبارات العسكرية الالمانية. لقد حدد هذا الكتاب الاسم الحقيقي لكل من (مّت) و (جيف):

«كان (جاك بيرج) حلاقاً في منتصف العشرينات من العمر اما (اولاف كلاوسن) فكان عريفاً سابقاً في الجيش النرويجي ويقارب صديقه في السن.»[٤]

اتضح في بادئ الامر ان ادلة (لاهاوزن) قد اكدت ما اكتشفه (فاراجو) من (الأراشيف) السرية لمكتب الاستخبارات العسكرية الالمانية. فهل استطاعت ان تؤكد ذلك حقاً؟ لقد ورد اسما العميلين النرويجيين في كتاب عثرت عليه مباشرة بعد اكتشافي الاول وكان بعنوان «اسرار يوم الغزو الحليف على نورماندي.» وقد حاز هذا الكتاب،

الذي الفه (جاك پيرول) تحت اسمه المستعار (جيلبه پيرو) على «جائزة المقاومة» لعام ١٩٦٤. يدعي هذا الكاتب، استناداً الى ما جاء في تقرير لمكتب الاستخبارات العسكرية الالمانية، بأن

«القوة الجوية الالمانية كانت قد قصفت
مدينتين في (سكوتلنده) كأجراء تضليلي
في الوقت الذي تم فيه انزال الوقود والمفرقعات
وذلك بتأريخ ١٩٤٣/٢/٢٠. وكانت الخسائر
في الأرواح بين المدنيين بالغة جداً. وقد
أخبر الجاسوسان النرويجيان مسبقاً بامر هذه
الغارة التي كان قد تقرر القيام بها على المدن القريبة
من منطقة انزال المواد المراد ايصالها. فهل
تعمد البريطانيون التضحية بارواح الآلاف من
الاطفال والنساء لمجرد الرغبة في اقناع العدو بان
العميلين كانا لا يزالان يعملان بحرية»[٤]

لقد تمكنت، بفضل العون الكبير الذي حظيت به بشكل غير رسمي من لدن المصادر الاستخبارية، من الاهتداء الى (جيف) في النرويج حيث استقر تحت اسمه الحقيقي (تورجلاد). تم لقاؤنا في العاصمة (اوسلو). وقد قام بدوره مشكوراً بتدبير لقائي مع شريكه السابق (جون مو) الذي كان يعرف سابقاً باسم (مّت) والذي كان يسكن آنذاك قرب مدينة (مالمو) السويدية. وكم كانت دهشتي عظيمة عندما علمت بانهما لم يكونا على بينة بالمرة من امر كتاب (فاراجو). وعندما لمست ما اعتراهما من عجب نتيجة ما علماه من امر (كلاوسين) و (بيرج). وبعد ان اعاد كل منهما سرد وقائع تجاربه وممارساته ادركت السبب الذي ادى الى قصف مدينة (فرايزربورو).

لقد تم في ذلك الوقت وضع خطة حربية عرفت باسم عملية (أوت ميِّل)، وكان الهدف منها اقناع مسؤولي (جيف) و (مّت) الالمان على القيام بتزويد العميلين المذكورين بمزيد من المعدات والتجهيزات عن طريق الجو. وقد تطلب تنفيذ الخطة قيام احدى طائرات سلاح الجو الالماني بانزال صندوق معدني يحتوي على المال وكذلك على جهاز ارسال لاسلكي في منطقة تقع على الساحل الشرقي من (سكوتلنده).

في بادئ الامر تم تنفيذ العملية بصورة جيدة جداً؛ وبالفعل فقد استطاع (مُت) ومرافقه، الذي كان أحد افراد الـ (أم. آي ـ ٥ ـ) من العثور على الصندوق وجلبه. ولكن مما يؤسف له ان الطيار الالماني قرر، على نحو فجائي، ان ينهي مهمته في تلك الليلة بقصف مدينة (فريزر بورو) القريبة، وهي ميناء لصيد الاسماك. وقد قتل من جراء هذه الغارة صبي في الحادية عشرة من عمره مما أحزن (جون مو)، اي (مُت) كثيراً. وقد قام هذا في وقت لاحق ببث رسالة الى مسؤوليه الألمان احتج فيها على ما قام به سلاح الجو الالماني وادعى في ذات الوقت بان الغارة قد تسببت في إثارة حالة من الفوضىٰ ادت الى ازدياد نشاطات الشرطة مما عرض مهمته للخطر وحال دون تركه المنطقة الامر الذي اضطرهُ لقضاء ليلتين مرهقتين في العراء. وقد اعتذر مكتب الاستخبارات العسكرية الالمانية بدوره عما حصل وتعهد بمنع سلاح الجو من تكرار هذا الاجراء. وهذا ما تم فعلاً اذ جاء تكرار تنفيذ عملية (اوت ميل) في المناسبة التالية دون ان تكون مصحوبة بغارة جوية اخرى. وقد وجه (مو). أي (مُت)، كذلك رسالة تعزية الى عمدة مدينة (فرايزربورو) عبر فيها عن اسفه لما حدث.

خلال فترة الحرب، كان هنالك العديد من المناسبات الاخرى التي مكنت الاسطورة التجسسية من التأمل والنمو ثم الازدهار بعد ذلك في كتب التأريخ ذات الطابع الجاد. وما قضية (دوروثي اوجاردي) إلا مثال حيٌ على ذلك.

تسكن (دوروثي اوجاردي) حالياً في مدينة (سانداون) احدى مدن (جزيرة وايت) الساحلية، لكن في عام ١٩٤١ القي القبض عليها بتهمة التجسس بعد ان شوهدت وهي تتصرف بطريقة تثير الشبهات قرب معسكر للجيش. لقد اعترفت بالتجسس لحساب الالمان تمت محاكمتها في (محكمة ونشستر الدورية). إلا انها لم تتراجع عن اعترافها وتقر بانه كان محض اختلاق إلا بعد أن ادانتها المحكمة واصدر الحاكم المختص (القاضي ماكنوتون) بحقها حكماً بالاعدام. لم تتجسس (دوروثي اوجاردي) في الواقع لحساب اي جهة. وكان محامي الدفاع (جون ترابنل) قد اتخذ ما يلزم لتمييز قرار الحكم الذي تم نقضه بعد الاتفاق مع الأدعاء العام. وقد حكم على (دوروثي اوجاردي) بالسجن لمدة اربعة عشر عاماً لثبوت خرقها «أنظمة الدفاع». وبالرغم من ان التفاصيل الدقيقة للقضية لم يتم الاعلان عنها، إلا ان الصحف تناقلت اخبار المحاكمة والتمييز. ومع ذلك اصبحت السيدة (اوغريدي اوجاردي) تدعى بالجاسوسة سيئة الصيت. وقد أصر (ستانلي فرمن) المراسل الجنائي لجريدة (الديلي تلغراف) عام ١٩٥٠، عند ذكره وقائع قضية السيدة

. (اوجاردي) في كتابه الذي يحمل عنوان «جاءوا ليتجسسوا»، «ان إلقاء القبض عليها قد تم عندما اكتشفت وهي تقوم بقطع اسلاك الهواتف العسكرية ذات الطابع الحيوي». ثم استطرد مستنتجاً «بانها جاسوسة تعمل لمصلحة المانيا، وان هذه حقيقة لا تقبل الشك ابداً»(٧)

لقد ساهم (فرمن) في خلق اسطورة من هذا الموضوع بتأكيده على ان السيدة (اوجاردي) كانت جاسوسة مقابل كونها امرأة وحيدة ومغرر بها، وهو ما كان عليه واقع حالها. وقد تبنى هذه الفكرة بعد فترة من الزمن (جوك هازويل) احد المؤرخين العسكريين الذي ضمن بشيئ من المبالغة ما اخطأ في روايته (فرمن) بخصوص قضية السيدة (اوجاردي) وذلك في دراسته التي تناولت «الجوانب الاستخبارية واجراءات الغش والخداع الخاصة بعمليات الانزال يوم الغزو الحليف على (نورماندي).» وقد ادعى (هازويل) بان السيدة (اوجاردي)

«كانت تدير نزلاً في (جزيرة وايت) وبانها
كانت تقوم بارسال المعلومات، التي كانت تدونها
باسوء انواع الحبر الخفي، الى وسيط في البرتغال).
ولم تكن هذه السيدة في وضع يضمن لها تزويد
معلومات ذات قيمة وذلك لانها لم تكن مدربة على اعمال
التجسس ولانها اقدمت على ذلك بدافع من الطمع والكراهية»(٨)

وهكذا فقد استكان (هازويل) لاسطورة (اوغريدي) وأمّن بدوره ديمومتها. ومهما قيل عن السيدة (اوغريدي) فانها على الاقل شخصية حقيقية ولها وجود، اذ ان اكثر العملاء السريين مراوغة ودهاءاً هم اولئك الذين لم يكن لهم وجود بالمرة. واثناء استعراضه للجهود البائسة التي بذلها الالمان للتجسس في انكلترا. كشف (هازويل) النقاب عن وجود (هانز سورنسن):

«بين الحشد المتنافر من النساء والرجال
الذين رمتهم الامواج او نزلوا الى البر
ليكتشفوا اين ومتى سيشن الحلفاء هجومهم
على (قلعة أوربا) الهتلرية، كان هنالك
ثمة رجل واحد فقط هو (هانز سورنسن)
الذي عُرف بانه كان جاسوساً والذي تم استجوابه على نطاق واسع إلا انه لم يخطأ»(٩)

من اين، يا ترى، ظهر (سورنسن) هذا؟ إذ لا يوجد بين منتسبي مكتب الخدمات الامنية البريطانية الـ (ام. آي. ـ ٥ ـ) من الذين عملوا اثناء فترة الحرب من سمع باسمه بالرغم من ان كاتباً يدعى (برنارد نيومان) كان قبل ذلك قد قام بسرد مآثره فقد الف (نيومان) هذا ثمانية وثمانين كتاباً تناول العديد منها موضوع التجسس وقد تولت نشرها دار تدعى «بنادي الكتاب الملائم» (The Right Book Club) وبالرغم من غزارة انتاجه في مجال القصة الواقعية فقد كتب اكثر من اثنتي عشرة قصة من القصص البوليسية المثيرة تحت اسم مستعار هو دو بيتردج). اما في كتابه «جواسيس في بريطانيا» فقد ادعى بانه كان قد التقى بـ (سورنسن) في مدينة (هامبورغ) بعد الحرب. وقال:

«كنت قبل ذلك اعرف الكثير عن (الهير سورنسن) ولكن ما ان قام بملء الفجوات التي تخللت معلوماتي عنه حتى ظهرت قصته الجاسوسية امامي كأحدى اكثر قصص التجسس خيالاً في فترة الحرب».[١٠]

كان (هانز سورنسن) واحد من خمسة عملاء ألمان كانوا قد ارسلو للقيام بعمليات التخريب في انجلترا وذلك في وقت ما اثناء ربيع عام ١٩٤١. وبالرغم من «انه لم يكن يتكلم اللغة الانجليزية». فقد اتضح بانه كان قد وصل بصحبة رفاقه الى ميناء (هيبلمز ديل) الواقع على الساحل الشمالي الشرقي لـ (سكوتلنده) وقد اعلنوا إثر وصولهم بانهم كانوا من الفارين من جيش الاحتلال الالماني في (النرويج) وبانهم يقصدون الانضمام الى «فيلق الرواد» بصفتهم مناوئين للنازية. ويستطرد (نيومان) بادعائه ليقول ما مفاده ان العملاء هؤلاء اعتقلوا جميعاً اثر تحقيق معهم استغرق فترة سبعة اشهر. وقد تولى مهمة التحقيق «صفوة رجال المخابرات البريطانية.»

بالرغم من صعوبة تدقيق صحة التفاصيل لبعض اوجه هذه القصة، بسبب تأكيد (نيومان) على ان (سورنسن) لم يكن الاسم الحقيقي لهذا الجاسوس، فقد ثبت زيف ما امكن تدقيقه من التفاصيل المتعلقة بالاوجه الاخرى للقصة ذاتها. بالتأكيد لم تصل الى ميناء (هبلمزديل). بحراً أية مجموعة من الهاربين الألمان في ربيع عام ١٩٤١ (او في اي وقت آخر خلال فترة الحرب). مع ذلك نجد ان جاسوس (نيومان) هذا قد برز ثانية بعد خمسة عشر عاماً ليظهر في كتاب (جوك هازويل) وليصبح له وجود.

تقع على عاتقي (فرمن) و (نيومن) مسؤولية نشر العشرات من الاساطير الاضافية ضمن اطار عالم التجسس والمخابرات. وتعتبر قصة الجاسوس الالماني (كارل ويرڤيل) احدى اكثر روايات (نيومان) المبتدعة غرابة والتي نجدها في كتابه (صيادو الجواسيس).

يزعم ان (ويرفيل) هذا كان قد «هرب» الى انجلترا متظاهرا بانه لاجئ بلجيكي الجنسية وقد تم القاء القبض عليه اخيراً وأعدم في سجن (واندزوورث). ويدعي (نيومان) بان (ويرفيل) قد درُب على التجسس في مدرسة المانية خاصة حيث تمرس في الجوانب العملية لفن التجسس على يد معلم يدعي (فوجيل)[١١]. وقد كشف (نيـومان) النقـاب عن امر (فوجل) هذا موضحاً بانه كان في الحقيقة يعمل لحساب البريطانيين وانه كان يفشي لهم سر هويات تلاميذه.

لا يوجد في السجلات الدقيقة الخـاصة بمن تم تنفيـذ حكم الاعدام بحقهم في بريطانيا خلال الحرب ذكر لاسم (كارل ويرفيل). كما لا توجد بين القضايا ما له ادنى شبه بقضية (ويرفيل). وقد بلغ عدد الذين تم تنفيذ حكم الاعدام فيهم من الالمان في سجن (واندزوورث) ثلاثة ولم يكن لأي منهم شبه بـ (ويرفيل). فهل لرواية (الهيرفوجيـل) البعيدة الاحتمال اي نصيب من الصحة بأي حال؟ من الواضح ان هذا ما يظنه (جوك هازويل) الذي يقول: «عندما اعلنت الحرب في ١٩٣٩/٩/٣ كان لدى الشرطة قـائمة باسماء كافة العملاء في الشبكة الثانية تقريباً وذلك بفضل المعلومات التي كـان يؤمن وصولها لهم المعلم التابع لمكتب الاستخبارات العسكرية الالمانية والذي كان ذات الوقت احد عملاء المخابرات البريطانية الـ (ام. آي ـ ٦ ـ). ليس اختلاق شخصية (كارل ويرفيل) وعكس صورة (دوروثي اوغريدي) على غير حقيقتها إلا حالتين قليلتي الاهمية نسبياً لكنهما يبينان بوضوح كيف ان المغالاة في التحمس لامر ما، او رداءة البحوث، او كليهما في آن واحد، يؤديان الى تمكين القصص الخيالية من اكتساب غطاء الحقيقة. ان الحالات التي ستتم دراسة تفاصيلها على الصفحات التالية من هذا الكتاب لها نصيب اكبر من الاهمية لا سيما بالنسبة لرجال الاستخبارات الذين لعبوا دوراً فيها والذين لهم الفضل، بصورة عامة في وضع حد بين الحقيقة والخيال.

الهوامش

١ ـ ام. آر. دي. فوت: MI9 ـ صفحة (٨٠)
٢ ـ هنري لانداو: كل عمل مشروع ـ صفحة (٢٠٦)
٣ ـ لادسلاس فاراجو: لعبة الثعالب ـ صفحة (٢٨١)
٤ ـ جارلس وجستون وغونثر بيس: جواسيس هتلر وعملائه المخربين ـ صفحة (٢٤٥)
٥ ـ جليس بيرو: اسرار يوم الانزال الحليف على نورماندي ـ صفحة (٣٢)
٦ ـ ستانلي فرمن: جاءوا للتجسس ـ صفحة (٥٠).
٧ ـ نفس المصدر ـ صفحة (٤٩).
٨ ـ جوك هازويل: الاستخبارات واساليب الغش والخداع ليوم الانزال الحليف على نورماندي ـ صفحة (٦١)
٩ ـ نفس المصدر ـ صفحة (٦٢).
١٠ ـ بيرنارد نيومان: الجواسيس في بريطانيا ـ صفحة (٥٧).
١١ ـ بيرنارد نيومان: صيادو الجواسيس ـ صفحة (٣٨).
١٢ ـ جوك هازويل (المصدر المشار اليه) ـ صفحة (٥٨).

الفصل الأول

سوناتا ضوء القمر أم التضحية؟

MOONLIGHT SONATA OR SACRIFICE?

«في حوالي الخامسة والنصف من عصر يوم ١٤/١١/١٩٤٠ اتصل العقيد الطيار (أديسون) Addison من الجناح ٨٠ بـ (جونز) Jones هاتفياً واخبره بان طائرة الانصات التابعة له قد ادت واجبها في الجو وقد اتضح بان شعاع (ريڤرز) Rivers اللاسلكي قد وجهه على مدينة ما في المنطقة الوسطىٰ من انجلترا. وقد طلب (اديسون) من (جونز) اعلامه ما اذا كان في الامكان تحديد الهدف الذي يسعىٰ الالمان الى قصفه. اجاب جونز على النحو التالي، وهو ما قاله في البرنامج التلفزيوني «الحرب السرية» الذي اعدته هيئة الاذاعة البريطانية عام ١٩٧٧: «لم اكن على علم بذلك اذ لم يكن قد تم الانتهاء من تحليل لغز جفرة (انيجما) ENIGMA(*)

في الوقت المطلوب من تلك الامسية بل تأخر ذلك حتى صباح اليوم التالي.... اي بعد فوات الوقت وبذلك لم اتمكن من تحديد موقع الهدف هذا».

براين جونسون: الحرب السرية(١)

Brian Johnson: The Secret War

في ليلة الرابع عشر من تشرين الثاني من عام ١٩٤٠، توجهت (٤٤٩) قاصفة المانية عبر بريطانيا الى قلب «المنطقة الوسطىٰ» الصناعية ودمرت مدينة (كوڤنتري). وقد بلغت الخسائر المدنية حداً لم يسبق له مثيل اذ قُتل من جراء الغارة (٥٥١) شخصاً واصيب الف آخر بجروح خطيرة جداً. وبعد مضي ثلاثة واربعين عاماً على هذه الغارة، انبرى العقيد الطيار (فريد ونتر باثم) عام ١٩٧٤ ليوحي من خلال كتابه «سر الترا» بان المعنيين في بريطانيا كانوا على علم مسبق بامر هذه الغارة. ويجرنا هذا الافتراض الى التساؤل عما اذا كان في الامكان آنئذٍ اتخاذ الاجراءات اللازمة لانقاذ الارواح؟ وقد اشار العقيد (ونتر باثم) هذا، معتمداً على ذاكرته، بان اكتشاف الهدف الالماني قد تم من قبل محللي النصوص المرموزة في (بليتشلي)(*)

وذلك نتيجة خطأ وقع فيه احد كتاب الجفر الالمان عصر يوم الغارة نفسه. وقد تم

---

* «انيغما» = ماكنة تجفير استخدمتها القوات المسلحة الالمانية اثناء الحرب لبثّ الاوامر والتوجيهات ـ المترجم

فضلاً عن ان الكلمة نفسها تعني لغوياً «لغز».

* Bletchly House = المركز البريطاني لتحليل النصوص المجفرة ويقع في منطقة (بلتشلي پارك) في مقاطعة باكنجهامشاير ـ المترجم

اعلام (تشرشل) فوراً بان القوة الجوية الالمانية قد استهدفت مدينة (كوفنتري)، إلا ان رئيس الوزراء هذا اتخذ قراراً بعدم اخلاء هذه المدينة حرصاً منه على عدم التفريط بأمن (الترا)(*) . كما اوضح (ونتر باثم) ايضا بان (غورنغ)(*)(*) . كان قد قرر كذلك قصف مدن اخرى اضافة الى لندن إلا ان اسماءها لم تعرف من قبل البريطانيين حيث انها وردت بصيغة مجفرة ويوضح (فريد ونترباثم) ذلك بقوله: «ولكن بحدود الثالثة من بعد ظهر يوم ١٤/١١/١٩٤٠ لابد وان وقع احدهم (اي احد كتاب الجفر الالمان) في خطأ اذ انه حدد اسم مدينة (كوفنتري) الصريح بدلاً من الاشارة اليه بصيغته المجفرة.»[٢]

ويذكر عقيد الجو ونتر باثم) - الذي كان بمثابة حلقة الاتصال بين مقر المخابرات البريطانية في (برودواي) ومحللي النصوص المرموزة في (بليتشلي بارك) في مقاطعة (باكنجهامشاير) - بانه اتصل بمقر رئيس الوزراء (داوننج ستريت) بهدف نقل هذا الخبر الى (تشرشل). ويقول بهذا الصدد: «كان (تشرشل) في اجتماع وبذلك كلمت سكرتيره الشخصي واعلمته الخبر»

بهذا يوحى (ونتر باثم) اذاً، بان (تشرشل) كان إزاء احد خيارين: اما الايعاز باخلاء مدينة (كوفنتري) الامر الذي يعني تعريض مستقبل «اكثر مصادره سرية» للخطر او الاكتفاء بتوجيه تحذير هادئ ومتحفظ الى القائمين على امور خدمات الطوارى في المدينة. ويضيف العقيد (ونتر باثم) قائلاً:

«ان هذا القرار هو من نوع القرارات العسيرة التي يجب اتخاذها على صعيد اعلى المستويات اثناء الحرب. وبالرغم من ان القرار الذي اتخذه (تشرشل) كان صائباً، إلا انني مع ذلك اشعر بالسرور لانني لم اكن الشخص الذي كان عليه اتخاذ مثل هذا القرار. ويؤكد التأريخ الرسمي بان وزارة الطيران كانت على علم بامر الغارة قبل يومين من حدوثها. اما بقدر تعلق الامر بـ (الترا) فان الامر الآن قد اصبح اكيداً.»[٣]

وهكذا يبدو بان (تشرشل)، من خلال اتخاذه احدى تلك القرارات المؤلمة الكثيرة التكرار والتي تقع دائماً على عاتق قادة الحرب) قد حدد الاسبقيات بصورة صحيحة فأمن بذلك الحماية لـ (الترا) على حساب المصير المشؤوم لبضعة آلوف من الضحايا المدنيين، ذلك المصير الذي كان من الممكن تفاديه، في مدينة بلغ عدد سكانها ربع مليون نسمة.

---

* ULTRA = الاسم المجفر للنصوص السرية المرموزة الخاصة بـ (بلتشلي)
** Herman goering = قائد القوة الجوية الالمانية (اللوفتوافا) - المترجم.

بعد ثمانية عشر شهراً من قيام عقيد الجو (فريد ونتر باثم) بالكشف عن هذا الامر المثير للجدل قام كاتب آخر اسمه (انطوني كيُف براون) بالتوسع في تفاصيل الموضوع من خلال سرده المطول لامور الخداع اوقات الحرب والذي تضمنه كتابه (غطاء من الاكاذيب). وقد اكد (كايُف براون) هو الآخر ايضاً بان (تشرشل) كان على علم مسبق بامر الغارة ولكنه اختلف عن (ونتر باثم) في تعيين الوقت المضبوط الذي تم فيه تحديد مدينة (كوفنتري) هدفاً للغارة الالمانية.

واستناداً لما اورده (كايُف براون) فأن «ألترا قد اعطت تشرشل ومشاوريه انذاراً سبق وقوع هذه الغارة المدمرة والمبيتة ضد (كوفنتري) بثمان واربعين، وربما بستين، ساعة على الاقل.

وقد وصف (كايُف براون) هو الآخر مأزق (تشرشل) الذي لا يحسد عليه وذلك بقوله:

«ولكن في الوقت الذي لم يمكن فيه اتخاذ الاجراءات الدفاعية الاستثنائية لحماية (كوفنتري) فهل تعذر يا ترىٰ توجيه انذار سري، بخصوص قرب تعرض المدينة لهجوم جوي واسع النطاق، الى السلطات المدنية والى الجهات القائمة على تأمين خدمات مكافحة الحرائق، وخدمات الاسعاف والخدمات الطبية؟ الم يكن من الضروري تأمين اخلاء سكان المناطق المركزية من المدينة بالاضافة الى اخلاء المسنين واليافعين واولئك الذين يمكن نقلهم من بين المرضىٰ الراقدين في المستشفيات؟ لقد رفض (تشرشل) كافة هذه المقترحات، واصر على وجوب عدم اخلاء المدينة وعدم توجيه اي انذار عن الغارة.»[٥]

واخيراً يتفق (كايُف براون) مع (ونتر باثم) حول حكمة وصواب قرار رئيس الوزراء بانقاذ (ألترا). وبهذا الخصوص يقول (كايُف براون): «كان هذا قراراً مؤلماً اضطر (تشرشل) الى اتخاذه، إلا انه في نفس الوقت كان السبيل الوحيد لحماية (ألترا).»[٦]

ويسير الكاتب (وليام ستيفنسون) William Steveson

«رجل يُدعىٰ الجسور»، Aman Called Intrepid

الذي صدر عام ١٩٧٦، على خطىٰ (ونتر باثم) و (كايُف براون) ولكنه يسلط ضوءاً جديداً على الخطأ الذي ارتكبه كاتب الجفر الالماني الذي اسلفنا ذكره. يقول (ستيفنسون): «في الاسبوع الثاني من شهر تشرين الثاني من عام ١٩٤٠ تمكنت (بليتشلي) من الحصول على الأمر العسكري الالماني القاضي بتدمير (كوفنتري). وقد تم التقاط الأسم بصيغته الصريحة.»[٧]

في ضوء هذا التوقيت غير الدقيق، يصبح من المحال تحديد اليوم الذي، حسب اعتقاد (ستيفنسون)، قد تم فيه إشعار رئيس الوزراء بان مدينة (كوفنتري) كانت الهدف. ولكن هنالك نقطة يؤكدها (ستيفنسون) تأكيداً مطلقاً اذ يقول: «كان اسم الهدف في يد (تشرشل) خلال دقائق من صدور قرار هتلر.»[٨]

ومهما كان توقيت هذا الانجاز العظيم، فان تأثيره على (تشرشل) يبقى دون ادنى تغير. لقد وجد (تشرشل) نفسه إزاء مجموعة محدودة جداً من الخيارات. ويعبر (ستيفنسون) عن ذلك بقوله: «فان أخلى رئيس الوزراء مدينة (كوفنتري)، وهذا ما كان يبتغيه (تشرشل)، فانه يكون قد كشف للعدو عن علمه بتفاصيل مخططاتهم.... وان لم ينذر المواطنين في (كوفنتري) فانه يكون قد حكم على الآلاف من الناس بالموت او المعاناة»[٩]

وهنا لابد لنا من التساؤل عما اذا كان على (تشرشل) حقاً اتخاذ مثل هذا القرار الفاجع؛ تُثبت وثائق وزارة الطيران التي تم رفع الحظر عنها الآن واصبحت في متناول يد الجمهور، بان رئيس الوزراء لم يواجه مثل هذا الخيار. ان ما حدث في الواقع كان امراً مختلفاً جداً واكثر تعقيداً.

في شهري تشرين الاول والثاني من عام ١٩٤٠ كان سلاح الجو الملكي البريطاني يتسلم المعلومات المتعلقة بالخطط المستقبلية للقوة الجوية الالمانية (اللوفتوافا) من اربعة مصادر مختلفة. وكانت مديرية الاستخبارات الجوية في وزارة الطيران هي الجهة المسؤولة عن التنسيق مع هذه المصادر الاربعة وكان لها مساهمة فاعلة في اثنين منها وهما: استجواب اسرى الحرب ودراسة كافة تفاصيل وثائق ومستمسكات العدو المستولى عليها. وكانت السلطات البريطانية المختصة تقوم بفصل الأسرى من افراد طوائف الطائرات الالمانية بعضهم عن البعض الآخر وايداعهم في سجون خاصة باسرى الحرب في (ترينت بارك) في منطقة (كوكفوسترس) حيث كان يتم استجوابهم من قبل محققين مهرة من منتسبي قسم «آي (كي)» في مديرية الاستخبارات الجوية. وكان هذا القسم يرفع تقاريراً يومية الى العميد الطيار (تشارلس ميدهيرست). مدير الاستخبارات الجوية في وزارة الطيران في لندن، وكانت محتويات هذه التقارير تقارن بالمعلومات التي يتم استلامها من مصادر اخرى. ويضم القسم الآخر في المديرية ذاتها، وهو قسم «آي (إف) »فاحصي حطام الطائرات الذين كانوا يهرعون الى مكان كل طائرة معادية يتم اسقاطها (مع مراعاة ضرورة الوصول الى هذه الاماكن قدر الامكان قبل حضور

المواطنين من هواة جمع القطع التذكارية) حيث يقـومون بـالبحث وسط الحـطام عن الخرائط وكراريس التعليمات والمعدات غير الاعتيادية. فاذا ما تم العثور على ما يستحق الاهتمـام به من مـواد ومطبـوعات فـانها كـانت تشحن الى مواقـع عمـل الوحـدات الاختصاصية في المديرية نفسها حيث يتم تحليلها بدقة متناهية. وكانت هذه الوحدات بدورها تقوم برفع التقارير على نحو منتظم الى وزارة الطيران. ويضم كتاب لـ (جون پيسكت) بعنوان «معلومات غريبة» سـرداً توضيحيـاً مفصلاً لاعمـال هذه الوحـدات التخصصية.

وقد تميز مصدرا مديرية الاستخبارات الجوية الآخران بطبيعة فنيـة اكثر من سابقيهما. ففي صيف عام ١٩٤٠ اكتشفت محطة الانصات في (تشيدل)، التابعة لسلاح الجو الملكي البريطاني، بان الالمان قد استخدموا جهازاً جديداً للدلالة الملاحيـة. وقد اتضح بان هذا الجهاز قد صمم من اجل توجيه القاصفات الالمانية نحو اهدافها.(١٠). وكان هذا الجهاز الذي عرف باسم (كنيكيبن)، والذي يعني باللغـة الالمانيـة (الارجل المعقوفة). عوناً كبيراً لطواقم الطائرات اثناء طيرانهم الليلي اذ انهم في تلك المرحلة من الحرب كانوا قليلي الخبرة نسبياً بـامور المـلاحة الجـوية الليليـة. كان جهـاز ارسال (كنيكيبن) يقوم ببث اشارات لاسلكية من اوربا وذلك على شكل نقطة خط افقي صغير بموازاة شعاع لاسلكي ضيق مكونة بذلك مساراً لاسلكياً تسلكه الطائرات. الى جانب هذا كان هنالك مرشد لاسلكي ثانٍ يقوم بارسال اشـارة اخرى تنَصف الاولى بـالضبط في النقطة التي عندها كان على القاصفة اطلاق حمولتها من القنابـل. وفي وقت لاحق من صيف نفس العـام تم اعتمـاد جهـازين محسـنـين عـرفـا بـ (إكس ـ جيـرات) و (واي ـ جيرات). وقد امن هذان الجهازان للقوة الجوية الالمانية (اللوفتوافا) درجة اعلى من الدقة. وقـد فتحت اجهزة الارشـاد الثلاث هـذه امام القـوة الجويـة الملكية البريطانية آفاقاً تبشر بالخير اذ سرعان ما انهمكت هذه القوة الجوية الاخيرة في تطوير الاجراءات المضادة مباشرة بعد تمكنها من تحديد الذبذبات العاملة. فاذا ما تم مراقبة ورصد المسارات الملاحية يمكن عندئذ اكتشاف الاهداف التي كان الالمان يسعون الى قصفها، واذا ما تحقق انحراف الاشعة اللاسلكية، دون ان ينكشف الامر، لتوفر المجال الكافي امام تحويل الغارات الى مناطق اخرى بحيث يصبح ما تحققه من دمار قليل جداً او معدوم.(١١)

بالاضافة الى هذه المصادر كان هنالك مصدر آخر للمعلومات الا وهو مجموعـة

محللي الغاز الجفر في (بليتشلي) الذين انهمكوا في عملية فك وتحليل كافة اوامر العمليات الصادرة عن قيادة القوة الجوية الالمانية (اللوفتوافا). وكانت مهمة محللي الجفر هؤلاء قد اصبحت اقل صعوبة من ذي قبل وذلك لان اوامر وتوجيهات قيادة القوة الجوية الألمانية المجفرة آلياً (إذ كان التجفير يتم بواسطة ماكنة «انيجماً الشهيرة» كانت الاولى من بين الجفر الالمانية التي تمكن البريطانيون من فك رموزها وتحليلها بصورة منتظمة. وبالاضافة الى استخدام ماكنة (أنيجما) لبث الرسائل المتعلقة بالامور الروتينية للعمليات كانت القوة الجوية الألمانية تستخدم نفس الجهاز لاعلام الوحدات العاملة، كل على انفراد، بالتفاصيل المتعلقة باشارات (كنيكيبن) الخاصة بهم. وكان كل جناح يستلم الذبذبات وكذلك الأتجاهات التقريبية للأشعة اللاسلكية اضافة الى مواعيد البث التجريبي الذي كان يبدأ قبل ثلاث او اربع ساعات في الساعة ١٣٠٠ (الواحدة بعد الظهر) من يوم ١٤/١١/١٩٤٠ التقط سلاح الجو الملكي البريطاني اولى اشارات التنظيم للاشعة اللاسلكية الموجهة التي كان يبثها العدو بواسطة جهاز (إكس - جيرات). وبحدود الساعة ١٥٠٠ (الثالثة بعد الظهر) كان سلاح الجو المذكور قد اكتشفت تقاطع الاشعة فوق مدينة (كوفنتري). كان الشعاع الرئيس يعطي السداد (المسؤول عن تصويب القنابل) انذاراً مسبقاً عن الاقتراب من الهدف بينما يعطي الشعاع الثاني اشارة مسموعة داخل الطائرة وذلك قبل الوصول الى الهدف بمسافة خمسة عشر كيلو متر. اما الشعاع الاخير فكان يحدد النقطة التي عندها بالضبط يجب اطلاق القنابل. وكانت القوة الجوية الملكية البريطانية على ثقة بان اجراءاتها الالكترونية المضادة، والتي كان اسمها المرموز (كولدووتر)، تتداخل مع هذه الاشعة إلا ان محطاتها التشويشية الخمس كانت قد نُظمت لاستلام ذبذبة مختلفة وبذلك لم يكن لها اي تأثير. وبعكس ما جاء في العديد من الكتب المنشورة فان (ألترا) لم يكن لها اي دور في تحديد (كوفنتري) وهي المدينة التي استهدفها الالمان يوم الغارة. من الاقلاع وذلك لكي تتمكن كل طائرة من فحص معداتها. وبمجرد التقاط هذه الاشارات، كان باستطاعة (بليتشلي) احياناً التنبؤ بالغارات الليلية الوشيكة الحدوث. اما تحديد الاهداف (التي كان الطيران الالماني يسعى الى قصفها) فلم يتحقق إلا بعد وقت لاحق جداً.

وقد تضمن تقرير موجز اعدته مديرية الاستخبارات الجوية في الثامن عشر من تشرين الاول من عام ١٩٤٠ تنبؤاً صحيحاً يتعلق بزيادة حجم الغارات الجوية الليلية للقوة الجوية الالمانية، كما بين هذا التقرير احتمال تركيز الغارات الجوية المستقبلية على

!ستراتيجية جديدة للغارات الخاطفة المركزة تعتمد استخدام مئات عديدة من القاصفات في آن واحد. وبالفعل فقد جاء في الحادي عشر من تشرين الثاني انذار مسبق عن اولى هذه الهجمات الواسعة النطاق والتي كان يُرمز لها على ما يبدو باسم «سوناتا ضوء القمر» وبالرغم من ان الاستخبارات الجوية البريطانية لم تحدد اهدافاً معينة (سوى قائمة بارقام اربعة منها) إلا انها استنتجت بعض المعلومات من الأسم الرمزي بحد ذاته، اي من عبارة «سوناتا ضوء القمر» وبذلك افادت مديرية الاستخبارات هذه بان عبارة «ضوء القمر» تشير الى توقيت لعملية تعتمد في تنفيذها على استغلال فرصة ظهور البدر (وعليه فان موعد تنفيذ العملية اللاحقة تحدد بيوم الخامس عشر من تشرين الثاني). كما بينت كذلك بان الجزء الاول من الاسم الرمزي، اي عبارة «سوناتا»، يوحي سياقاً بثلاث مراحل. وفي الوقت الذي انتهى فيه محللو النصوص المرموزة في (بليتشلي) من عملهم، كان قد مر على استلام الرسالة المجفرة (بهذا الصدد) يومان. وبالرغم من ذلك فقد تم الحصول على خبر آخر مهم من النص ذاته المستخلص من (أنيجما) والذي بين بان الالمان قد قرروا استخدام مُرشد لاسلكي من نوع (كنيكيبن) الامر الذي دل ضمناً على هجوم ليلي. ومن جانب آخر افاد القائمون على القسم المختص بالوثائق المستولى عليها بانهم كانوا قد حصلوا على خارطة تعود الى القوة الجوية الألمانية وقد حُدد في هذه الخارطة بوضوح مناطق الهدف التي بلغ عددها اربع. وكانت المناطق الاربعة المستهدفة تقع كلها في الجنوب الشرقي من انجلترا. وبعد جمع كافة هذه المعلومات برز مخطط: فلقد كانت القوة الجوية الالمانية تخطط للقيام بغارة على نطاق واسع جداً يتم توجيهها باشارات لاسلكية ويكون تنفيذها عند ظهور البدر، او بعد ظهوره بقليل، وذلك في ليلة الخامس عشر من شهر تشرين الثاني. إلا ان هذه الصورة لم تحظ بتأييد مطلق اذ انطلق صوت المعارضة الوحيد من قسم «آي (كي)» الذي بيّن وجهة نظره المختلفة من خلال تقرير وصل بتأريخ الثاني عشر من تشرين الثاني. وقد تضمن هذا التقرير الذي اعده المحققون في (كوكفوسترس) موجزاً لمحادثة، تم الاستماع اليها عن طريق الصدفة، دارت بين احد طياري القاصفات الالمانية، الذي كان قد وقع في الاسر بتأريخ التاسع من شهر تشرين الثاني، وواحد من العملاء البريطانيين المندسين بين صفوف الاسرى الالمان، ففي وقت مبكر من الحرب قامت منظومة الخدمات الامنية البريطانية الـ (أم. آي ـ ٥ ـ) بتجنيد عدد من اللاجئين الناطقين باللغة الالمانية وذلك للعمل داخل معسكرات الاعتقال. وكان اغلب هؤلاء اللاجئين من النمساويين المناوئين للنازية وقد

تطوعوا للتظاهر بانهم زملاء في الأسر وذلك توخياً للحصول على المعلومات من الذين كان قد تم اسرهم مؤخراً. ومما هو جدير بالذكر في هذا المجال اعتماد اساليب مماثلة ابان سني الحرب العظمىٰ الاولى قد حققت نتائج باهرة وباقل نسبة من الخطر. وقد تبين بان جزءاً كبيراً من هؤلاء الاسرى كان على استعداد لائتمان جانب اناس أغراب خلال الساعات الاولى من الاسر: تلك الساعات التي يأخذ الوهن خلالها من الاسير مأخذاً عظيماً. وما ان تمر هذه الساعات حتى يستعيد الاسرى رباطة جأشهم والسيطرة على تصرفاتهم مما يجعلهم اقل ميلاً للتصرف بتهور وعدم اتزان.

واستناداً الى ما جاء في تقرير قسم «آي (كي)» هذا فقد ذكر الطيار الالماني الذي كان قد تم اسره مؤخراً بان القوة الجوية الالمانية قد حددت الفترة من الخامس عشر الى العشرين من تشرين الثاني عام ١٩٤٠ للقيام بغارة جوية واسعة النطاق تستهدف مدينتي (كوفنتري) و (برمنجهام). وكانت هذه المناسبة هي الاولى التي ذُكر فيها اسم مدينة (كوفنتري) صَراحة. ان هذا الخبر لم يأت من اي من محللي النصوص المرموزة في (بليتشلي). بالاضافة الى ذلك تتضمن هذه المذكرة التي وردت من (ترينت بارك) في (كوكفوسترس) - والتي يمكن الأطلاع عليها حالياً في (دائرة الوثائق العامة)[١٢] - تحفظيْن ثم التعبير عنهما بالشكل التالي: «وجدت مِن المناسب ان احيطكم علماً بهذا الخبر على الرغم من ان الاخذ به يتطلب بعض التحفظ بسبب مصدره الذي لم يسبق لنا تجربته.» وتنتهي المذكرة بالاستنتاج التالي -

«اعتقد بان لدى الرائد الطيار (همفريز) معلومات تؤكد
بان الهجوم سيوجه ضد (لندن) والاقاليم المحيطة بها، وبانه
يعتقد ان هذا الهجوم هو الرد الالماني على ميونخ. عليه
يقتضي الشك بالهدف ربما بقدر الشك بمعلوماته لاحقاً.[*]
إزاء هذا التحذير والايحاء بان اخبار (همفريز)

كانت اكثر حداثة، استند مقر الاستخبارات الجوية في تخطيطه على الافتراض الذي انصرف الى اعتبار (لندن) والمناطق المحيطة بها على بعد أربعين ميلاً هي الهدف للهجوم الجوي الالماني الواسع النطاق وعلى هذا الاساس ايضاً قام المقر المذكور صباح

---

* المقصود هنا هو التشكيك بما افاد به الطيار الالماني الاسير سالف الذكر - المترجم.

يوم ١٤/١١/١٩٤٠ باعلام رئيس الوزراء بان الاهداف هذه (التي افترض كذلك احتمال ان يكون كل منها بديلاً للآخر) هي: (اولاً) مركز العاصمة لندن (ولم يتأكد هذا تأكيداً مطلقاً)، (ثانياً) لندن وضواحيها، (ثالثاً) المنطقة المحاطة بكل من فانبره و (ميدينهيد) و (ريدنج)، و (رابعاً) المنطقة التي تحيط بها كل من (روشستر) و (فافيرشام) و (جزيرة شيبي).

وفي فترة لاحقة (من المذكرة) اعلمت رئاسة اركان القوة الجوية (تشرشل) بما يلي: «اننا نعتقد بان مناطق الهدف هي تلك المبينة في الفقرة الاولى اعلاه والتي من المحتمل ان تكون بجوار (لندن). اما اذا توفرت هنالك معلومات لاحقة تشير الى (استهداف) مدينتي (كوفنتري) و (برمنجهام) وغيرهما، فاننا نأمل ان نتمكن من اصدار التعليمات اللازمة بشأنها في الوقت المناسب».

تنطوي هذه المذكرة على شعور بالتفاؤل وذلك بصدد امكانية اتخاذ اجراءات الحيطة والحذر وذلك لان النص الاصلي المجفور لماكنة (أنيجما) كان قد ذكر أن في نية الألمان القيام ببث اشارات تجريبية من المرشد اللاسلكي في الساعة ١٣٠٠ من ظهر يوم الغارة الامر الذي يحدد الاختيار الاخير للهدف. ومتى ما تم رصد هذه الاشارات من قبل القوة الجوية الملكية فانها كانت تأمل كذلك بان تتمكن من التشويش عليها وعند ذلك يتم اللجوء الى استخدام الاجراءات المضادة المعروفة باسمها الرمزي (كولدووتر) COLD WATER .

في عصر يوم ١٤/١٠/١٩٤٠، وبعد الساعة ١٣٠٠ بفترة قصيرة جداً، قامت وحدة الانصات وإلتقاط الاشارات اللاسلكية في (كنجرداون) Kingsdown، وهي وحدة تابعة لسلاح الجو البريطاني بالابلاغ عن خبر بدء الالمان البث التجريبي. وقد تم هذا الابلاغ قبل اربع وعشرين ساعة على الاقل من الوقت الذي سبق تحديده من قبل مديرية استخبارات القوة الجوية والمتعلق بظهور البدر في ليلة ١٥/١١/١٩٤٠. وما ان مرت ساعتان من الوقت حتى كانت الوحدة المذكورة قد تمكنت من حساب مسار الشعاع اللاسلكي. وهكذا تم التأكد من ان (كوفنتري) بالذات كانت الهدف الذي توخت القوة الجوية الالمانية قصفه وليس احدى المناطق الثلاث المحيطة بلندن. كان لابد ان يكون لهذه الاخبار وقعاً سيئاً ومخيباً، إلا ان امر الاختلاف في منطقة الهدف لم يكن ذا اهمية بالنسبة للاجراءات المضادة، إذ اعتمد نجاح اجراءات (كولد ووتر) على معرفة ذبذبة الاشارات الالمانية وقد تم ايصال هذه المعلومات الحيوية الى محطات التشويش في الساعة

١٥٠٠، اي بوقت كافٍ لتهيئة اجراءات (كولد ووتر) بحيث تصبح جاهزة للقيام بواجباتها في الوقت المطلوب. ولكن هذه الاجراءات فشلت للاسف في تحقيق المطلوب اذ لم يستلم الجناح ٨٠ في قيادة القوة الجوية الملكية الذبذبة الصحيحة الامر الذي ادى الى انعدام تأثير محطات التشويش على الاشعة اللاسلكية الالمانية.[١٣]

وقـد تمركـزت الوحدة المكلفـة بالاجـراء اللاسلكي المضاد في (معهـد مايلدمـاي) في (جارستون) قرب مدينة (واتفورد).

وقد اقتضت اجراءات (كولد ووتر) في عين الوقت القيام بهجوم بريطاني مضاد على سبعة وعشرين مطاراً من مطارات القوة الجوية الألمانية في القارة الاوربية كما اقتضت هذه الاجراءات كذلك تدمير جهاز الأرسال (اكس ـ جيرات) في شبه جزيرة(شيربورغ).. وقد تم للقوة الجوية الملكية البريطانية تنفيذ هاتين المهمتين إلا انها فقدت من جراء هذا التنفيذ عشر قاصفات جوية. اما فشل الجناح ٨٠ في تنظيم محطات التشويش لتتمكن من استلام الذبذبة الالمانية الصحيحة للاشعة اللاسلكية فقد أمن للالمان العثور على هدفهم وتدميره.

فعند الرجوع بافكارنا لنتأمل تفاصيل الاحداث الماضية هذه يسهل علينـا فهم الكيفية التي تم بموجبها توصل مختلف الكتاب والمؤلفين ـ الذين لم يكونوا عـلى علم بأعمال وواجبات مديرية الاستخبارات الجوية وبخلفية (كولد ووتر) ـ الى الاستنتاج، في ضوء ملاحظات العميد (ونتر باثم)، بان تشرشل كان قد تعمد اتخاذ القرار الذي امن بموجبه حماية مستقبل (الترا) على حساب مدينة في المنطقة الوسطىٰ من انجلترا. ولكن (تشرشل) كان في الواقع قد افترض انتفاء الحاجة الى الايعاز باخلاء مدينة (كوفنتري) اذ اعتقد بان اجراءاته المضادة كانت كفيلة بانقاذ الموقف. وبقدر تصوره للموضوع فان القنابل الالمانية كانت ستسقط فوق حقل خال لا فوق مدينة آهلة بالسكان.

ويكمن الفرق الجوهري بين ما اورده كل من (كايْف براون) و (ستيفنسون) من جانب، والعميد الطيار (ونتر باثم) من جانب آخر، في التوقيت الصحيـح الذي تم فيه تحديد هدف عملية (سوناتا ضو القمر) بالضبط. ويذكر العميد الطيار (ونتر باثم) كيف انه قام بايصال المعلومات بحدود الساعة الثالثة (اي بحدود الساعة ١٥٠٠) من بعد ظهر اليوم ذاته. إلا ان هذا الخبر لم يأت من (الترا).

كان هذا الخبر في الواقع حصيلة الحسابات التي قامت باجرائها وحـدة (كنغز داون) وذلك بخصوص مسار الشعـاع اللاسلكي الالماني ـ تلك الحســابات التي تم

بموجبها تحديد الهدف، اي (كوفنتـري). وقد أرسـل هذا الخبـر عن طريق مديـرية استخبارات القوة الجوية البريطانية. ولابد ان العميد الطيار (فريد ونتر باثم) كان قد نسي مصدر هذا الخبر الذي قام بدوره بايصاله الى رئيس الوزراء. ويدل ذلك بوضوح، من جانب آخر، على ان (ونتر باثم) لم يكن على بينة من ان امر عملية (كولد ووتر) التي، كما اسلفنا سابقاً، قد تم اعدادها ولكنها فشلت في انقاذ (كوفنتري) من المصير الذي كان قد كتب عليها. ان النص الذي اورده (ستيفنسون) في كتابه - والذي وصف بموجبه الخيارات التي واجهها (تشرشل) - قـد بالغ في ابـراز حجم المشكلة هذه. وانـه لمن الواضح ايضاً بان اسم (كوفنتري) لم يظهر في أي من نصوص (ألترا) المجفورة، وكما يؤيد التأريخ الرسمي للاستخبارات البريطانية في الحرب العالميـة الثانيـة، وذلك على الصفحة ٥٣٤، لم يكن هنالك وجود لاي نص مجفور بتأريخ ١٩٤٠/١١/١٤ كان من شانه تنبيه أيٍّ من (بليتشلي) او مديرية استخبارات القوة الجوية او رئاسة الوزراء حول احتمال وقوع غارة اكيدة او حـول ورود اسم (كوفنتـري) بالذات. لقـد جاءت هـذه التفاصيل من مصادر أخرى.

الهوامش

الفصل الأول - سوناتا ضوء القمر ام التضحية؟

١ - براين جونسون: الحرب السرية - صفحة (٤٨).
٢ - فريد ونتر باثم: سر الترا - صفحة (٦٠)
٣ - نفس المصدر - صفحة (٦١).
٤ - انطوني كايف براون: غطاء من الاكاذيب - صفحة (٤٠)
٥ - نفس المصدر صفحة (٤١).
٦ - نفس المصدر صفحة (٤٢).
٧ - وليام ستيفنسون: رجل يدعى الجسور - صفحة (١٦٥).
٨ - نفس المصدر - (نفس الصفحة)
٩ - نفس المصدر - (نفس الصفحة)
١٠ - آيلين كلايتون: العدو ينصت - صفحة (٨٢)
١١ - آ. ڤي. جونز: حرب سرية للغاية - صفحة (١٣٩)
١٢ - دائرة الوثائق. الوثيقة - (جوية ٥٢٣٨/٢ Air 2/5238)
١٣ - إف. إتش. هنزلي. الاستخبارات البريطانية في الحرب العالمية الثانية - المجلد الاول - صفحة (٣١٨)

الفصل الثاني

كناريس: خائن أم بطل؟

Canaris: Traituor Or Hero

«لم تكن مهنة (كناريس) توحي باكثر من انه
وطني الماني صالح، وفي بعض الاوجه كان وغداً
بكل ما يحمله اللفظ من معنى.»

رتشارد ديكون: تأريخ الخدمات السرية البريطانية

Richard Deacon: A History of The British Secrct Service

«لم يثر (كناريس) اعجابي لكونه رجل فعل ولكن
لكونه قوي الملاحظة وفيلسوفاً ولربما كان
اكثر من قابلتهم من القادة الالمان ولعاً بالتأمل والتفكير».

هانز فون هيروارث: حيال شرين

Hans Von Herwarth. Against Two Evils

هنالك العديد من الاعمال التي توحي بان الأميرال (فيلهيلم كناريس) Wilhelm Canaris الذي اصبح فيما بعد رئيس مكتب الاستخبارات العسكرية الالمانية (الآبفير) قد التقى بـ (ماتا هاري) خلال الحرب العالمية الاولى. كما اوحى كتاب آخرون بانه قد التقى بـ (ستيوارت منزيس) Stewart Menzies الذي قدر له ان يكون فيما بعد رئيساً للمخابرات البريطانية اثناء الحرب العالمية الثانية. بالاضافة الى ذلك، هنالك قصص توحي هي الاخرى بان (كناريس) زود نظيره البريطاني عام ١٩٤١ بمعلومات مفيدة. أود الآن تمحيص قصص (كناريس) الثلاث بالتفصيل.

الى يومنا هذا تم نشر ثلاثة اعمال باللغة الانكليزية تناولت جميعها سيرة (كناريس) بينما لم يكتب عن (منزيس) سوى القليل. ان فهم السبب ليس بامر عسير فقد اعدم (كناريس) في (فلوسينبرغ احد معسكرات الاعتقال النازية وذلك في نيسان من عام ١٩٤٥ لاشتراكه في مؤامرة العشرين من تموز (١٩٤٤) التي استهدفت حياة هتلر وبذلك اصبح اسطورة الى حد ما. أما (منزيس) فقد استمر في عمله كرئيس للمخابرات البريطانية لحين احالته على التقاعد في عام ١٩٥٢. وقد اقتضى العرف أ لا يظهر أسمه على الملأ اثناء وجوده في الوظيفة إلا نادراً، وان قلة من الناس كانوا على دراية بهويته حتى اصبح واسع الانتشار اثر نشر كتاب (إج. مونتجومري هايد) «الكندي الهادئ» في عام ١٩٦٢.

تمتع (كناريس) بمهنة ذات طابع استثنائي. فقد كان ضابطاً بحرياً برتبة دنيا عندما نسب للعمل على ظهر الطرادة الالمانية (دريزدن) وقد ذاق طعم القتال في معركة (فوكلند). وفي نيسان من عام ١٩١٥ أغرقت هذه السفينة في المياه (التشيلية) وأعتقل طاقمها. ولكن هذا لم يثن (كناريس) عن عزمه. فسرعان ما هرب من الاعتقال. وقد تمكن بفضل هوية مزيفة من شق طريقه ببطء ومشقة عبر جبال (الأنديز) الى (بوينس آيرس) ومنها توجه الى (هولندا) المحايدة عن طريق ميناء (فالموث) Falmovth البريطاني. وقد انطلى زيف وثائق السفر التي حملها (كناريس) على السلطات المختصة في ميناء (فالموث) الامر الذي مكنه من الاستمرار في رحلته الى برلين حيث عاد ليباشر عمله وذلك خلال شهر تشرين الاول من عام ١٩١٥. وبدلاً من ان يعين للعمل على ظهر سفينة اخرى قامت قيادة القوة البحرية الالمانية بتكليفه بمهمة سرية في (مدريد). ان التفاصيل المتعلقة بمهمته في إسبانيا متناثرة وغير واضحة بالرغم من اكتشاف صحيفة اعماله (الموجودة حالياً في معهد التأريخ المعاصر في مدينة ميونخ) بعد انتهاء الحرب، الامر الذي فسح المجال لكثير من التأمل والتخمين حول ارتباطاته المزعومة بعدد من العملاء السريين بما فيهم (ماتاهاري) mata Hari الشهيرة.

لقد استند اساس هذه الاسطورة على ما يبدو على التصور بان (كناريس) و (ماتاهاري) ـ التي كان اسمها الحقيقي (مارجريت ماكلاود) بالرغم من انها كانت هولندية الجنسية ـ قد سكنا العاصمة الاسبانية في نفس الوقت، وبان هذه الهولندية السيئة الطالع كانت على اتصال بالملحق البحري في السفارة الالمانية في (مدريد). واستناداً الى ما رواه الكاتب (كرت سنجر) Kurt Singer في كتابه «الجواسيس والخونة في الحرب العالمية الثانية Spies And of Traitors of World War 11 فان هذا ارتباط بين (كناريس) و (ماتاهاري) قد «تطور الى علاقة غرامية عاطفية»[1]

وعندما تم تجنيدها من قبل الخدمات السرية الالمانية للعمل كجاسوسة تحمل الرقم الرمزي (H — 21) زُعم بانها سافرت الى (باريس) حيث ابتدأت عملها بجد وامانة لصالح (كناريس). وقد اتضح بعد ذلك بانها قد عادت الى اسبانيا في تاريخ غير معلوم من عام ١٩١٧ لتلتقي بعشيقها للمرة الاخيرة. ويوحي (سنجر) بان (كناريس) كان ساخطاً عند مقابلته لها «إلا انهما سرعان ما تصالحا وقضيا اسبوعاً مع بعضهما»[2]

وبعد ان استعادت طمأنينتها عادت الى فرنسا لتستأنف نشاطها اللا مشروع إلا انها اعتقلت بتهمة التجسس وتم اعدامها بعد ذلك. وكان صُلب الموضوع الذي انطلق منه الادعاء العام في صحبته ضد (ماتا هاري) هو قدومها الى (باريس) تحت غطاء الحياد الهولندي بهدف الحصول على اسرار عسكرية فرنسية. ولما كان من المعلوم بان السيدة (ماكلاود) قد اعتقلت من قبل السلطات الفرنسية بتأريخ ١٩١٧/٢/١٢ ومن ثم تم اعدامها رمياً بالرصاص في (ڤانسان) Vincennes في الخامس عشر من تشرين الاول من نفس العام، بعد ان ثبت تجسسها لحساب الالمان، فقد افتُرض بان عودتها للقاء (كناريس) لابد ان تكون قد تمت في غضون الاسابيع الستة الاولى من عام ١٩١٧. ولا يخلو سياق الاحداث هذا من خطأ إذ ان (كناريس) كان قد نقل للعمل في الغواصات في تشرين الاول من عام ١٩١٦. اما خلال الشهرين الاولين من عام ١٩١٧ فقد كان (كناريس) يحضر دورة تدريبية في مدرسة الغواصات في (إيكير نفورد) Eckernforde . فاذا كان موعد اللقاء الثاني بين (كناريس) و (ماتاهاري) امراً اختلقته مخيلة (سنجر) فما عسى ان يكون الموعد الاول؟ ان المقارنة بين التحركات المعروفة لكل من (كناريس) والسيدة (ماكلاود) توضح تفاصيل هذه القضية.

استناداً الى التواريخ الرسمية المثبتة في جواز سفرها الهولندي الذي احتفظت به وزارة الحرب الفرنسية بعد اعدامها، فان اول زيارة لـ (ماتاهاري) الى اسبانيا قد تمت

في حزيران من عام ١٩١٦ وذلك اثناء سفرها من (لاهاي) الى (باريس) إذ ان ظروف الحرب قد جعلت سلك هذا الطريق الطويل امراً لابد منه. وكانت (ماتاهاري) قد بارحت (هولندا) على ظهر الباخرة (إس. إس. زيلانديا) - احدى بواخر خطوط (لويد) الهولندية الملكية - بتأريخ ١٩١٦/٥/٢٢، وقد وصلت العاصمة الاسبانية بتأريخ ١٩١٦/٦/١٢. وبعد يومين من التأريخ الاخير هذا استأنفت رحلتها بالقطار وعبرت الحدود الفرنسية عند مدينة (هنداي) Hendaye وقد وصلت باريس في السادس عشر من حزيران.

اما دخولها القطر الاسباني بالقطار في المناسبة التالية فقد تم عن طريق مدينة (إرون) Irun وذلك في اوائل شهر تشرين الثاني من عام ١٩١٦. وكانت على ما يبدو تحاول الرجوع الى (لاهاي). وبعد وقفة قصيرة في (مدريد) استأنفت رحلتها غير المباشرة هذه بين (باريس) و (هولندا). وقد استقلت الباخرة (إس. إس. هولانديا) من ميناء (ڤيجو) Vigo وذلك للوصول الى هولندا، إلا انها احتجزت من قبل بعض رجال الشرطة البريطانية لغرض التحقيق معها وذلك في ميناء (فالموث). وبعد ان اطلق سراحها لم تستأنف رحلتها الى (امستردام) بل عادت الى (مدريد) حيث سكنت في فندق (بالاس). وقد مكثت في هذا الفندق من العاشر من كانون الاول عام ١٩١٦ حتى الثاني من كانون الثاني عام ١٩١٧ وبذلك فقد زارت هذه الجاسوسة الاسطورية العاصمة (مدريد) في رحلتين قصيرتي الامد ورحلة ثالثة اطول من سابقيتها بقليل. ومن جانب آخر، يشير سجل خدمة (كناريس) بانه كان قد ترك (برلين) بتأريخ ١٩١٥/١١/٣٠ ووصل الى (مدريد) بعد بضعة ايام قضاها بالسفر براً عبر ايطاليا وفرنسا مستخدماً هويته (التشيلية) المزورة.

وبعكس ادعاء (سنجر) بان «(كناريس) كان قد أرسل ظاهرياً بصفة ملحق عسكري الى اسبانيا»، فان اتصال هذا الضابط البحري باعضاء السفارة الالمانية في (مدريد) كان قليلاً جداً كما انه لم يكن معتمداً من الناحية الدبلوماسية. وتشير اضبارته الشخصية كذلك الى تركه اسبانيا بتأريخ ١٩١٦/٢/٢١ متظاهراً بانه مواطن (تشيلي) كان في طريقه الى المعالجة في احدى مستشفيات السل في (سويسرا). ولكنه احتجز في ميناء (جنوا) من قبل الشرطة الايطالية إلا انه تمكن بطريقة مامن الافلات والعودة الى اسبانيا بتأريخ ١٩١٦/٣/١٥. وفي نفس الوقت كانت اركان القيادة البحرية الالمانية تعبر عن قلقها بصدده، فهنالك عدد من البرقيات التي لا تزال باقية الى يومنا هذا والتي تؤكد على ضرورة رجوع (كناريس) ومباشرته العمل في مقر سلاح الغواصات التابع

لـ (قيادة اسطول البلطيق). واخيـراً تمكن (كناريس) من تحقيق لقـاء مع الغـواصة (يو ـ ٣٥) خارج ميناء (قرطاجه) وذلك بتأريخ ١٩١٦/٩/٣٠. وبعد تسعة ايام من التأريخ الاخير هذا وصل الى المانيا بسلام.

يتضح من سير الاحداث التي وصفناها اعلاه بان (كناريس) قد قضىٰ الفترة من كانون الاول من عام ١٩١٥ الى ايلول من عام ١٩١٦ في اسبانيا ـ باستثناء فترة الثلاثة اسابيع التي قضاها في ايطاليا خلال شهري شباط وآذار من عام ١٩١٦ ـ وبذلك فانه لم يكن موجوداً في هذا القطر ليتمكن من تكوين علاقة بـ (ماتا هاري) وذلك في مناسبتين من المنـاسبات الثـلاث التي كانت خـلالها في (مـدريد). ولكي يكـون لعلاقـة (كناريس) بـ (ماتاهاري) نصيب من الصحة كان عليها ان تحدث خلال اول توقف وجيز لهـذه السيدة في (مدريد) والذي دام مدة ثمان واربعين ساعة وذلك في اواسط شهر حزيران من عام ١٩١٦، اذ ان توافق وجود كل منهما في (مدريد) قد تم خلال هذه الفترة الوجيزة فقط، فهل كان حدوث ذلك ممكناً؟

يمكن الاجـابة عـلى هذا السـؤال فقط من خـلال النظر الى نشـاطات ضبـاط الاستخبارات الالمان الذين كانوا يعملون في (مدريد) خلال هذه الفترة. وقد اصبح الامر معقداً نتيجة الروايات المختلفة بخصوص تحديد من بالضبط قام بتجنيد (ماتاهاري) كعميلة المانية. ففي عام ١٩٢٠ اشار الرائد (توماس كوولسون) Thomas Coulson، وهو اول من كتب سيرتها، الى سلسلة من قصص الجرائد نشرتها جريدة (إل لبيرال) Elliberal (المدريدية) والتي زُعم، على حد تعبيره، بانها:

«تكلمت بصراحة عن العلاقة بين رئيس الخدمات التجسسية الالمانية في (مدريد) والراقصة التي كانت تسكن في فندق (رتز) وكان ضباط الدول الحليفة العاملين في العاصمة الاسبانية على بينة من ان (ماتاهاري) كانت قد جندت للعمل من قبل (ڤون كروون) Von Kroon قبل نشر هذه المقالات. ويشير هذا الامر الى ان هذه الراقصة كانت تقطع خط الرجعة على نفسها بصورة علنية نتيجة تقبلها بان يشار اليها كجاسوسة المانية[٣]

يتضح من ذلك بان الملازم (فون كروون) «قد جند (ماتاهاري) للعمل معه كما اتخذ منها عشيقة له في نفس الوقت وبالرغم من ذلك فان السجل الذي يضم تفاصيل التحقيق الذي اجرته السلطات الفرنسية مع (ماتاهاري) يشـيرالىشخص معين بـاسم الرائد (ڤون كالي) Von Kalle بصفته الضابط الالماني الوحيد الذي تم اتصالها به في شهر

كانون الاول من عام ١٩١٦. ومن المحتمل، على ما يبدو، ان يكون (كوولسون) قد وقع في خطأ عندما اشار الى اسم (ڤون كروون) وان المقصود هو الملحق البحري الالماني المقدم (هانزڤون كروهن) Hanz Von Krohn .

اما (ڤون كالي) فقد كان دون ادنى شك الملحق العسكري الالماني في (مدريد) اي انه الرائد (كالي). هذا وان الادلة التي تدعم ذلك موجودة في الوثائق التي تم اعتمادها اثناء محاكمة (السيدة ماكلاود) في باريس. وتضم هذه الوثائق ايضاً اضبارة تحتوي على عدد من البرقيات التي كانت قد ارسلت الى (برلين) والتي تم التقاطها من قبل محطة رصد فرنسية عملت في ذات الوقت على فك رموزها المجفرة. وقد قام الادعاء العام الفرنسي في شهر تموز من عام ١٩١٧ بتقديم نصوص هذه البرقيات المؤرخة خلال الفترة من ١٣/١٢/١٩١٦ الى ٨/٣/١٩١٧ لانظار المحكمة. واستناداً الى ما اورده المحقق الذي تولى التحقيق معها - وهو (پيير بوستاردون) Pierre Bouchardon في مذكراته التي نشرها عام ١٩٥٣ بعنوان «ذكريات» Souvenirs - فان نصوص هذه البرقيات قد قررت مصير (ماتاهاري) بصيغة نهائية. وقد اعترف محامي الدفاع بانها كانت قد جندت من قبل (ڤون كالي) ولكنه اصر في عين الوقت على الادعاء بانها قد وضعت نفسها في خدمة الملحق العسكري الالماني هذا تنفيذاً لتعليمات احد ضباط الاستخبارات الفرنسيين.' وقد افادت (ماتاهاري) بدورها بان (ڤون كالي) كان قد دفع لها مبلغاً قدره (٣٥٠٠ بسيته اسبانية) لقاء كونها عشيقته. وبالرغم من ان اسم (ڤيلهيلم كناريس) لم يرد بالمرة خلال المحاكمة إلا ان ذلك لم يمنع الكتّاب والمراقبين الذين تناولوا الموضوع لاحقاً من الاستمرار في تشويش سياقات هذه القصة.

وقد كان المؤرخ العسكري (آرش وايتهاوس) Arch Whitehouse احد هؤلاء الكتاب وهو الذي كان قد انطلق من خلال عمل سابق له بعنوان «ابطال واساطير الحرب العالمية الاولى» Heroes Ard Legends of World War I الى الطعن في تفاصيل بعض الاساطير الشائعة. وقد اعتبرت دار (دوبلداي) Doubleday للنشر، التي تولت نشر هذا الكتاب، بان هذا العمل هو، على حد قولها، «سرد موضوعي جدير بالاحترام». ولكن عندما وصف (وايتهاوس) قضية السيدة (ماكلاود) في كتابه (التجسس والتجسس المقابل) Espionage Ard Counterespionage علق قائلاً «في مدريد جددت (ماتاهاري) معرفتها القديمة بملحقي سفارة المانيا البحريين النقيبين (كناريس) و (ڤون كالي) اضافة الى الملحق العسكري الالماني الرائد (ڤون كرون) Von Kron. وكان هؤلاء الثلاثة يدفعون لها

الاتعاب لقاء خدماتها من المبالغ المرصودة لاغراض التجسس»[٤]

لقد ثبت بان (وايتهاوس) لم يكن على علم بان (ڤون كروهن) Von Krohn كان في الواقع هو الملحق البحري وبأن (كناريس) لم يتمتع باية صفة دبلوماسية. وفي كل الاحوال فان (وايتهاوس) لم يكن اول من عقّد قصة (ماتاهاري). فقد ارتبك (السير بازل تومسون)، Sir Basil Thomson معاون رئيس شرطة العاصمة (لندن)، هو الآخر في تحديد التواريخ.ويجدر بنا في هذه المرحلة من حديثنا ان نخرج قليلاً عن الموضوع لنسرد بعض التفاصيل المضللة التي يجد الباحث، الذي يريد تتبع نشاطات وتحركات (ماتاهاري)، بانه مجبر على متابعتها. لقد ظهر المجلد الاول من مذكرات (تومسون): «اناس غريبو الاطوار» Queer People عام ١٩٢٢. وقد تضمن هذا المجلد سرداً لما دار اثناء المناسبتين التي تم له من خلالهما مقابلة السيدة (ماكلاود) في لندن وذلك اثر احتجازها واجبارها على النزول من على ظهر السفينة (اس. اس. هولانديا) في تشرين الثاني من عام ١٩١٦. وتؤيد القيود الموجودة لدى (سكوتلنديارد) بان هاتين المقابلتين قد تمتا فعلاً. ولكن (السير بازل) هذا يذكر بان السلطات الفرنسية كانت، على حد قوله:

«قد حكمت على (ماتاهاري) بالاعدام بتأريخ ١٩١٦/٧/٢٥. إلا ان تنفيذ الحكم قد تأخر لفترة طويلة، كما هو عليه الحال في مثل هذه القضايا، ولم يتم حتىٰ يوم الخامس عشر من تشرين الاول حين ارسلت (ماتاهاري) من سجن (سان لازار) الى سجن (ڤانسان) لهذا الغرض»[٥]

لقد قدم سرد (السير بازل تومسون) تواريخ الاحداث باثني عشر شهراً. ومن الواضح انه تسبب في ارباك عدد من الذين كتبوا عن الموضوع بعده. ومما زاد الامر سوءاً ان (السير بازل) هذا قد اعطىٰ فكرة خاطئة عن توقف (ماتاهاري) الاول في (مدريد) ـ ذلك التوقف الوجيز ذو الاهمية البالغة والذي كان بطبيعة الحال قد تم في اواسط شهر حزيران من عام ١٩١٦ عندما كانت في طريقها الى باريس. ويقول (تومسون) بهذا الصدد:

«في تموز من عام ١٩١٧، كانت (ماتاهاري) تنفذ عقداً يتعلق بادائها بعض العروض الراقصة في (مدريد) عندما وردت معلومات الى انجلترا تفيد بانها كانت تعاشر بعض اعضاء منظومة الخدمات السرية الالمانية وبانها من المتوقع ان تكون بعد فترة قصيرة من الزمن في طريق عودتها الى المانيا عن طريق هولندا. لقد حدث هذا بالحقيقة في وقت مبكر من عام ١٩١٦. وبعد ان توقفت السفينة في ميناء (فالموث) تم انزال (ماتاهاري) براً ومعها حقيبتها الكبيرة التي احتوت على ما تتطلبه مهنتها من ملابس،

حيث تمت مرافقتها (من قبل رجال الشرطة المكلفين) الى لندن»[٦]

في الواقع كان تاريخ هذه الحادثة بالذات في ١٩١٦/١١/١٣ وبذلك ابتعد (تومسون) عن التأريخ الصحيح بفترة عام واحد. ومن الواضح كذلك انه اخطأ في تحديد تأريخي مقابلتيه للسيدة (ماكلاود). وفي كل الاحوال فان هذه السيدة كانت في تموز من عام ١٩١٥ تقدم عروضاً راقصة في (باريس) لا في (مدريد). وبمجرد ان نجمع بين الخطأ الذي وقع فيه (تومسون) عند وصفه لرحلة تمت من (مدريد) الى (فالموث) «في وقت مبكر من عام ١٩١٦» ـ وهي رحلة لم يكن لها وجود في الواقع ـ والخبر الذي يفيد بان (كناريس) كان في (مدريد) منذ شهر كانون الاول من عام ١٩١٥ يصبح من السهل علينا ان نرى كيف ابتدأ الارباك. وفي السنوات التي تلت، حاول مؤلفون آخرون متابعة اسفار (ماتاهاري). ففي كتاب (الجاسوس والجاسوس المقابل) Spy And Counter — Spy نجد بان المؤلف (رتشارد روان) Richard Rowan قد ارتبك وانحرف فيما رواه. لقد قال عن (ماتاهاري):

«بعد ان ملّت التظاهر بالتجسس لحساب فرنسا، يممت وجهها شطر اسبانيا عن طريق هولندا وانجلترا. وبعد ان تم تنبيه السلطات البريطانية الى حقيقة امرها وذلك من قبل عملاء مقاومة الجاسوسية التابعين لهذه السلطات والعاملين في هولندا، سمحت لها الجهات البريطانية المختصة في ميناء (فالموث) بالنزول الى البر والسفر الى لندن وذلك عندما تأكد لهم بانها كانت ستستضاف من قبل (نيوزكوتلاندیارد)»[٧]

وهكذا صور (رتشارد روان) (ماتاهاري) وهي تقوم بزيارة (اختيارية) الى لندن اثناء سفرها من هولندا الى اسبانيا بالرغم من اننا على بينة تامة من انها كانت في الحقيقة تسافر في الاتجاه المعاكس بالضبط اذ انها عندما نزلت الى البر في ميناء (فالموث) فانها كانت في طريق عودتها من اسبانيا.

وبعد مرور اربع سنوات على ما اضافه (روان) الى هذه الاسطورة من تفاصيل، قام (هيو كليلاندهوي) Hugh Cleland Hoy بنشر كتابه « ٤٠ أو. بي.» 40 O.B. الذي تناول فيه تاريخ استخبارات القوة البحرية البريطانية في الحرب العظمى. وقد قدم (هوي) في كتابه هذا تفسيراً جديداً لرحلة (ماتا هاري) من (مدريد) الى (فالموث) ومن ثم عودتها الى (مدريد ثانية. ويقول (هوي) بهذا الصدد:

«كانت قد ارسلت الى هولندا والمانيا عن طريق اسبانيا وقد ابحرت من (ڤيجو) Vigo الى ميناء انتوبرب Antwerp الذي كان حينئذٍ محتلاً من قبل الالمان. إلا ان دورية بحرية

بريطانية اوقفت السفينة في بحر (المانش) واكتشف وجود (ماتا هاري) على ظهرها. بعد ذلك استلم الاميرال (هول)Hall برقية لاسلكية تضمنت طلب ارسال التوجيهات حول كيفية التعامل مع هذه المسافرة. وبالرغم من ان دائرة الاستخبارات لم تكن على علم بتوظيف (ماتاهاري) للعمل لمصلحة فرنسا. فانها كانت تعلم الكثير من اخبار هذه السيدة. وقد وجد الخبر الذي افاد بانها كانت في طريقها الى المانيا توافقاً مع ما كان لدينا من معلومات سابقة عنها. ولهذا السبب اجاب الاميرال (هول) على الفور موعزاً بجلب (ماتاهاري) الى انجلترا وارسالها الى (سكوتلند يارد) بغية التحقيق معها.»[٨]

ان قيام (تومسون) شخصياً بكتابة مقدمة كتاب (هوي) قد اعطىٰ العمل هذا خصوصية غير اعتيادية. وفي الحقيقة لم يكن هنالك لـ (تومسون) او (هول) اية علاقة بالاحتجاز الابتدائي لـ (ماتا هاري) والذي حدث، بطبيعة الحال، في ميناء (فالموت). واستناداً الى ما تفيده (سكوتلند يارد) فان احد ضباط (الشعبة الخاصة) الذي كان خفراً في ميناء (فالموث) بتأريخ ١٢/١١/١٩١٦ قد اخطأ في تشخيص هوية السيدة (ماكلاود) الحقيقية والتي ظن بانها كانت عميلة المانية تدعىٰ (كلارا بنديكت Clara Benedict. وقد رافق هذا الضابط نفسه، وهو المدعو (جورج غرانت) George Grant، (ماتاهاري) الى لندن حيث قام بتسليمها هنالك الى رئيس المفتشين ـ المخبر پاركر Detec Cheif Inspector Parker. وقد اودعت اثر ذلك سجن (هولواي). وبعد ان قابلها (تومسون) وثم التأكد من هويتها الحقيقية نُقلت من السجن الى فندق (السافوي) وذلك قبل ان توضع على ظهر اول سفينة متوجهة الى اسبانيا.

وقد ازدادت قصة (ماتاهاري) تعقيداً بفضل ما كتبه مؤلف آخر هو المؤرخ البحري المشهور الاميرال (وليم جيمس) William James الذي كتب عام ١٩٥٥ سيرة الاميرال (هول) مدير الاستخبارات البحرية البريطانية الاسبق الذي شغل المنصب هذا خلال معظم فترة الحرب العالمية الاولى. وهنالك مقطع من كتاب (عيون البحرية)The Eyes of The Navy للاميرال (جيمس) يذكر القارى بخطأ رواية (تومسون) الاصلية اذ انه يُشرك الاميرال (هول) مع (تومسون) في التحقيق الذي تم مع (ماتا هاري). ويقول (جيمس) بهذا الصدد

«في شهر تموز من عام ١٩١٦ كانت في (مدريد). وقد شاع خبر معاشرتها لبعض اعضاء منظومة الخدمات السرية الالمانية ولذلك عندما رست في ميناء (فالموث) السفينة التي كانت تقل هذه السيدة، وهي في طريق عودتها الى هولندا، وذلك في وقت مبكر من عام ١٩١٦ ثم انزالها الى البر حيث جيئ بها الى لندن).

وبالرغم من قناعة (تومسون) و (هول) بانها كانت تعمل لحساب الالمان، وبانها كانت في طريقها الى المانيا وهي تحمل معلومات كانت قد حفظتها في ذاكرتها، لم تتوفر المعلومات الكافية لتبرر اعتقالها وبذلك تم اعادتها الى اسبانيا»[٩]

وبعد عكسه فكرة خاطئة عن لقائه بالسيدة (ماكلاود) فان (تومسون) قام، على ما يبدو، باثبات رواية (جيمس) وذلك بخصوص نفس الحادثة. وهكذا يتضح بان هنالك عدداً يكاد يكون غير محدود من التعليلات والشروح البديلة التي تتيح لاسطورة او اخرى فرصة ديمومتها المستمرة. وبالنسبة لـ (جيمس) و (تومسون) فانهما اضطرا الى اثبات ان (ماتاهاري) كانت تمارس التجسس لحساب الالمان، إن لم يكن لحساب (كناريس) نفسه، وذلك قبل حدوث الخطأ في تحديد هوية (ماتاهاري) - ذلك الخطأ الذي وقع في ميناء (فالموث) في تشرين الثاني من عام ١٩١٦.

لقد دامت اسطورة (ماتاهاري) حتىٰ عام ١٩٦٩ عندما تحدث (ريتشارد ديكون) Richard Deacon عن (كناريس) وذلك من خلال كتابه «تاريخ الخدمات السرية البريطانية» AHistory of The British Secret Service. يقول (ديكون): «... وقد اشتهر عنه بانه كان يدفع المال لـ (ماتاهاري) لقاء تجسسها على الفرنسيين. وكانت الخدمات السرية البريطانية على علم بانه كان يعمل ضد الحلفاء في (مدريد) وذلك اثناء الحرب العالمية الاولى»[١٠]

بالرغم من ان احتمال لقاء (كناريس) بـ (ماتاهاري) بين الرابع عشر والسادس عشر من حزيران من عام ١٩١٦ يبقىٰ قائماً إلا ان مجريات الاحداث ترجح العكس كما ترجح في نفس الوقت. كذلك عدم وجود اي علاقة بين (ستيوارث منزيس) و (كناريس) خلال هذه الحقبة بالذات من تاريخ السيرة الوظيفية للاخير هذا بالرغم من ان البعض يحاول جرنا الى الاعتقاد بعكس ذلك. وهنالك ملخص متقن لهذه القصة، اي لعلاقة الاثنين الاخيرين ببعضهما، وذلك في كتاب ظهر عام ١٩٨٢ بعنوان «لمحات شريرة: الحرب السرية ضد هتلر» Sinister Touchos The Secret War Against Hitler وهو من تأليف (روبرت جولدستن) Robert Goldston يقول الكاتب هذا:

«بالرغم من تواتر نوبات حمىٰ الملاريا التي كانت تداهمه، فقد اثبت (كناريس) مهارة فائقة في اكتشاف الطرق البحرية التي كانت تسلكها السفن التجارية الحليفة الامر الذي ادى الى ابتداء الحصاد الرهيب الذي جنته الغواصات الالمانية التي تواجدت آنذاك في البحر المتوسط. وسرعان ما استرعىٰ الامر انتباه المخابرات البريطانية MI—6 التي اسرعت في ايفاد النقيب (ستيوارت منزيس) Stewart Menzis الى اسبانيا وكلفته بواجب اسر (كناريس) او قتله. وبالرغم من المشقة التي عانىٰ منها (كناريس) في تحقيق

نجاته في عدد من المناسبات، فقد تمكن من الاستمرار في مراوغة (منزيس) حتى استطاع في النهاية الافلات منه والعودة الى المانيا حيث اصبح قائد غواصة. وقد تمكن بصفته الاخيرة هذه من اغراق ما يقرب من ثماني عشرة سفينة من سفن الحلفاء في البحر المتوسط. وكانت تلك المناسبة هي الاولى والاخيرة التي تحقق من خلالها لهذين الرجلين اللقاء في ميدان المعارك، إلا انها في الحين ذاته كانت فاتحة لعلاقة طويلة الأمد إتسمت بالتعقيد والغرابة»[١١]

من اين جاء (جولدستن) بهذه القصة؟ هنالك دليل يمكن اكتشافه من خلال الاطلاع على عناوين الكتب التي يوصي هذا الكاتب قراءه على مراجعتها ومنها كتاب «غطاء من الاكاذيب» Bodyguard of Lies لـ (انطوني كايْف براون) Anthony Cave Brown وكتاب «رجل يدعى الجسور AMan Called Intrepid للكاتب (وليام ستفنسون) William Stevenson. وقد تم نشر هذين الكتابين في عام ١٩٧٦. ويتضح بصورة مؤكدة بان (جولدستن) قد اقتبس قصة لقاء (منزيس) و (كناريس) من الكاتب (كايْف براون). وقد ادعى الاخير هذا قائلاً: «في صيف عام ١٩١٦ أرسل النقيب (منزيس) احد منتسبي المخابرات البريطانية الى اسبانيا لقتل او اسر الشاب الالماني. وقد قدر ان يكون اللقاء هذا بينهما الاول والاخير في ساحة المعارك»[١٢]

ان التفاصيل المتعلقة بمهمة (منزيس) قليلة ومتناثرة وقد اقتصر عدد المجالات التي يشير (كايْف براون) من خلالها الى هذه المهمة على على اربع جمل وجيزة. تبدأ الاشارة الاولى في اعقاب محاولة (كناريس) الفاشلة التي اراد من خلالها العودة الى المانيا عن طريق ايطاليا وسويسرا في شباط من عام ١٩١٦ وذلك بفضل وثائق السفر (التشيلية) التي كان يحملها. وكما شاهدنا، فان افلاته من قبضة السلطات الايطالية قد مكنه من العودة الى (مدريد) في منتصف الشهر التالي. وقد عزا (كايْف براون) امكانية افلات (كناريس) الى تدخل (فرانشيسكو فرانكو) Francisco Franco الذي استطاع اقناع السفير الايطالي في (مدريد) وحثه على العمل من اجل اطلاق سراح (كناريس). وبعد ان تمكن هذا الضابط الالماني من النجاة من الاعدام فانه، على حد تعبير (كايْف براون): «عاد الى (مدريد) في شهر آب من عام ١٩١٦. وسرعان ما قام (منزيس) بتعقب خطاه»[١٣]

ويوحي (كايْف براون) بان (كناريس) لم ينصرف عن رغبته في العودة الى المانيا وبذلك فانه اتخذ التدابير اللازمة بشأن قيام احدى الغواصات الالمانية بالتقاطه واعادته الى وطنه. وبهذا الخصوص يقول (كايْف براون):

«كان الموعد في خليج (ساليترونا) Salitrona الذي يقع خارج ميناء (قرطاجه)

Cartagena. وقد قام (منزيس) وفريق من رجال مقاومة الجاسوسية التابعين للدول الحليفة بمطاردة (كناريس) الذي اضطر، اثر وصوله الى الموقع المطلوب ، الى اللجوء الى الباخرة الالمانية المحتجزة (روما) Roma. وسرعان مـا اكتشف (منزيس) مـوقع لجـوءه وذلك بواسطة شاب يهودي يدعى (خوان مار ش) Juan murch. وكان هذا الشاب يسيطر آنذاك على جميع مرافق الحياة في الواجهة المائية لميناء (قرطاجة) وقد كتب له فيما بعد السيطرة على الاقتصاد الاسباني. وبفضل مساعدة (مارش) هذا استـطاع (منزيس) فـرض الحصار على السفينة (روما)».

لقد أوحي بان (كناريس) استطاع تحت غطاء ظلمة الليل ان ينفذ الى احدى قوارب الاسطول المحلي لصيد اسماك الاسقمـري mackerel. وقد اقتضى المخـطط الذي اعده (كناريس) لتحقيق هربه ان يتم اللقاء بالغواصة الالمانية في عرض البحر. وكان على قائد الغواصة ان يشخص السفينة التي كانت تقل (كناريس) من خلال رفعها علمـاً احمر اللون مثلث الشكل وكذلك من خلال قيامها بارسال وميض يعطي دلالة على الحرف (إم M): بلغة مورس وذلك في الوقت المحـدد ويقول كـايُف براون «علم (منـزيس) بهروب (كناريس) وبذلك اتصل لاسلكياً بكافة الغواصات، والسفن الاخرى، الفرنسيـة التي كانت ترابط على نفس الاتجاه الذي كان من المزمع ان يتم فيه لقاء (كناريس) بالغواصة (يو ـ ٣٥)35 — U».

وفي تمام الساعة (٠٦٣٢) صعدت الغواصة الى سطح الماء وسط اسطول الصيد آنف الذكر وسرعان ما تمكنت من انتشال (كناريس) ومرافقيه لتختفي ثانية تحت سطح الماء بسرعة وامان. اما الغواصتان الفرنسيتان (توپـاز) Topaze و (اوپال) Opale فلم تدركا ما كان يدور من احداث اذ كانتا في ذلك الوقت بالذات تحت سطح الماء «وبالرغم من انهمـا كانتـا في مستوى يسمـح لهما المـراقبة من خـلال منظار الافق لكـل منهمـا (البيرسكوب) إلا ان اشعة الشمس) المشرقة قد حالت دون تمكنهما من الرؤية.»

ولا يذكر (كيف براون) لهذه الرواية التي من المفروض ان تكون احداثها قد جرت في الصباح الباكر من يوم ١/ ١٠/ ١٩١٦ سوى مصدر واحد الا وهو التقرير الذي رفعه (كناريس) «الى الـ (ادمر ستاب)» (كذا) Admirstab. وقد جاءت تفاصيل هذه الاحداث، على ما يبدو مشابهة لما اورده (هاينز هوهن) Heinz Hohne والتي نشر النص الالماني لها في (ميونخ) عام ١٩٧٦، اي نفس العام الذي تم فيه نشر كتاب (كيف براون) بعنوان «غطاء من الأكاذيب». اما النص المترجم الى اللغة الانكليزية من كتاب «كناريس» الذي الفه

(هوهن) هذا فلم ينشر حتى عام ١٩٧٩.

هنالك فرقان اساسيان بين روايتي (هوهن) و (كيف براون): اولاً ـ لم يتضمن النص الذي كتبه (هوهن) اي ذكر لـ (منزيس). ثانياً ـ اعتمد (هوهن) على ثلاثة مصادر كان اولها مقالاً بقلم (بودو هيرزوج). Bodo Herzog نشر في العدد الصادر يوم ٨ / ١ / ١٩٧٣من الرسالة الاخبارية (داي ناخهوت) Die Nachhut وهي نشرة دورية خاصة بضباط المخابرات الالمانية السابقين. وقد استند الكاتب في هذا المقال على ذكريات (كناريس) الشخصية. وكان المصدر الثاني تقرير قائد الغواصة (يو ـ ٣٥) الذي كتبه يوم ٢١/١٠/١٩١٦ بصدد تفاصيل هذه الحادثة بالذات. اما المصدر الثالث فكان السجل الرسمي ليوميات الحرب الخاص بالغواصة (يو ـ ٣٥) ذاتها. ويجب اعتبار النصوص الواردة في هذه المصادر الثلاثة التفاصيل الوحيدة الموثوقة بها فيما يخص نشاطات (كناريس) المتعلقة بهروبه من اسبانيا عام ١٩١٦. ولم تظهر لحد الآن اية تفاصيل اخرى معاصرة عن هذا الحادث.

ففي النص الذي اورده (هوهن) يستقل (كناريس) زورقاً شراعياً بهدف لقاء الغواصة بعد ان كان قد اتفق على ان يشكل العلم الاحمر الذي يرفعه الزورق المذكور، بالاضافة الى رفع وخفض شراعه الرئيس، الاشارتين اللتين يمكن للغواصة من خلالهما التعرف على مكان وجود (كناريس). إلا ان عميلاً فرنسياً يعمل في السفارة الالمانية افشى سر هذا اللقاء. نتيجة ذلك قامت السلطات الفرنسية بارسال الغواصة (أوپال) تصحبها سفينة حربية مساعدة عمدت الى اخفاء معالمها المميزة لتظهر على شكل سفينة صيد. وما ان رصدت سفينة الصيد المزعومة هذه زورق (كناريس) حتى اقتربت منه. إلا انها سرعان ما مضت في سبيلها بعد ان لاحظت بان افراد طاقمه كانوا جميعاً من الاسبان الامر الذي افقدها الاهتمام به. ويعزو (هيرزوغ) النص التالي لـ (كناريس) نفسه:

«سرعان ما اقتربت سفينة الصيد. اما نحن فقد اختبأنا في دكة الزورق. وما ان اصبحت السفينة اتجاه مؤخرة الزورق حتى القى ربانها نظرة الى داخله. وبعد ان لاحظ بان افراد طاقمه كانوا جميعاً من الاسبان قاد سفينته باتجاه جنوبي شرقي حيث لاحت له في الافق سفينة اخرى»[١١]

وسرعان ما برزت الغواصة (يو ـ ٣٥) الى جانب زورق (كناريس) الذي حجبها شراعه عن مرأى سفينة الصيد الفرنسية. وقد قفز الى ظهر الغواصة ثلاثة مسافرين. وفي الوقت الذي تمكنت خلاله سفينة الصيد المذكورة من ملاحظة ما دار وتقوم بدورها بتنبيه الغواصة (اوپال) كانت الغواصة الالمانية قد اختفت تحت الامواج. بعد ذلك يعود

(هيرزوغ) تارة اخرى الى الاستشهاد بما قاله (كناريس) فيكتب قائلاً: «قفزنا الى ظهر السفينة في الساعة ٦٤٠. وقد استغرقت العملية بكاملها زهاء ثلاث او اربع دقائق.»

بالاضافة الى ذلك، فقد تضمن مقال (هيرزوغ) هذا المنشور عام ١٩٧٣، ما قاله المقدم (پرادوو) Pradeau، قائد الغواصة الفرنسية (أوپـال)، الذي حدد وقت صعـود (كناريس) الى ظهر الغواصة الالمانية بالساعة السادسة مساءً اذ انه «لم يستطع ملاحظة الزورق الذي كان باتجاه غروب الشمس الامر الذي حال دون تمكنه من الرؤية.»

باستثناء هذا التباين الواضح في التوقيت، فان السرد صريح ومباشر وان لم يأت بنفس التفصيل الذي جاء به كايڤ براون). بالاضافة الى ذلك فقد ظهر ثمة نص آخر عام ١٩٧٨ وذلك في كتاب (دافيد كاهن) David Kahn بعنوان «جواسيس هتلر» Hitler' s Spies. في هذا الكتاب نجد ان الاشارة المتفق عليها بين (كناريس) والغواصة قد جمعت بين قيام الزورق برفع علم احمـر مثلث الشكل وبث الحـرف (كاي K) بلغه (مورس). وقد استشهد (كاهن) بنفس قول (كناريس) بـدون ان يعزيـه اليه. وبهـذا الصدد يقـول (كاهن):

اخذت سفينة الصيد تدنو من القارب بسرعة. امـا نحن فقد اختبـأنا في دكـة الزورق. ثم توقفت السفينة على مقربه من مؤخرة زورقنا. وبعد ان لاحظت ان افراد طاقم الزورق كانوا جميعاً من الاسبان اتجهت الى الجنوب الشرقي حيث لاحت لها في الافق سفينة اخرى»[١٥]

وعندما نأخذ بعين الاعتبار مختلف الاشارات التي لجأ اليهـا زورق (كناريس) لارشاد الغواصة، يتضح لنا غرابة عدم ابداء السفينة الفرنسية (سواء اكان منزيس على ظهرها ام لم يكن) اهتماماً اكثر بالبحث عن (كناريس).

ويتضح كذلك ان الروايات الثلاث التي صورت الحدث نفسه قد اعتمدت على نفس المصادر، إلا ان رواية (كايڤ براون) تنفرد بذاتها من ناحية ذكرها وجـود (منزيس). وبعبارة اخرى، فان مقال (هيرزوغ) كان اول المطبوعات التي لفتت الانتباه الى ظروف هرب (كناريس). وقد جاء نشر كتاب «كناريس» لـ (هوهن) بعد ذلك بثلاث سنوات. إلا ان ما اورده (كايڤ براون) بهذا الصدد يشكل المساهمة الوحيدة التي تشير الى الصلة بين (كنـاريس) و (منـزيس) ـ هـذه الصلة التي اصبحت مصـدر الكثـير من الحـديث. وبالتأكيد، لا يوجد في الوثائق الالمانية ما يؤيد هذه القصة.

كمـا يصعب ايجاد مـا يشير الى المسـاهمة البـريطانيـة في هذا الحـدث. ففي ١٨/١٢/١٩١٥ نقل (منزيس) من الكتيبة التي كان يعمل فيها الى مقر قوات الحملة

البريطانية في (مونتريو) حيث انيطت به مهام استخبارية، فكان بذلك في وضع يسمح له، على الاقل من الناحية النظرية، الاضطلاع بمهام الواجبات السرية في اسبانيا المحايدة. إلا ان تفاصيل مختلف اعمال وواجبات مقر الحملة البريطانية في (مونتريو) و (بوميري)، وكذلك تفاصيل المذكرات المنشورة لواحد، على الاقل، من كبار الضباط، وهو (السير جيمس مارشال ـ كورنوال) Sir James Marshall Cornwall الذي كتب كتاب «الحرب واشاعات الحرب» War And Kumovisol War، تشير جميعها الى وجود (منزيس) في فرنسا لا في اسبانيا. وقد يندفع المرء الى التساؤل في هذا المجال عن سبب قيام البريطانيين بارسال (منزيس) الى (قرطاجه) في الوقت الذي عرف بان هذا الميناء كان يضم شبكة متكاملة من عملاء الدول الحليفة بما فيهم الكاتب الروائي الشهير (أي. ئي. دبليو. مايسون) A. E. W. Mason الذي كان يقوم بحراسة الشاطئ الاسباني من على ظهر يخته، اذ كان آنذاك يعمل لحساب قسم الاستخبارات البحرية البريطانية. كما ان مغامراته موثقة بشكل جيد (بما في ذلك مواجهته مع غواصة المانية كانت تتزود بالوقود من مرفأ قرطاجة). وقد نشرت احدى قصصه في (مجلة المتروبوليتان الامريكية) — The American Metropolitan magazine وذلك في آذار من عام ١٩١٦ عندما كان لا يزال يمارس نشاطاته هذه في المنطقة. وفي كل الاحوال لا يمكن، على ما يبدو، التأكد مما اذا كانت المواجهة بين (كناريس) و (منزيس) قد حدثت فعلاً، اذ قد توفي (خوان مارتش) عام ١٩٦٢ وتوفي (منزيس) بعده بستة اعوام. ويهيئ مثل هذا الفراغ لنمو وديمومة اية اسطورة وهذا ما حدث فعلاً بالنسبة للعلاقة بين (كناريس) و (منزيس). ويجدر بنا في هذا المجال التساؤل عما اذا كان هنالك ما يبرر مثل هذا التشكيك؟ هنالك مقطع معين من كتاب (غطاء من الأكاذيب) يزعزع الثقة في (كايڤ براون). ففي الوقت الذي يكتب فيه عن (منزيس)، وعن معارضة (كناريس) المزعومة لـ (هتلر) في بداية الحرب العالمية الثانية، فانه يوحي في نفس الوقت بما دار من نقاش حول ما اذا كان في الامكان الوثوق بـ (كناريس) من اجل تعاونه مع المخابرات البريطانية ضد (هتلر). كما يوحي كذلك، على حد تعبيره، بان «ضباط قيادة المخابرات البريطانية كانوا منقسمين على انفسهم إزاء مثل هذه القضايا كما كتب احدهم....»[١٦]

ثم ينصرف (كايڤ براون) بعد ذلك ليستشهد بمقطع من عشرة اسطر من كتاب (تاريخ الخدمات السرية البريطانية) الذي كتبه (رتشارد ديكون). إلا ان الكاتب هذا لم يكن واحداً من ضباط المخابرات البريطانية بل كان مدير قسم الشؤون الخارجية في جريدة (السنداي تايمز) Sunday Times وكان اسمه الحقيقي (دونالد ماكورميك) Donald.

Mecormick

في عام ١٩٥١ كان الكاتب (إيان كولفن) Iun Colvin اول من اثار قضية ولاء (كناريس) اثناء فترة الحرب العالمية الثانية. وقد جاء ذلك بعد عامين من صدور كتاب (كارل هاينز آبشاجين)Karl HeirHeinzabshagen بعنوان «كناريس» - وهو كتاب يتناول سيرة هذا الضابط البحري الالماني بدقة ووضوح تامين. ويعتبر كتاب (كولڤن): «كناريس - رئيس الأستخبارات» Canaris — Cheif of Intelligence عملاً مثيراً للجدل اذ يوحي للمرة الاولى باحتمال أن كناريس كان جاسوساً بريطانياً. وقد طرح غلاف الكتاب السؤال التالي: «هل كان رئيس خدمات (هتلر) السرية حقاً عميلاً بريطانياً؟»

من الطبيعي ان يجد المؤرخون العسكريون ما ينطوي عليه هذا السؤال من معاني مختلفة الامر الذي يفسر الاهتمام الكبير الذي لقيه كتاب (كولڤن) كان كولڤن مراسلاً صحفياً متزوجاً من امراة كانت في السابق تعمل سكرتيرة لدى المخابرات البريطانية. وكان قد اوفد الى برلين قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية حيث كان يرسل تقاريراً اخبارية لعدد من الصحف البريطانية بما فيها جريدة (النيوز كرونكل). ولم يتعقب (كولڤن) اخبار (كناريس) اثناء وجوده في برلين، بل انه، حسبما يرويه هو شخصياً، تعرف على جوانب قصة (كناريس) في انجلترا وبعد ان وضعت الحرب اوزارها. فيقول بهذا الصدد:

«لقد طرحت هذه الاسئلة على احد وكلاء الوزارات اثناء تناولنا طعام الغذاء، وكان ذلك بعد انتهاء الحرب. وقد علق وكيل الوزارة هذا مؤكداً: «لم تكن استخباراتنا في وضع سيئ. وكما تعلم كان لدينا (كناريس) وهو امر بالغ الاهمية»[١٧]

بالرغم مما لهذا المصدر من اطلاع واسع، على ما يبدو، فان (كولڤن) لم يحقق الكثير من النجاح في ايجاد الجواب على سؤاله (اي السؤال الذي يطرحه غلاف الكتاب). وقد علق على هذا الجانب بالذات (جورج كونستا نتنيدس george Constantinides - وهو احد منتسبي وكالة المخابرات المركزية السابقين - وذلك من خلال كتابه التحليلي البارع «الاستخبارات والتجسس: دراسة تحليلية في مجموعة المؤلفات والمطبوعات المتعلقة بهذا الموضوع Intelligence And Espionage: An Analytical Bibliography اذ يقول: «لقد ترك (كولڤن) الاجابة على هذا السؤال لقرائه»[١٨]

كان (كولڤن) مدركاً دون شك بان عمالة (كناريس) البريطانية ليست إلا امراً بعيد الاحتمال. وقد اعترف بذلك شخصياً حين قال:

«بالرغم من الفرص التي مكنتني - عبر عدد من السنين التي عملت خلالها في

برلين مراسلاً صحفياً لعدد من الصحف البريطانية ـ من القاء نظرات خاطفة على نشاطات رئيس الاستخبارات العسكرية الالمانية، لم يخطر في بالي ان اصفه كعميل بريطاني تماماً مثلما لا يخطر على بالي بالمرة ان اصف (تاليراند)* Talleyrand عميلاً بل (كاسلرية*) Castlereagh.»

لم يمنع هذا الوصف الأمين من كتب لاحقاً من المراقبين من الانصراف الى المبالغة فيما رواه (كولفن) والى اعطاء فكرة خاطئة عنه. وقد اشار الكاتب (مولوي مايسون) Molloy Mason في كتابه «قتل الشيطان» To Kill The Devil الى أن (كولفن) كان «صديق الاميرال (كناريس) والمؤتمن على اسراره»[19]

بعد مرور ست سنوات تناول (كولفن) هذا الموضوع ثانية في طبعة منقحة من كتابه «كناريس: رئيس الاستخبارات» تولت نشره دار (پان) على شكل كتاب ورقي الغلاف Paperback وتحت عنوان جديد هو «كناريس: العدو السري لهتلر» Canaris: Hitler's Secret Enemy. وقد كتب (كولفن) مقدمة جديدة لهذه الطبعة حدد فيها المصدر الاصلي لمعلوماته وذلك بقوله: «لقد توفي (السير كريستوفر وارنر) Sir Chrstopher Warner وكيل وزارة الخارجية (البريطانية) اثناء اعداد طبعة هذا الكتاب للنشر. ويعود فضل تبلور الفكرة الرئيسة لهذا الكتاب لما سبق وان ابداه لي من ملاحظات عرضية»[20]

ويعتبر تحديد هذا المصدر من قبل (كولفن) خطوة كان من شأنها اعطاء الموضوع وضوحاً اكثر. ففي الوقت الذي تمّ فيه نشر كتاب «كناريس: رئيس الاستخبارات كان (وارنر) سفير بريطانيا المعتمد لدى بلجيكا قد وصل آنذاك قمة خدمته المتميزة في وزارة الخارجية. ولعله من المؤسف أن لا يتمكن (وارنر) هذا من تأييد ما قاله (كولفن) بسبب وفاته. ويبقىٰ هنالك ثمة مجال للشك حول ما اذا كان (وارنر) حقاً قد زود (كولفن) بالمعلومات اذ ان الاخير هذا قد قام في وقت لاحق بتسمية (منزيس) بالذات كمصدره الاصلي، إلا ان (منزيس) كان هو الآخر قد وافاه الاجل في ذلك الوقت.

وفي عام ١٩٦٩ نشر العميد الطيار (فريد ونتر باثم) Fred Winter botham ـ الرئيس الاسبق للدائرة الجوية في رئاسة المخابرات البريطانية ـ مذكراته تحت عنوان «سري وشخصي» Secret and Personal. وبالرغم من ان العميد الطيار هذا قد اشتهر بصفته

---

* تاليراند ـ هو (تشارلس موريس دي تاليراند) (١٧٥٤ ـ ١٨٣٨) وزير خارجية نابليون. وقد اشتهر بمكره ودهائه ودبلوماسيته الفذة.

كاسلريه ـ هو (روبرت ستيوارت فيكونت كاسلريه) (١٧٦٩ ـ ١٨٢٢) وزير خارجية بريطانيا للفترة ١٨١٢ ـ ١٨٢٢ واحد اشهر دبلوماسيي مؤتمر فينا ـ المترجم.

الشخص الذي «كشف» سر (ألترا)، إلا ان كتابه «سر الترا» لم ينشر حتىٰ عام ١٩٧٤. وقد تجنب ذكر هذه المواضيع الشائكة كفك النصوص المجفرة او (بليتشلي) في كتابه الاول. إلا انه استذكر بان الاتصال بالعدو من خلال عملاء في كل من (مدريد) و (لشبونه) كان ممكناً حتىٰ عام ١٩٤٢ بالرغم من ان «قيام (كناريس) بالاتصال بنظيره البريطاني كان امراً لم يخل من غرابة»[٢١] على حد تعبيره.

ويستذكر (ونتر باثم) كذلك بان (كناريس) قد اقترح ايقاف الحرب من خلال الأطاحة بـ (هتلر) والنظام النازي. إلا انه لاسباب لا تزال غيرواضحة يقول (ونتر باثم) بان «الاتصال بـ (كناريس لم يسفر عن نتيجة.»

ولم يعط (ونتر باثم) اي تفصيل اضافي من شأنه ايضاح جوانب هذه المحاولة الفاشلة للاتصال بـ (منزيس)، كما لم يكن لضباط المخابرات ـ ممن كان مقر عملهم في كل من (مدريد) و (لشبونة) والذين لايزالون على قيد الحياة الى يومنا هذا ـ اي علم بهذه القضية وفي الوقت الذي يعزو (ونتر باثم) ما كان لدى (كناريس) من نية واضحة للاتصال بالحلفاء ـ سيما وان (ونتر باثم) هذا يعتبر مصدراً داخلياً موثوقاً به ـ إلا ان المسألة تفتقر الى المعلومات الاكيدة التي من شأنها تأييد ذلك. وبالرغم من هذا الافتقار الى البرهان فقد كُثر تداول ما اشار اليه (ونتر باثم) بهذا الخصوص ففي نفس العام مثلاً، اي في عام ١٩٦٩، قال (ريتشارد ديكون) بان (منزيس) كان في وضع يمكنه من اجراء حوار مباشر مع (كناريس) في عام ١٩٤٢. ويسترسل (ديكون) بهذا الصدد قائلاً: «لم يخطأ (منزيس) في تحديد نية (كناريس) اذ كان على بينة تامة مما كان يصبو اليه الاميرال هذا من ضرورة الأبقاء على الكيان الالماني باكمله كثمن للسعي نحو انهاء الحرب»[٢٢]

ومن جانب اعطاء الصورة الواضحة لفشل هذا المسعىٰ، يستشهد (ديكون) بما قاله (منزيس) الصموت من ان السبب يعود الى معارضة بعض الحلقات في وزارة الخارجية البريطانية «التي خشيت ان يتسبب مثل هذا المسعىٰ في الاساءة الى روسيا».

ولما كان من الضروري الوصول الى حل لمسألة ولاء (كناريس) فقد عاد الصحفي الفرنسي (أندريه برسود) Andre Brissaud الى معالجة الموضوع عام ١٩٧٠ في كتابه «كناريس» الذي تناول فيه سيرة الاميرال الالماني هذا. وقد قام الناشر (وايد نفليد ونكلسون) باصدار النسخة الانكليزية المترجمة من هذا الكتاب بعد صدور النسخة الالمانية بثلاث سنوات، وقد ساهم (ايان كولفن) في ترجمة هذا العمل الى الانكليزية

بصفته المترجم الرئيس. وقد شكل هذا الحال تطوراً هاماً سيما وان (برسود) كان قد رفض فكرة «العميل البريطاني التي جاء بها (كولڤن). وقد اشار (برسود) الى هذه الفكرة بقوله: «انها مجرد نظرية سيرفض الاقتناع بها كل من قرأ الكتاب (اي كتابه هو بالذات) لحد الآن اذ انهم سيشاركونني الاعتقاد بان (كناريس) لم يعمل قط لصالح خدمات الحلفاء السرية.»[٢٣]

لقد تقبل (كولڤن) هذا النقد واغتنم الفرصة لتوضيح موقفه لاحقاً في مقدمته للنص المترجم من كتاب (برسود) وقد أبتدأ بوصف الكيفية التي من خلالها وجد تساؤله عن ولاء (كناريس) طريقه الى غلاف الكتاب. وبهذا الصدد يقول (كولڤن):

«اثارت دراستي لسيرة (كناريس) في كتابي «كناريس: رئيس الاستخبارات» اهتمام الناشر (ڤكتور جولانز) بشكل حفزه على ان يضع على غلاف الكتاب هذا السؤال الرنان بصدد ما اذا كان (كناريس) قد عمل لمصلحة الجانب البريطاني: هل كان عميلاً بريطانياً؟ ومن البديهي ان الكاتب (اندريه برسود) قد استنكر مثل هذا التفسير المثير للانتباه اذ بالرغم من ان (كناريس) كان من الذين ثبت عداءهم للنظام النازي فأنه لم يكن جاسوساً ولا عميلاً مزدوجاً. لقد قام من خلال منصبه الرفيع بتنسيق وترتيب العمليات لا المتاجرة بالاسرار»[٢٤]

وبهذا الصدد يجب أن لا يؤخذ كلام (كولڤن) هذا بمعنى الاعتذار عما قام به الناشر من وضع هذا السؤال الرنان على غلاف الكتاب اذ انه، اي (كولڤن)، ينصرف الى توثيق هذه النظرية عن طريق تحديد مصدر جديد لمعلوماته فيقول:

«سوف لن نعلم مدى عمق الاتصال الذي كان يربط (كناريس) برئيس المخابرات البريطانية بين الاونة والاخرى. إلا انني اتمكن من اضافة تفاصيل اخرى الآن لم يكن في مقدوري الكشف عنها في كتابي قبل عشرين عاماً اذ كانت آنذاك من الامور الحساسة التي لم يمكن نشرها. ففي شهر تشرين الاول من عام ١٩٤٤ كنت اتحاور مع اللواء (السير ستوارت Stuart (كذا) منزيس) رئيس المخابرات البريطانية اثناء الحرب. وقد جرى هذا الحديث في مكتبه الكائن في (ويستمنستر). وقد كنت منهمكاً في شرح تفاصيل نظريتي بخصوص قيام نظيره الالماني بالعمل ضد (هتلر) بهدف تقليص فترة الحرب عندما قاطعني ليقول مبتسماً:

«أعتقد باني عالم بما يدور في ذهنه. فهل تريد مقابلة (كناريس)»؟

يتضح من هذا السياق اذاً بان (السير كريستوفر وارنر) لم يكن اول شخص كان

قد اخبر (كولفن) عن (كناريس) بل ان الشخص الاول كان (السير ستيوارت منزيس). إلا ان هذا الامر لا يبدو محتملاً بالرغم من أن عجز (كولفن) عن تهجي اسم (السير ستيوارث)(*) بالصورة الصحيحة لا يضعف بالضرورة صحة هذا الادعاء. ولكن علينا ان نتذكر في نفس الوقت بان هذا المصدر، اي (السير ستيوارت) كان قد توفي قبل نشر كلام (كولفن) بعام، اي سنة ١٩٦٨ الامر الذي لم يمكنه من التعليق على هذا الجانب. وقد انصرف (كولفن) الى الاستشهاد مباشرة بالمحادثة المزعومة مع (منزيس) بقوله:

«وعندما صرحت عن استعدادي لمقابلة الاميرال، استرسل (منزيس) قائلاً: اجد نفسي مضطراً الى ارسال من هو ارفع منصباً لمصاحبتك. فهل تمانع في ذلك؟ لا شك عندي فيما تمتلكه من مقدرة إلا انك لا زلت شاباً وبذلك لا اريده ان يظن بان تعاملي معه يفتقر الى الجدية. وقد ترك الموضوع في حينه اذ كان على (السير ستوارث) Stuart الحصول على الموافقات الرسمية من اجل قيامي بهذه الزيارة الامر الذي تطلب فترة تراوحت بين اسبوع واحد واسبوعين»(٣٥)

واستناداً الى ما اورده (كولفن) فقد صُرف النظر عن الموضوع ازاء المعارضة التي ابدتها الجهات الرسمية، ومن باب تبرير هذه المعارضة فقد زُعم بان (منزيس) قد قال: «يتوجب علينا الحذر لكي لا نسيئ الى الروس». ان امر قيام (منزيس) بالطلب من صحفي شاب بالمساهمة في مثل هذا اللقاء الهام يبدو غير محتمل. ومع ذلك فقد قام كاتب آخر، بعد فترة وجيزة، بالتوسع في هذه الفكرة من خلال ايحائه بان (كناريس) و (منزيس) قد حددا موعد لقائهما في اسبانيا وذلك في غضون عام ١٩٤٣.

كان (هاينز هوهن) هو المسؤول عن هذا الايحاء الغريب وذلك من خلال دراسته الموسعة التي نشرت تحت عنوان «كناريس». ففي رواية (هوهن) نجد بان اللقاء بين (كناريس) و (منزيس) قد تم في اسبانيا. وبهذا الصدد يقول (هوهن):

«في صيف عام ١٩٤٣ كان رئيس المخابرات قد حقق اول هدف من اهدافه. فقد

---

* يكتب الاسم هذا بالصيغ الثلاث التالية. (Stewart ستيوارت) (Stuart ستوارت) او (Steward ستيوارد) وكل منهما صحيح ويبقى اختيار الصيغة من حق المسمى. وبذلك فان اي اختلاف في كتابه الاسم هذا عن الصيغة المختارة من قبل المسمى يشكل خطا يتحمله من يقع فيه. لقد اختار (السير ستيوارت) على ما يبدو تهجي اسمه بهذه الطريقة، اي Stewart (ستيوارت) بينما تهجاه (كولفن) بالصيغة التالية: Stuart ستوارت. المترجم.

اعلن الجنرال (منزيس) و (دونوفان)(*) Donovan عن استعدادهما للقاء (كناريس) في اسبانيا. وهكذا تم لرؤساء الخدمات السرية هؤلاء الاجتماع في سانتاندير) Santander بعد فترة قصيرة»[٢٦]

كانت هذه المناسبة هي الاولى التي اوحي من خلالها بان (كناريس) و (منزيس) قد تقابلا وجهاً لوجه فعلاً. اما وجود (بيل دونوفان)، رئيس مكتب الخدمات الاستراتيجية (السوقية) الامريكي فقد اضاف بعداً جديداً لقصة غريبة بحد ذاتها. وقد كشف (هوهن) النقاب عن مصدر معلوماته هذه والذي حدده بشخص (يوستس فون آينييم) Justus Von Einem احد ضباط مكتب الاستخبارات العسكرية الالمانية (الابفير) Abwehr السابقين. وقد ادعى (فون آينييم) هذا بانه قد حضر الاجتماع شخصياً بصفته احد منتسبي دائرة (كناريس). ومن ثقة (هوهن) بمصدره هذا يتضح بان (فون آينييم) قد تميز بوضع فريد من نوعه وذلك من خلال اطلاعه على مداولات (القصر الابيض) ووزارة الخارجية البريطانية اذ يعود له الفضل في الكشف عن الخبر التالي: «لقد اجبر (روزفيلت) رئيس مكتب الخدمات الاستراتيجية، الذي لم يكن يخلو من جرأة ووقاحة، على الاذعان، كما تعمد رئيس المخابرات البريطانية تقليل اهمية زيارته المحرمة الى (اسبانيا) وذلك إزاء (تحفظ) وزارة الخارجية البريطانية»[٢٧] .

وهكذا تم تصعيد احداث قصة «هذا الغزل السري مع ممثلي الدولتين الحليفتين» لتصل الى نزاع بين (روزفيلت) و)دونوفان) من جانب وبين (منزيس) ووزارة الخارجية البريطانية من جانب آخر. فهل يمكن تصديق ذلك؟ من المؤكد ان هذا الامر لا يحظى بتأييد مما هو مدون في الوثائق الرسمية ولا مما يذكره زملاء هذين الرئيسين الحليفين. وبالرغم من قلة ما كتب عن (منزيس) هنالك ما لا يقل عن اربعة كتب ضخمة تناولت سيرة الجنرال («وايلد» بل دونوفان). ان انطوني (كايڤ براون) هو المؤيد الوحيد لفكرة لقاء (كناريس) ب (دونوفان) وذلك من خلال كتابه «البطل الاخير» The Last Hevo إلا ان ما يعطيه من ادلة يناقض بعضها البعض الآخر. ويشير هذا الكاتب الى رسالة بعثت بها

---

* الجنرال وليام دونوفان (١٨٨٣ ـ ١٩٥٩) الملقب منذ صباه بـ (وايلدبل). هو احد كبار المحامين الامريكيين في (وال ستريت) الذي عرف بثرائه وولائه لمبادئ الحزب الجمهوري. اصطفاه الرئيس (روزفيلت) عام ١٩٤٠ ليكون مبعوثه الشخصي الى الدول التي لم تكن منحازة الى اي من الطرفين المتحاربين. وقد عين في تموز من عام ١٩٤١ منسقاً للمعلومات وهو منصب اريد من خلال نشاطاته مراقبة حركة المقاومة السرية في البلدان التي كانت تخضع للاحتلال النازي. وفي حزيران من عام ١٩٤٢ تم تشكيل دائرة الخدمات الاستراتيجية Office of strategic Services (O. S. S.) التي ترأسها (دونوفان) هذا والتي تطورت فيما بعد لتصبح وكالة المخبرات المركزية (CIA) ـ المترجم.

أرملة (كناريس) بعد الحرب وبهذا الصدد يقول:

«من المؤكد ان (كناريس(و (دنوفان) قد تقـابلا. وبـالرغم من عدم التمكن من تحديد مكان وزمان لقاءهما، إلا ان الرسالة التي كانت السيدة (كناريس) قد وجهتها الى (دونوفان) عام ١٩٤٦ توحي بوجود علاقة بـين هذين الرجلين ومن المعلوم ايضـاً ان (دنوفان) قد قام بعد انتهاء الحرب مباشرة بالبحث عن السيدة كناريس وبعد ان وجدها قام بمساعدتها عن طريق اعطائها منحاً مالية والترحيب بها عند زيارتها له في الفيـلا المخصصة له وللعاملين معه في منطقة (داهليم) Dahlem في العاصمة الالمانية السابقـة برلين».[٢٨]

ان مضمون رسالة واحدة لجأ (كايف براون) الى الاستشهاد بها، لا يوحي بحد ذاته بتحقق لقاء بين (كناريس) و (دونوفان). ومن الواضح ان (كايُف براون) قد شعر بان مجرد وجود هذه الرسالة يشكل على الاقل دليلاً جزئياً على لقائهما. وبرغم كل شيْ هل هنالك ثمة امر آخر يفسر كرم (دونوفان) لارملة عدو مدحور؟ ويشير (كايُف براون) في فصل لاحق من نفس الكتاب الى نفس الرسالة التي ارسلتها السيدة (كناريس) الى (دونوفان) والتي كانت بتأريخ ١٥/ ١١/ ١٩٤٥ والتي شكرت هذه السيدة فيها (دونوفان) على احسانه لها والذي اتاح لها التمتع باسباب الرفاهية غير المتوقعة. وينصرف (كايُف براون) بالاضافة الى ذلك الى شرح دوافع (دونوفان) بقوله: لقد شعر (دونوفان) بان السيدة (كناريس) لربما كانت على علم بمكان وجود مذكرات زوجها ـ تلك المذكرات التي من شأنها اعطاء الدليل الذي يثبت نظرية المؤامرة او يشير اليها.»[٢٩]

وينصرف (كايُف براون)، بعد ذلك الى شرح تفاصيل قيام رجال مكتب الخدمات الاستراتيجية بالتفتيش عن السيدة (كناريس) وذلك بقوله: «لم يتم العثور عليها قبل شهـر تشـرين الاول او الثـاني من عـام ١٩٤٥ وذلك عنـدمـا وجـدهـا (نـوردين) Norden و (مولر) muller في حالة يرثى لها. وكانت بصحبة بناتها وكن قد التجأن الى قرية (نيدراو) Niederau الجميلة والقريبة من مدينة (ميونخ). تقع هذه القرية الصغيرة على شاطي نهر (آميرسي) Ammersee حيث تشكل احدى محطات الوقوف على خط سير السفن النهرية. وقد استقبلت السيدة (كناريس) مبعوثي (دونوفان) وكانت على معرفة سابقة بـ (مولر). وبموجب توجيهات (دونوفان) فقد ارسلت الى عائلة (كناريس) هدايا معينة من المحتمل انها اشتملت على مبالغ نقدية وبعض المأكولات وغيرها من اسباب الرفاهية الاخرى»[٣٠]

وبالرغم من ان الدوافع التي انطلق منها (دونوفان) لمساعدة السيدة (كناريس)، كما يصورها لنا (كايُف براون) . تبدو معقولة، إلا ان قيام الكاتب بتغيير تاريخ كتاب الشكر

الذي وجهته هذه السيدة الى (دونوڤان) من عام ١٩٤٥ الى عام ١٩٤٦ قد أقام دليله الشخصي بعدم حصول لقاء اساساً بين (دونوڤان) و (كناريس). وفي فصل مستقل من كتابه يعترف (كايڤ براون) في الواقع بقوله: «ان هنالك ثمة اشاعات برزت في اوساط مكتب الخدمات الاستراتيجية تشير الى لقاء (دونوڤان) و (كناريس) في اسبانيـا وذلك خلال شهر آذار اونيسان من عام ١٩٤٣ كما تشير الى لقائهما ثانية في نهاية الصيف او في اوائل الخريف من نفس العام في مدينة (اسطنبول). إلا اننا لا نعلم بصورة اكيدة ان كان هذان اللقاءان قد تما فعلاً كما لا نعلم ما تمخض عنهما في حالة تحققهما.»[٣١]

وبذلك يبقىٰ موقف (كايڤ براون) بهذا الصدد مبهماً. ففي الوقت الذي «يؤكد» فيه في احد فصول كتابه تحقق لقاء (كناريس) بـ (دونوڤان) ينصرف في فصل آخر الى التعبير عن وجود شك ازاء تحقق هذا اللقاء.

وقد بين الكاتب (ريتشارد دنلوب) Richard Duwlop في كتابه المـوسع (جـاسوس امريكا البارع) Americun master Spy الذي تناول فيه سيرة (وليام دونوڤان) «بان الاميرال (ڤيلهيلم كناريس) رئيس الاستخبارات العسكرية الالمانية خلال سني الحرب العالمية الثانية قد قال في مناسبة بان (وليام دونوڤان) كان الشخص الذي اراد مقابلته والتعرف عليه بالدرجة الاولى من بين جميع قادة الدول الحليفة.»[٣٢] لا تجد هذه الفكرة التي عبر عنها (دنلوب) اي تأييد في المصادر، وفي كل الاحوال فان التصريح بهذه الامنية يفترض ان يكون قد تم بين تأريخي تعيين (دونوڤان) رئيساً لمكتب الخدمات الاستـراتيجية في حزيران من عام ١٩٤٢ واعدام كناريس في نيسان من عام ١٩٤٥ الامر الذي يـوحي بوجود مصدر موثوق به للغاية. واذا افترضنا صحة ماروي عن هذه الامنية التي عبر عنها (كناريس) فان الامر يعطينا انطباعاً واضحاً بانها لم تتحقق اساساً.

وبالرغم من ان هذا الاستنتاج لا ينفي تحقق اللقاء بين (كناريس) و (دونوڤان) إلا ان الادلة التي تشير الى ذلك قليلة جداً كما شاهدنا. وهكذا نلاحظ بان السياق الذي ابتدأ «بالاتصال» الذي اوحىٰ (ونتر باثم) حدوثه في بلد محايد سرعان ما تطور ليصبح «حواراً مباشراً» حسب رواية (ديكون). ثم تبلور الامر بعد ذلك ليصبح اسطورة زينها (هوهن) ببعض التفاصيل واضاف اليها وجود (دونوڤان).

فاذا لم يكن لهذا الاجتماع وجود بالاساس فما هو التفسير لتصرف (كناريس)؟ وهل اقتصر دوره على التعاطف السري مع الحلفاء ام كان من بين العناصر الاكثر فاعلية في عدائها للنازية؟ لقد قام (پول ليڤيركون) Paul Lever Kuhn، ممثل (كناريس) في اسطنبول

اثناء الحرب، بتثبيت رأيه بهذا الخصوص من خلال كتابه «الاستخبارات العسكرية الالمانية German Military Intelligene الذي ترجمه الى الانكليزية (قسطنطين فتزجبون) و آر. إتج. ستيفنس) K. H. Stevens Fitzgibbon ، Contantine. [وكان (ستيفنس) احد ضباط المخابرات البريطانية السابقين والذي انفرد عن زملائه بما عرف عنه من شهرة سيئة].

يقول (ليفركون): «.... كما لا اجد ما يقودني الى الاعتقاد بان (كناريس) كان قد سعى الى اي لقاء مع اعداء المانيا، او قد حقق مثل هذا اللقاء، بالرغم مما قد توفرت له من فرص للقيام بمثل هذا النشاط»[٣٣]

وقد لقي ما قاله (ليفركون) تأييداً من المؤرخ الامريكي (دافيد كاهن) David Kahn مؤلف كتاب (جواسيس هتلر» Hitler's Spies الذي يقول بدوره عن كناريس):

«بالرغم مما اتاحته اه وكالته السرية من فرص كثيرة، فأنه لم يتآمر قط على قتل (هتلر) اوحتى على الاطاحة به. وان اكثر ما قام به هو حماية بعض رجال المقاومة. كما انه لم يفش ماأؤتمن عليه من اسرار»[٣٤]

اما (پيير غالانت) Pierre Galante فكان له رأي مخالف وذلك من خلال كتابه «عملية ڤالكيري» Operation Valkyrie اذ انه اصر بان (كناريس) كان له دور حاسم في اكثر من مؤامرة استهدفت حياة (هتلر). وكانت اولى هذه المؤامرات تلك التي حدثت في شهر ايلول من عام ١٩٣٨ عندما قام (كناريس) «باعداد ما يشبه البيان الرسمي. وقد وجهه الى الشعب الالماني بهدف تزويدهم بكشف كامل عن جرائم النازيين»[٣٥] وفي مؤامرة اخرى أحبطت في ايلول من عام ١٩٤٣ «قام (كناريس) بتزويد المتآمرين في برلين بطائرة»[٣٦]

وقد علق (هانزڤون هيروارث) Hans Von Herwarth ـ الذي اشترك حقيقة في محاولة العشرين من تموز من عام ١٩٤٤ التي استهدفت حياة هتلر ـ في كتابه « امام شرين» Against Two Evils قائلاً:

«كان الأميرال (كناريس) احد العناصر الاساسية لنشاط المقاومة. لقد عمل هذا الرجل بهدوء، ولفترة دامت اعواماً، من اجل حماية المنظمة من خطر الهجوم المضاد لـ (هملر*)»[٣٧]

---

* هاينريش هملر Heinrich Himmler (١٩٠٠ ـ ١٩٤٥) من اوائل مؤيدي هتلر واحد كبار رجاله. في عام ١٩٢٩ عين رئيساً لفصائل الحماية Schvtzstaffel المعروفة بـ الـ .S.S وذلك قبل وصول النازيين للحكم. اشتهر بولائه لهتلر. في عام ١٩٣٦ عين رئيساً لقوات الشرطة وفي عام ١٩٣٨ لعب دوراً كبيراً في اخضاع قيادة الجيش العليا لمشيئة هتلر. وفي عام ١٩٤٣ عين وزيراً للداخلية. وما ان حل عام ١٩٤٤ حتى اصبح مسؤولاً عن كافة الجوانب الامنية في المانيا وتوابعها. لم تكن له اية مواهب عسكرية اذ فشل كقائد عسكري وذلك بعد ان عين قائداً عاماً لجحفل قوات (الفستولا). ثم اسره من قبل القوات البريطانية. وقد انتحر اثر ذلك. المترجم.

لقد بلغ التباين في الاراء حول هذا الرجل حداً يكاد يكون تجاوزه صعباً جداً. ففي الوقت الذي لم يجد البعض في (كناريس) اكثر من مراقب سياسي، صوره البعض الآخر لا من جملة كبار المناوئين للنازية فحسب بل عميلاً للحلفاء كذلك. فما هي الحقيقة؟

ومما يبدو متناقضاً ان يكون (ايان كولفن) اول من اقترب من الكشف عن الغموض الذي احاط بنشاطات (كناريس) غير الشرعية اثناء الحرب. ففي عام ١٩٥١ سرد (كولفن) في كتابه «كناريس: رئيس الاستخبارات» كيف انه ذهب بصحبة دبلوماسي (بولوني) لزيارة سيدة اشار اليها باسم «السيدة جاي» .Mrs J وقد كانت هذه السيدة تسكن بيتاً صغيراً في مقاطعة (ساري) في انجلترا عندما كان (كولفن) هذا منصرفاً الى بحث موضوعه. ويتذكر (كولفن) بهذا الصدد

«استهلت هذه السيدة ضيافتها بتقديم الشاي لنا. وعندما سألتها ما اذا كانت على معرفة بـ (كناريس)، ابتدأت الكلام معتمدة على ذاكرتها لتقول: اني اذ اطلب منك تجنب ذكر اسمي او ذكر ما قد يساعد على التعرف على شخصي فان ذلك يعود الى عدم رغبتي بتكرار هذه الرواية اذ اني افضل روايتها مرة واحدة لكي انتهي من الامر. لقد سكنت مع زوجي في برلين قبل الحرب. وكنا على معرفة باعضاء الجالية البولونية، كما كنا على اتصال ببعض الشخصيات الالمانية. واذكر اني قد تعرفت الى بعض القادة العسكريين الالمان في مسكن ملحقنا العسكري»[٣٨]

لقد عمد (كولفن)، وهو الصحفي الجيد الى حماية مصدره حتىٰ في مجال هذه السطور الوجيزة. ومما اعطىٰ قصة «السيدة جاي» خصوصية غير اعتيادية هو اصرارها على انها كانت همزة الوصل بين البريطانيين و (كناريس) وتذكر هذه السيدة كيف ان معرفتها بـ (كناريس) قد اثارت اهتمام السلطات البريطانية والبولونية المتواجدة في سويسرا اثناء الحرب. ويضيف (كولفن) قائلاً:

«عندما ذكرت السيدة هذا الاسم ثانية اظهر البولونيون اهتمامهم كما اظهره البريطانيون كذلك اذا ارادوا جميعاً سماع المزيد عنه. وقد استقرت المدام (جاي) في سويسرا.»[٣٩]

لقد ادركت هذه السيدة بانها كانت تعمل سابقاً لحساب الخدمات السرية البريطانية. وقد صورت لنا لقاءاتها السرية مع (كناريس) في مدينة (برن) السويسرية المحايدة بقولها:

«في بعض الاحيان كان ما ينتابه من توتر، نتيجة كلامه عن اهدافهم ضد (هتلر)، يؤثر في تأثيراً عظيماً. وكنت بدوري اطلب من البريطانيين قائلة: هل لي ان اعلمه بالمضي في

سبيل انجاز المطلوب؟ وكان البريطانيون يميلون الى الالتزام بالسرية في مثل هذه الامور فكانوا نتيجة ذلك يؤثرون الصمت. وكانت الخدمات البـريطانيـة السريـة امينة عـلى الاسرار وبذلك لم يكتشف امر هذه العلاقة اثناء الحرب»[٢٠]

ولربما يمكننا اعتبار تعامل (كولفن) مع هذه القصة اكثر غرابة من القصة ذاتها، اذ انه يعمد الى انهاء اللقاء مع المدام (جاي) بصورة فجائية ولا يعود الى الاشارة اليه ضمن نطاق اي موضوع لاحق من مواضع كتابه. واذا كان المطلوب هو ان يثق القارئ بهذا المصدر فما جدوى السـؤال الرنان الذي نجـده على غـلاف الكتاب؟ ان كتـاب «كناريس: رئيس الاستخبارات» يفتقر الى ما من شأنه اعطاء التبريـر الواضح لهـذا الجانب الامر الذي يؤدي الى الاستنتاج بان الكاتب لم يكن على استعداد لتوريط نفسه بصورة كاملة. ومن الواضح ان الذين انصرفوا الى الكتابة عن سيرة (كناريس) بعد (كولفن) لم يؤمنوا بهذه القصة اذ لم يشر اي منهم الى شخص المدام (جاي) الغامضة.

في عام ١٩٨١ عندما كنت منصرفاً الى تعقب مختلف الخيوط الاخـرى لعمليات التجسس في سويسرا اثناء الحرب التقيت عن طريق الصدفة باحد ضباط المخابـرات البريطانية السابقين ممن عملوا في (بيرن) مباشرة بعد الحرب. وبالرغم مما وجده من صعوبة في استذكار اسم السيدة ألا انه كان واثقاً، على حد قوله، «بان زوجـة الملحق العسكري البولوني السابق في برلين كانت همزة الوصل بيننا وبين (كناريس)». بعد ذلك اكتشفت بان الملحق العسكري البولوني هذا كان العقيد (انطوني زيمانسكي) Colonel SZgmanski أمّا اسم زوجته فكان (هالينا) Halina ولقد أثار الامر فضولي بشكل دفعني الى اكتشاف احد اعضاء المخابرات البريطانية من الذين كان مقر عملهم اثناء الحرب في مدينة (بيرن) في سويسرا. وقد استمعت منه الى التفاصيل المتعلقة بالعميل الذي كان يعرفه بـ (Z — S / 1). وهكذا وبعد مضي اكثر من اربعين عاماً، تم التأكد بصورة نهائية من ان (كناريس) كان على اتصال بالمخابرات البريطانية اثناء الحرب وذلك عن طريق سيده بولونية الجنسية. وخلال صيف عام ١٩٨٣ اقتفيت اثر (هالينا زيمانسكا) فـوجدتهـا تسكن عند حفيدها في مدينة موبل Mobile في ولاية (الباما) Alabama الأمريكية حيث ذهبت الى زيارتها. وبالرغم من انها كانت قد بلغت السابعة والسبعين من العمر، إلا انها تمكنت من تذكر العديد من ممارساتها وتجاربها اثناء الحرب بما في ذلك لقاءاتها مع (كناريس).

وعندما ظهرت تفاصيل القصة الكـاملة للسيدة (زيمـانسكا) مـع ذكر اسمهـا الصريح وذلك في كتابي إم. آي. (٦): عمليات الخدمات الاستخبارية البريطانية السرية بين عامي ١٩٠٩ ـ ١٩٤٥ قام صحفيان من جريدة (الصنـداي تامـز) وهما (پـاري

بينروز) Barry Penrose و (سيمون فـريمان) Simon Freeman بـالاتصال بـاحد ضبـاط المخابرات البريطانية المتقاعدين وهو (اندرو كنغ) Andrew King الذي كـان على اطلاع بتفاصيل قضية هذه السيدة. يقول الصحفيان:

«تحدثنا مع (اندرو كنغ) الذي كان احد ضباط المخابرات البريطانية العاملين في سويسرا في نفس ذلك الوقت. وقد اخبرنا (كنغ) هذا بان (كنـاريس) قد لمـح للسيدة (زيمانسكا) في اواخر خريف عام ١٩٤٠ عن خطة (هتلر) لغزو روسيا في العام التالي. ويتحدث (كنغ) كـذلك عن وجود (تفـاهم ضمني) بين (كنـاريس) و (زيمانسكـا) بان المعلومات هذه كانت ستنقل الى لندن»[١١]

وللمرة الاولى يتم تدوين ما افاده مصدر في المخابرات البريطانية. وقد تأيد من خلال هذه الافادة بان (كناريس) كان قد تعمد تزويد الحلفاء بمعلومات ستراتيجية هامة بالرغم من ان ذلك قد تم من خلال «تفاهم ضمني». لقد عمل (كنغ) هذا مع المخابرات البريطانية لفترة قاربت الثلاثين عاماً تم له من خلالها العمل في (ڤينا) و (هونكـونغ) اضافة الى الدور الذي لعبه في سويسرا. وبذلك لا يمكن اعتباره مصدراً غير موثوق به، بل ان لشهادته الفضل الاكبر في اثبات حقيقة أمر كان العديد من الكتاب والمراقبـين قد اعتبروه مجرد اسطورة استخبارية من اساطير الحرب.

الهوامش

١ ـ كرت سنجر: الجواسيس والخونة في الحرب العالمية الثانية ـ صفحة (٤)
٢ ـ نفس المصدر ـ الصفحة (٦)
٣ ـ الرائد توماس كوولسن: ما تاهاري: غانية وجاسوسة ـ صفحة (١٧٢)
٤ ـ آرج وايتهاوس: التجسس والتجسس المقابل ـ صفحة (٥٩
٥ ـ السير بازل طومس: اناس غريبو الاطوار ـ صفحة (١٨٤)
٦ ـ نفس المصدر ـ الصفحة (١٨٢)
٧ ـ رتشارد روان: الجاسوس والجاسوس المقابل ـ صفحة (٢٩٢)
٨ ـ هيوكليلاندهوي: ٤٠ او بي ـ صفحة (١٥٦)
٩ ـ الاميرال السير وليام جيمس: عيون البحرية ـ صفحة (٣٦)
١٠ ـ رتشارد ديكون: تاريخ الخدمات السرية البريطانية ـ صفحة (٢٧٣)
١١ ـ روبرت غولدستن: لمحات شرية ـ الحرب السرية ضد هتلر ـ صفحة (١٠٤)
١٢ ـ انطوني كايف براون: غطاء من الاكاذيب ـ الصفحة (١٤٣)
١٣ ـ نفس المصدر ـ صفحة ١٤٤.
١٤ ـ بودو هيرزو ـ من مقال له نشر في الرسالة الاخبـارية (داي نـاخهوت) بعـددها الصـادر بتاريـخ ١٩٧٣/١/٨ ـ الصفحة (٤٣)
١٥ ـ دافيد كاهن جواسيس هتلر ـ الصفحة (٢٢٧)

١٦ ـ انطوني كايف براون: (نفس المصدر) ـ صفحة (١٥٤)
١٧ ـ إيان كولفن: كناريس ـ رئيس الاستخبارات ـ صفحة (٥)
١٨ ـ جورج كونستانتيدس: الاستخبارات والتجسس ـ دراسة تحليلية في مجموعة المؤلفات والمطبوعات المتعلقة بالموضوع ـ صفحة (١٣٢)
١٩ ـ هربرت مولي مايسون: قتل الشيطان ـ صفحة (٤٤)
٢٠ ـ إيان كولفن: العدو السري لهتلر ـ صفحة (٨)
٢١ ـ فريد ونتر بائم: سري وشخصي ـ صفحة (١٦٢)
٢٢ ـ رتشارد ديكون (المصدر نفسه) ـ صفحة (٢٨٣)
٢٣ ـ اندرية برسود: كناريس ـ صفحة (٢٧٣)
٢٤ ـ (المصدر نفسه) ـ صفحة (١٤)
٢٥ ـ (المصدر نفسه) ـ صفحة (١٥)
٢٦ ـ هاينز هوهن ـ كناريس ـ صفحة (٤٨٥)
٢٧ ـ (المصدر نفسه) ـ صفحة (٤٨٦)
٢٨ ـ انطوني كايف براون ـ البطل الاخير ـ صفحة (١٢٩) .
٢٩ ـ المصدر نفسه ـ صفحة (٧٥٨)
٣٠ ـ المصدر نفسه ـ (نفس الصفحة)
٣١ ـ المصدر نفسه ـ صفحة (٢٩٣).
٣٢ ـ رتشارد دنلوب: جاسوس امريكا البارع ـ صفحة (٤)
٣٣ ـ بول ليفيركون: الاستخبارات العسكرية الالمانية ـ صفحة ٢٠٦)
٣٤ ـ دافيد كاهن: (المصدر نفسه) ـ صفحة (٢٣٥)
٣٥ ـ بيير جالانت: عملية فالكيري ـ صفحة (٦٩)
٣٦ ـ (نفس المصدر) ـ الصفحة (١٦٣)
٣٧ ـ هانزفون هيروارث: حيال شرين ـ صفحة (٢٦٨)
٣٨ ـ ايان كولفن ـ كناريس ـ رئيس الاستخبارات ـ الصفحة (٨٩)
٣٩ ـ (نفس المصدر) ـ الصفحة (٩٠)
٤٠ ـ (نفس المصدر) ـ الصفحة (٩٢)
٤١ ـ جريدة الصنداي تايمز (اللندنية) بعددها الصادر بتاريخ ١٦/ ١٠/ ١٩٨٣

الفصل الثالث

عميل من أوركني

The Agent From Orkney

الحق «الفريد ويهرنغ (كذا» Alfred Wahring، احد ضبـاط الحرب العـالمية الاولى البحريين، بالبريطانيين كارثة كانت تطيح بالحكومة. فبصفته مواطناً بريطانياً بالتجنس، تحت اسم (البرت اويرتيل) Albert Oertel السويسـري. كان (ويهـرنغ) يـدير مصلحـة تجارية، اختصت في مجـال تصليح السـاعات، في مـدينة(كِـركـوال)Kirkwall في جـزر (اوركني) Orkney Islands. وكانت هذه المدينة تقع على مرأى من ميناء (سكاپا فلو) Scapa Flow لقد استطاع ويهرنغ ان يراقب دخول اولى البـوارج الحربيـة البريـطانية، وهي السفينة الضخمة (رويال أوك) Royal oak، الى المرفأ المحصن دون حاجتها للانتظار حتى يتم اسدال شبكات الحماية ضد الغواصات مما يعني انها كانت معرضة للهجوم من الشرق.»

لوران پاين: «آلابفير»

Lauran Paine: The Abwehr

لم تكن الحرب العالمية الثانية قد انهت اسبوعها السادس عندما أغرقت السفينة الحربية (رويال أوك) Royal Oak التي كانت تقبع في حمىٰ مرفــأ الأسطول البـريطاني الداخلي* في (سكاپا فلو) Scapa Flow وتنعم بما افترض ان يكون فيه من امان وتحصينات منيعة. كان ذلك في يوم السبت المصادف الرابع عشر من شهر تشــرين الاول من عام ١٩٣٩، وقد بلغت الخسارة بالارواح ٨٣٣ شخصاً. ففي الساعة الواحدة واربع دقائق صباحاً، هز انفجار صغير هيكل السفينة وقد تلاه بعد اثني عشر دقيقة انفجار ثاني كان هو الفاجع. وما ان حانت الواحدة والنصف حتى كانت السفينة قد انقلبت مسببة خسارة فادحة في الأرواح. وبسبب انقطاع التيار الكهربائي لم يتم الايعاز الى طاقم السفينة باخلائها. ولقد ظن الكثيرون ممن كانوا على ظهر هذه السفينة، بمن فيهم ربانها، بان الانفجار المهلك هذا كان داخلياً وبانه حدث داخل مخزن السفينة السريع الاشتعال، إلا ان الاستخبارات البحرية عارضت هذا الرأي وذلك في ضوء خبر اعلنته الاذاعة الالمانية، والتقطته محطة الانصات في (كافير شام بارك) Caversham Park التابعة لهيئـة الاذاعة البريطانية BBc. وقد ادعى الخبر بان غواصة المانية كـانت هي المسؤولة عن حــادث الاغراق هذا. فهل كان لهذا الخبر نصيب من الصحة ام كان مجرد دعاية نازية؟ وقد قامت قيادة القوة البحرية البريطانية على الفور بتشكيل مجلس تحقيقي برئاسة (لورد چاتفيلد) Lord Chatfield احد اعضاء مجلس ادارة البحرية السابقين للنظر في تفاصيل الحادث. وقد استنتج المجلس التحقيقي احتمال صحة الادعاء الالماني الامر الذي مكنه من التوصل الى اتخاذ قرار مفاده ان غواصة المانية قد استطاعت التسلل الى المرفأ بشكل أو بآخر واصابت السفينة بطوربيد. كما شخص هذا المجلس كذلك عدداً من الجوانب السلبية في التحصينات الموقعية التي ربما قد مكنت الغواصة المعادية من تنفيذ مهمتها دون ان يكتشف امرها. ولكنه لم يجد دليلاً يؤيد الافتراض الذي كثر تداوله آنذاك والذي اشار الى وجود مؤامرة تخريبية.

وقد ايد الالمان انفسهم بان اغراق السفينة (رويال أوك) كان قد تم بفعل طوربيد اطلقته غواصة المانية كانت تجوب المياه بمفردها. وقد أعلن هذا التأييد الالماني في مؤتمر صحفي عقد بتأريخ ١٨/ ١٠/ ١٩٣٩ وتم لمندوبي الصحافة العالمية من خلاله التعرف على النقيب البحري (غونثر پراين) Gunther Prien قائد الغواصة (يو ـ ٤٧) U — 47. وقد

* الاسطول البريطاني الداخلي = The British Home Fleet اي الاسطول البحري المسؤول عن حماية الجزر البريطانية فقط. ـ المترجم.

دون الكاتب الامريكي (وليام شيرر) Willian Shirer الذي حضر المؤتمر الصحفي هـذا، الملاحظات التالية في كتابه (يوميات برلين) Berlin Diary: —

«لم يخبرنا (براين) الكثير عن كيفية تمكنه من تحقيق هدفه. قال بانـه لم يجد صعوبة في اجتياز السد الذي وضع لحماية الخليج. وبالرغم من انه لم يذكر ما من شأنه تبرير الانطباع الذي تكون لدي، فاني مع ذلك تصورت بانه لابد قد دخل القاعدة البحرية في اعقاب سفينة بريطانية لربما كانت كاسحة ألغام. لابد ان التهاون البريطاني كان قد وصل حداً مخيفاً»[1]

واستناداً الى الادعاءات التي اطلقتها وزارة الدعاية النازية فان (پراين) قد حقق ما عجز عنه الاخرون. فلقد تم اغراق غواصتين ألمانيتين في مهمـة مماثلة وذلك اثنـاء الحرب العالمية الاولى، وبذلك فان الغواصة (يو ـ ٤٧) قد حققت المستحيل من خلال اجتيازها دفاعات (سكاپا ڤلو) الشهيرة. وقد نقلت العديد من الصحف اخبار المؤتمر الصحفي للنقيب (پراين).

اما المجلس التحقيقي فقد اخذ على عاتقه تمحيص ما جاء في ثلاثة من التقارير المكتوبة باللغة الانكليزية وقد استنتج من خلال ذلك صحة تصريحات (پـراين) التي تناقلتها الصحف وبهذا يصبح غرق السفينة (رويال أوك) قد تم في الواقع بفعل الطوربيد الالماني الذي اطلقته عليها الغواصة المذكورة. وقد نُشر في برلين عام ١٩٤٠ مـا رواه (پراين) بهذا الخصوص وذلك تحت عنوان «اغرقتُ السفينة رويال أوك». ولم يتمكن المحققون من استجواب (پراين) بعد انتهاء الحرب اذ كان قد اعتبر في عداد المفقودين. فقد ظُن بانه قد قتل اثر اغراق غواصته (يو ـ ٤٧) من قبل السفينة البحرية البريطانية (ولڤيراين) HMS Wolverine* بتأريخ ١٩٤١/٣/٨. ومع ذلك فقد وجد الجزء الاعظم من روايته تأييداً من خلال ما جاء في سجل الاعمال اليومية الخاص بالغواصة (يو ـ ٤٧) وفي ذكريات الاميرال (دونتز) Doenitz التي تضمنها كتاب «شبح سكاپاڤلو» The Phantom of Scapa Flow للكاتب (الكسندر كورجانوف)[2] Alexander Korganoff. بالاضافة الى ذلك قام (ولفغانغ فرانك) Wolfgang Frank احد اخوة (پراين) في السلاح، بكتابه سيرته الشخصية التي تضمنها كتابه «غواصة العدو» Enemy Submarine الذي اعتمـد يوميـات (پراين) الشخصية التي دون فيها تفاصيل الحادث.

---

* HMS: تعني سفينة جلالة الملك / الملكة ـ المترجم

لم يشك احد في صحة دخول (پراين) الى (سكاپافلو) بغواصته واغراقه السفينة (رويال أوك)، ولكن كان هنالك الكثير من التأمل والتخمين حول كيفية تمكنه من تحقيق هذا الانجاز. وكنتيجة لطرح الموضـوع للمداولة والنقـاش، وما واكب ذلك من تـأويل وايحاء، نشأت اسطورة تشير الى ضرورة وجود من قام بمساعدة (پراين) من البر. فهل قاده جاسوس الى هدفه؟

وجد هذا الايحاء طريقه الى النشر للمرة الاولى في ١٦/٥/١٩٤٢ وذلك من خلال مقال كتبه (كرت ريس) Curt Riess ونشرتـه المجلة الأمريكيـة الـ (ساتـورداي-ايڤنتج پوست) The Saturday Eveniny Post تحت عنوان «تجسس الغواصات الالمانية» U — Boat Esplonage. وكان (ريس) هذا لاجئاً سياسياً مغترباً عن وطنه النمسا، وقد نال شهرته من خلال الكتابة عن القضايا الاستخبارية. وفي شهر تشرين الاول من عام ١٩٤١ كـان (ريس) هذا قد نشر كتـاباً بعنـوان «التجسس الكامـل» Total Espionage تضمن سرداً مفصلاً عن النشاطات التي كانت النازية تمارسها في مختلف انحاء العالم. واستناداً الى ما رواه (ريس) فان الغواصة التي قامت باغراق السفينة (رويال اوك) قد تم ارشادها لتجتاز العقبات المحيطة بمرفأ الاسطول البريطاني الداخلي من قبل جاسوس الماني كان قبل اندلاع الحرب قد تظاهر بانه ساعاتي سويسري. وقد سكن الجاسوس هذا أقرب مدينة الى ميناء (سكاپا فلو) وهي مدينة (كيركوال) Kirkwall. وبهذا الصدد يقول (ريس): «ان الرجل الذي كان لقبه يبدأ بالحرف (W) لم يكن ساعاتياً ولا سويسري الجنسية بل كان ضابطاً بحرياً الماني الجنسية يحمل رتبة مقدم ويعمل لمصلحة منظومة التجسس التابعة لقيادة الغواصات الالمانية. وكان الجاسوس المجهول الاسم هذا قد اكتشف في ١١/١٠/١٩٣٩ بان مدخلين من المداخل المؤدية الى ميناء (سكاپافلو) لم يكونا قد جهزا بشبكات حديثة تؤمن الحماية ضد الغواصات. نتيجة ذلك قام بارسال رسالة مجفرة الى (لاهاي) بهذا الخصوص وبعد مضي يومين اصبح على موعد مع الغواصة الالمانية التي تمكن من ارشادها الى داخل المرفأ. وقد ادعى (ريس) بان البحرية الملكية كانت على علم بهذه التفاصيل. وبهذا الصدد يقول: «لم يجد المجلس التحقيقي اية صعوبة في اكتشاف هروب الساعاتي (W) هذا وقد وُجدت سيارته المهجورة على مقربة من (سكـاپافلو) في الصباح الذي تلى حادث الاغراق.» ان هذه القصة المثيـرة لا تجد اي تـأييد لهـا في السجـلات الرسمية السـرية التي تضم محـاضر جلسات المجلس التحقيقي ـ هـذه السجلات التي رفع الحظر عنها مؤخراً واصبحت في متناول من يريد الاطلاع عليها وذلك في (دائرة القيود العامة)[٣]. ومع ذلك فقد تضمن مقال (ريس) هذا معلومـات جديـرة

بالاعجاب كما ورد فيه اسم (فيلهيلم كناريس) رئيس الاستخبارات العسكرية الالمانية الذي كانت هويته في عام ١٩٤٢ لا تزال سرية. وقد تابع الموضوع، بعد ثلاث سنوات، صحفي امريكي آخر هو (كرت سنجر) Curt Singer الذي كتب كتاباً بعنوان «جواسيس وخونة في الحرب العالمية الثانية» Spies And Traitors in World War II. وقد تضمن هذا الكتاب فصلاً تحت عنوان «الرجل الذي قام فعلاً باغراق السفينة (رويال أوك)». The Man Who Really Sank The Royal Oak كان (سنجر قد ولد هو الآخر في النمسا وقد قام بتأليف كتابين تناولا سيرة كل من (هيرمان غورنج) Hrman Goering و (پاستور نيمولير)* Pastor Niemoller وقد لقي هذان الكتابان رواجاً ملحوظاً.

ويتحدث (سنجر) عن مصادر كتابه هذا بقوله:

«لقد عنيت نفسي بامور التجسس منذ عام ١٩٣٣،
ولي مساهمات فاعلة في الكشف عن عملاء دول المحور كما كان
لي الشرف في ان اكون موضع استشارة العملاء الحكوميين
للدول الحليفة، مدنيين كانوا ام عسكريين. ان نسبة
تسعين بالمائة من الاسماء والاحداث الواردة في هذا
الكتاب قد أُخذت من وثائق محققة.»[1]

ان اسم الرجل الذي اشار اليه (ريس) بالحرف (W) هو في الواقع (الفريد ويهرنغ) وذلك استناداً الى ما اورده (سنجر). ففي عام ١٩٢٧ كان (ويهرنغ) هذا قد انتحل شخصية (البرت اويرتيل) السويسرية وانتقل الى جزر (الاوركني) ليصبح بعد مرور عشر سنوات مواطناً بريطانياً بالتجنس. ومن خلال دراسته تفاصيل وسائل الدفاع المحلية لفترة تجاوزت عشر سنوات اصبح (اويرتيل) هذا في الوضع الامثل الذي مكنه القيام بدور المرشد لغواصة مهاجمة. وفي عام ١٩٣٩ ابرق الى المانيا، بواسطة جهاز الارسال السري الذي كان بحوزته، وحدد، على ما يبدو، موعداً مع غواصة المانية وذلك في (برزخ كيرك) Kirk Sound. وكانت الغواصة مجهزة بخريطة حديثة مثبت فيها مواقع مجموعات السفن التي كانت قد وضعت مؤخراً في الميناء. وقد تمكن (اويرتيل) وقائد

---

* قس بروتستانتي المذهب. رحب عام ١٩٣٣ باستلام النظام النازي مقاليد الحكم اذ اعتبر هذه الخطوة بعثاً قومياً. إلا انه سرعان ما اصيب بخيبة امل نتيجة الهيمنة التي فرضها هذا النظام على كافة الامور الكنسية. اعتقل في الشهر الثالث من عام ١٩٣٨ واودع بعد ذلك احدى معسكرات الاعتقال حيث بقي فيها لحين اطلاق سراحه من قبل قوات الحلفاء وذلك بعد اندحار المانيا ـ المترجم.

الغواصة الالمانية النقيب (غـونثرپـراين) سويـاً من اجتياز العـوائق التي تم وضعها ليوجهوا بعد ذلك قذيفة طوربيدية للسفينة (روياك اوك) وبعد ان تم له تنفيذ هجومه بنجاح، عاد (پراين) الى ميناء (كييل) الألماني حيث قوبل بترحاب يليق بالابطال.

لقد أيد (سنجر) الجزء الاكبر من رواية (رينيس) واعطىٰ في الحين ذاته وصفاً مفصلاً لمهمة (اويرتيل) وخلفيته. يقول (سنجر): «كان (ويهرنغ) اصغـر قادة السفن والغواصات الالمانية سناً في المانيا. وقد اثبت كفاءته كضابط بحري مقتدر من خلال عمله على ظهر السفينة (الأميرال هيپر) Admiral Hipper وكان (ويهرنغ)، على ما يبدو، قد جند للعمل كجاسوس وذلك عندما «بادر (كناريس) عام ١٩٢٣ الى ارسال اول جاسوس بحري الماني منذ التوقيع على معاهدة (ڤيرساي)». وقد ثبت لاحقاً بان (ويهـرنـغ) هـذا كان جاسوساً بارعاً. وبهذا الصدد يقول (سنجر):

«لقد توسم (كناريس) في (ويهرنغ) قدرات عالية وبذلك
فقد اختاره عام ١٩٢٣ للقيام بالمهمة الجديدة، التي كان لها
اهمية بالغة. فقد كان على (ويهرنغ) ان يصبح وكيل
مبيعات لشركة المانية للساعات. وبصفته وكيلاً حسن
السمعة لشركة مأمونة الجانب فان عمله هذا تطلب قيامه
بزيارة العديد من الأقطار الاوربية بهدف مراقبة
الانجازات البحرية الجديدة فيها. وبعد ان امضىٰ ثلاث
سنوات في هذا العمل، أرسل الى سويسرا حيث تدرب
هناك لدىٰ شركة سويسرية تقوم بتصنيع الساعات.
وقد تمكن من خلال تدريبه هذا ان يصبح ساعاتياً حاذقاً.
وفي عام ١٩٢٧ هاجر الى انجلترا.... وسكن
مدينة (كيركوال) في جزر (الاوركني) القريبة من قاعدة (سكاپافلو).[٦]

وبعد هذه النبذة الموجزة عن سيرة (ويهرنغ) انتقل (سنجر) الى وصف كيف تم لهذا الرجل توجيه الهجوم الذي قامت به الغواصة الالمانية. وبهذا الخصـوص يقول (سنجر):

«ولكن الحقائق ثابتة. فبعد مرور شهر على اندلاع
الحرب علم (اورتيل) Ortel (كذا) بان شبكات ومصائد
المداخل الشرقية لميناء (سكاپافلو) لم تكن

في اماكنها ـ فقد تبين بعد فحصها أنها لم تكن بحالة جيدة
اذ كان هيكلها قد بلي نتيجة الصدأ وقرض ديدان الخشب.»[٧]

إثر اكتشافه مواطن الضعف في الدفاعات بعث (ويهرنغ) رسالة لاسلكية «الى الملحق البحري الالماني في هولندا (البارون فون بولو) Baron Von Bullow»[٨] الذي قام بدوره بتوجيه رسالة من مقر عمله «في (لاهاي) The Hague الى (كناريس). وقد اصبح هذا الاخير على علم بان ميناء (سكاپافلو) لم يكن في الواقع محمياً وبانه كان عرضة لاي هجوم تشنه عليه غواصة معادية. كما علم (كناريس) كذلك بان نصب دفاعات جديدة يتطلب بضعة ايام.»[٩]

اما ما تبقى من تفاصيل العملية هذه فكان واضحاً نسبياً: «فقد تم اختيار النقيب البحري (غونثر براين) قائد الغواصة (B — 06) لتنفيذ المخطط». وقد حدد ((براين)) هذا موعد لقاء مع (ويهرنغ) وذلك في موضع «يقع على مقربة من نهاية الجانب الشرقي من جزيرة (بومونا) Pomona وقد قام (براين) بارسال قارب مطاطي لجلب الجاسوس. «قام (اورتيل) Ortel بتسليم المعلومات اذ كان قد هيأ خرائط بحرية اشتملت على مخطط كامل لكافة التفاصيل المتعلقة بميناء (سكاپا فلو). وقد اشار هذا الجاسوس الى المواقع التي لم تكن محمية.» وما ان نفذت الغواصة هجومها حتى هربت عائدة الى ميناء (كييل). وكان (ويهرنغ) هذا على ظهرها عند عودتها الى الميناء المذكور. اما ما يخص عودة هذه الغواصة الى مينائها الأم فان (سنجر) يذكره على النحو التالي:

«وفي وسط الاحتفال انسل رجل، لم يكن مرتدياً
البزة الرسمية، بعيداً عن الرصيف الذي رست عنده
الغواصة (B — 06). وبالرغم من ان الصحف قد قامت
بالاشادة بما حققه افراد طاقم الغواصة من انجاز
مشيرة الى اسم كل منهم إلا انها لم تذكر شيئاً
عن هذا الشخص المدني. كما انه لم يدع لحضور المأدبة»[١٠]

وفي عام ١٩٥٥ نشر (سنجر) مجلداً آخراً تحت عنوان «المزيد من قصص الجاسوسية» More Spy Stories اعاد فيه كتابة جزء كبير من التفاصيل الاصلية وذلك في فصل عنوانه «الرجل الذي أغرق السفينة (رويال اوك)» The Man Who Sank The Royaloak ويتضح مما ورد في هذا الفصل ان ثقته في تفاصيل القصة الاصلية لم تتزعزع خلال فترة العشر سنوات التي تخللت تاريخي نشر الكتابين إذ انه يعيد السرد بقناعة مضاعفة

فيقول) «وبالرغم من ان الصحف قد اشادت بما حققه افراد طاقم الغواصة من انجاز، مشيرة الى اسم كل منهم شخصياً، إلا انها لم تذكر شيئاً عن هذا الشخص المدني ـ ذلك الجاسوس البارع الذي كان في الحقيقة المسؤول عن الهجوم الموفق الذي شُن ضد (سكابا فلو).»[11]

وبالرغم من ان تفاصيل رواية (سنجر) قد بقيت دون تغيير فقد برز كاتب جديد تناول احداث هذه القصة ففي عام ١٩٤٧ قام احد مقاتلي المقاومة التشيكية السابقين، وهو رجل يدعى (ادوارد سپيرو) Edward Spiro، بنشر كتاب عنوانه «اسرار الخدمات السرية البريطانية» Secrets Of The British Secret Service تحت اسم مستعار هو (ئي. اچ. كووكردج) E. H. Cookridge. وقد روىٰ فيه «كيف ان مواطناً هولندياً يدعى (منهير يوشم ڤان شوليرمان) MJnheer Jouchim Van Schullermam كان قد وصل الى انجلترا عام ١٩٢٧ بصفته ممثلاً لشركة سويسرية لصناعة الساعات، وقام خلال عام ١٩٢٨ بتأسيس ورشة لهذا الغرض وذلك في مدينة (كيركوال)، ثم يسترسل الكاتب ليقول:

«في عام ١٩٣٢، وبعد مضي خمس سنوات على مكوثه مقيماً في بريطانيا، تقدم (شوليرمان) الى مكتب الاقامة الاسكتلندي بطلب اكتساب الجنسية البريطانية. وبسبب كونه معروفاً من قبل الجميع في مدينة (كيركوال) فانه لم يلق صعوبة في ايجاد بعض وجهائها ممن قاموا بتزكيته لدى السلطات المختصة. وهكذا مضت معاملة اكتسابه الجنسية البريطانية في سبيلها بدون اية صعوبة»[12]

واستناداً لما رواه (كووكردج) فقد كان (شوليرمان) في الحقيقة هو النقيب (كرت ڤون ميولر) Kurt Von Mueller الالماني:

«حامل وسامي الصليب الحديدي والاستحقاق العسكري اللذين منحا له من قبل قيصر المانيا لاستبساله في واقعتي (جوتلاند) Jutland و (كاتيجات) Kattegat. وكان هذا النقيب قد عانىٰ من عار مراقبة سفن البحرية الالمانية المندحرة وهي تدخل مستسلمة الى ميناء (سكاپافلو) عام ١٩١٨»[13]

كانت مهنة (ڤون ميولر) «قد بدأت عندما اتفق وجوده في اسبانيا عام ١٩١٧ عرضاً مع وجود (كناريس). وكان هذا الاخير يتمتع بفترة استجمام اثر عودته من امريكا حيث كان عميلاً لـ (ڤون بابن) Von Papen. وقد ابتدأ هذان صداقة حميمة تعززت بلقاءات لاحقة من حين لآخر.» وكان شبه (ڤون ميولر) بـ (ويهرنغ) امراً يلفت الانتباه حتىٰ فيما يتعلق بالزيارة الى سويسرا حيث «ذهب لكسب المال عن طريق العمل لدى شركة في (لاشو دي فوندز) La Chaux de Fondes. ومن خلال عمله هذا تعلم مهنة صناعة الساعات.»[14] وقد

جمع (فون ميولر) بعد ذلك بين التجسس وصناعة الساعات وذلك في جزر (الاوركني).
ويعترف (كووكردج) «باحتمال بقاء الكيفية التي تم لـ (فون ميولر) من خلالها ربط المعلومات المتعلقة بتفاصيل تعقيدات العوارض والشبكات الخاصة بدفاعات (سكاپافلو) المضادة للغواصات، لغزاً لن يتمكن احد من حله»[١٥]

ومع ذلك فقد نجح الجاسوس اذ تمكن في الرابع عشر من شهر تشرين الاول من الحصول على قارب صغير امن له سبيل تجاوز الدفاعات الساحلية من اجل تحقيق لقائه بالغواصة الالمانية في موقع يبعد ستة اميال عن ميناء (سكاپافلو) باتجاه شرقي.»[١٦]
وتتضمن قصة (كووكردج) تفاصيل الاحتفال التي يعبر عنها بقوله:

«في ميناء (كييل) اقيم احتفال عظيم بمناسبة وصول
الغواصة الى الرصيف. وقد حضر الاحتفال الاميرال (دونتز)
Admiral Doenitz الذي هنأ قائد الغواصة وطاقمها.
ولم يلتفت الكثير من الحاضرين الى ذلك الرجل البدين
والقصير القامة الذي كان يرتدي الملابس المدنية.
لقد برز هذا الرجل من برج المراقبة الخاص بالغواصة
دون ان يُلفت انتباه احد ليسرع الى الطائرة
التي كانت بانتظاره والتي سرعان ما اقلعت في
طريقها الى برلين.»[١٧]

ومما يثير الحيرة ان يستهل (كووكردج) مقدمة كتابه بالملاحظات التالية:
«لقد حاولت تفادي الرومانتيكية الزائفة في هذا السرد ولربما يكون الخيال في بعض الاحيان مصدراً لمتعة اكبر وبذلك قد يصاب القراء الذين يستلهمون افكارهم بخصوص اعمال التجسس من قصص المغامرات الروائية بخيبة امل. ولكني وجدت من الافضل ان يكون اعتمادي على البحث الدقيق والوثائق الرسمية بدلاً عن الخيال الخصب»[١٨]

وسرعان ما بدأت الصحف متابعة قصة (كووكردج) هذه فبتأريخ ٢٤ / ١٢/١٩٤٧ اكدت صحيفة (دير كورير) Der Kurier الصادرة في برلين والموجهة من قبل السلطات الفرنسية، بان (الفريد ويهرنغ) كان متميزاً خلال الحرب العالمية الاولى بصفته اصغر القادة البحريين الالمان سناً على ظهر السفينة (الاميرال هيير).»
وبعد مرور اكثر من عام على نشر هذه التعابير، عادت مجلة (الساتردي ايفننيغ

بوست) The Saturday Evening Post في شهر آب من عام ١٩٤٩ لتتناول الموضوع من خلال مقال بعنوان «لغز غواصة ساكبا فلو» The u — Boat Mystery Of Scapa Flow. يصف كاتب هذا المقال (برك ولكنسون) Burke Wilkinson «حبكة ثانوية حرّفت تفاصيلها الى حد بعيد وكثرت الاشارة اليها». يتعلق هذا المقال، طبعاً، «بالمدعو (الفريد ويهرنغ) الضابط البحري الألماني الذي امتاز بسجل مشرف في الحرب العالمية الاولى». وقد كشف (ولكنسون) عن اتخاذ (ويهرنج) «اسم (البرت اويرتيل) Albert O'rtel وهو اسم سويسري مألوف»، كما «اصبح في عام ١٩٣٢ مواطناً بريطانياً. ويلاحظ ما لبعض التفاصيل التي يرويها (ولكنسون) من صدى مألوف:

ثم يظهر (ويهرنج) بعد ذلك في سويسرا ليتدرب لدى شركة سويسرية للساعات. وبعد ان الم بجوانب هذه الحرفة واكتسب الخبرة في مجالها اصبح حرفياً خبيراً. وفي عام ١٩٢٧ هاجر الى انجلترا بجواز سفر جديد راعىٰ تزويده به الاميرال (كناريس) وهكذا اصبح (الفريد ويهرنج) يدعىٰ بالاسم السويسري المألوف (البيرت اويرتيل).»

ويكمن الفرق الوحيد بين رواية (ولكنسون) وما سبقتها من روايات بهذا الصدد في تحديد تأريخ اكتساب (اويرتيل) الجنسية البريطانية اذ يحدد ولكنسون ذلك في عام ١٩٣٢، وهو نفس التأريخ الذي تم فيه اكتساب الجنسية البريطانية من قبل الهولندي الذي يذكره (كووكردج). اما بالنسبة لما رواه (ريبس) فان اكتساب الجنسية قد تم بعد ذلك بخمس سنوات، اي في عام ١٩٣٧.

وقد اكد كتاب آخر، نشر عام ١٩٥٦ بعنوان «المتاهة» The Labyrinth، الدور الذي لعبه (ويهرنج) في عملية اغراق السفينة (رويال اوك). وقد قام بتأليف هذا الكتاب (والتر شيلينبرغ) Walter Schellen berg الرئيس السابق لمنظومة الخدمات الأمنية (النازية) المعروفة باسم Sicherheitsdienst والتي يرمز لها بالحرفين (SD)*. وكان (شيلينبرغ) هذا قد لجأ الى السويد بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية إلا انه رُحل الى المانيا عام ١٩٤٥ من اجل محاكمته بتهمة اشتراكه في ارتكاب جرائم الحرب. وقد تم التحقيق معه من قبل البريطانيين واستقر واستغرق ذلك زهاء تسعة عشر شهراً. واخيراً وجهت له في (نيورنبورغ) عام ١٩٤٨ تهمة الاشتراك في ارتكاب جرائم الحرب. وفي نيسان من عام ١٩٤٩ حُكم عليه بالسجن لمدة ست سنوات إلا انه لم يقض منها فعلاً سوى سنتين وذلك

* هي المنظومة الامنية الخاصة بقوات (SS) النازية. وهنالك شرح مسهب عن دور ونشاطات هذه المنظومة في كتاب «بزوغ وانهيار الرايخ الثالث» The Rise And Fall of The Third Reich للكاتب الامريكي (وليام شيرر) Williom Shirer ـ المترجم.

بسبب الفترة التي كان قد قضاها في التوقيف قبل صدور الحكم، وفي حزيران من عام ١٩٥١ اطلق سراحه إلا انه توفي في مدينة (تورين) Turin الايطالية في آذار من عام ١٩٥٢.
اما سيرة حياته التي كتبها بنفسه والتي نشرت بعد وفاته فقد أثبت صحة نسبتها اليه الأكاديمي المتمين، المؤرخ (الان بولوك) Alan Bullock الذي يحمل الآن لقب (اللورد بولوك) والذي اوضح في مقدمة الكتاب هذا بان «هذه القصص باجمعها لا تستند على الخيال بل على تأريخ الاحداث لفترة العشرين سنة المنصرمة. وقد قام بروايتها الرجل الذي ترأس منظومة الخدمات الاستخبارية الخارجية الخاصة بـ (هتلر)».[١٩] ثم يسترسل (اللورد بولوك) قائلاً: «الى جانب الاهتمام الذي تثيره هذه القصص، فاني على ثقة بما لمذكرات (شيلينبرغ) هذه من قيمة كبيرة لما تشكله من ادلة تأريخية.»[٢٠] ويكاد ما يرويه (شيلينبرغ) عن مساهمة (ويهرنغ) ان ينطبق بالضبط على ما رواه بهذا الصدد لكل من (رييس) و (سنجر):

«ان مدى اهمية العمل التمهيدي البعيد الامد الذي يعتمد التخطيط الحاذق، وما يعود به من نتائج مجزيه في النهاية، ينعكس من خلال العملية الموفقة التي قام بها قائد الغواصة الالمانية النقيب البحري (پراين) ضد القاعدة البحرية البريطانية في (سكاپافلو) في تشرين الاول من عام ١٩٤٠. ان نجاح هذه العملية اصبح ممكناً عن طريق العمل التمهيدي الدقيق الذي استغرق فترة خمسة عشر عاماً. لقد كان (الفريد ويهرنغ) احد قادة السفن في البحرية الامبراطورية الالمانية وقد انظم بعد فترة من الزمن للعمل في القطاع العسكري لمنظومة الخدمات السرية الالمـانية.

وبعد ان وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها عمل كممثل جوال لمعمل الماني للساعات. ومن خلال عمله بامرة الخدمات السرية الالمانية طوال الوقت تعلم حرفة الساعاتيين باتقان في سويسرا. وفي عام ١٩٢٧ استقر في انجلترا تحت اسم (البرت اويرتيل) وبجواز سويسري. وفي عام ١٩٣٢ أصبح بريطانياً بالتجنس. وقد قام بعد ذلك بقليل بفتح متجر صغير لتجارة الحلي في مدينة (كيركوال) الواقعة في جزر (الاوركني) قرب ميناء (سكاپافلو) حيث كان يقوم بين الاونة والاخرى بتزويدنا بتقارير عن تحركات الاسطول البريطاني الداخلي.

وفي بداية شهر تشرين الاول من عام ١٩٣٩ ارسل لناا الخبر الهام الذي اعلمنا بموجبه بان المدخل الشرقي المؤدي الى ميناء (سكاپا فلو) عبر برزخ (كيرك) لم يكن قد تم اغلاقه بواسطة الشبكات المضادة للغواصات بل فقط

بواسطة هياكل سفن قديمة وضعت بعيـدة نسبياً بعضهـا عن االبعض الآخر. وعندما تم للاميرال (دونتز) Doenitz استلام هذه المعلومات امر النقيب (براين) بمهاجمة اية باخرة حربية يجدها في ميناو (سكاپافلو)»[٢١]

ويوحي قيام (شيلنبرغ) بالاشارة الى (الفريد ويهرنج)، وقوله بان هذا الاخير قد «ارسل لنا الخبر الهام»، بانه (اي (شيلنبرغ) كان على علم بهذه القضية. وكما سنلاحظ في مجال لاحق، فان هنالك ما يشير الى ان (شيلنبرغ) قد علم بامر وجود (ويهرنج) للمرة االاولى عن طريق البريطانيين لا من خلال ممارساته ضمن مجال عمله.

وقد اعقب مذكرات (شيلنبرغ) اول تحقيق مستقل يتصف بالاهمية بصدد الكارثة التي حدثت في ميناء (سكابافلو). وفي عام ١٩٥٩ نشر (الكسندر مـاكيي) Alexawder Mckee ما توصل اليه من استنتاجات في كتاب بعنوان «السبت الحزين» Black Saturday حيث يؤكد باصرار بان (ويهرنج) لم يكن له وجود بالمرة، كما يوحي، بالاضافة الى ذلك، بان غواصة (براين) الـ (U — 47) لم تنفذ الى ميناء (ساپافلو). ومن المؤكد ان سيـرة (براين) االذاتية، التي كتبها بنفسه، تحتوي على بعض المعلومات التي تفتقر الى الدقة. ولربما يعود ذلك الى الرقابة المشددة التي فرضت اثناء الحرب والتي قد تعتبر من الامور التي يمكن توقعها في المانيا عام ١٩٤٠. ومن الطبيعي ان تهمل هذه السيرة اي ذكرلدور (ويهرنج). وفي عام ١٩٥٨ نشر آمر (براين). وهو الاميـرال (كارل دونتـز) مذكـراته. وبالرغم من ان (دونتز) قد اكد بان غواصة (براين) كـانت هي المسؤولة عن اصـابة السفينة (رويال اوك) بقذيفة طوربيدية، إلا انه ينكر هو الآخر اي علم بـ (ويهرنج). وقد اصر (دونتز) على انه كان قد خطط شخصياً لهذا الهجوم في ضوء معلومات كانت القوة الجوية الالمانية (اللوفتوافا) قد حصلت عليها. وهكـذا جاء (مـاكيي) لينسف القصة باكملها.

وقد ازدادت هذه القصة تعقيداً في آذار من عام ١٩٦٣ عندما نشر (جون بولوش) John Bulloch كتابه الذي يحمل عنوان الـ (ام. آي. (٥)) MI — 5 والذي يتضمن عرضاً لتأريخ الخدمات الامنية البريطانية The British Security Service لقـد نجح (بـولوش) في التوصل الى مخطوطة لم يسبق نشرها. وقد قامت بتدوين هذه المخطوطة (الليدي كيل) Lady Kell زوجة اللواء (السير ڤيرنون كيل) major — General Sir Veron اول مديـر عام للخدمات الأمنية البريطانية الـ (MI — 5). واستناداً الى ما يرويه الكاتب (بولوش) هذا، والذي استند جزء منه على ما جاء في مخطوطه (الليدي كيل)، فان (السير ڤيرنون) قد حُمل مسؤولية الانحطاط في مستوى الاجراءات الامنية في ميناء (سكاپا فلو). وبهـذا

الصدد يقول (بولوش):

«لقد اتضح بان الالمان كانوا قد زودوا بمعلومات حديثة من قبل جاسوس. ولعدم وجود اي استطلاع جوي قبل تمكن الغواصة من التسلل الى الميناء، فقد اتضح ايضاً بان الجاسوس هذا قد تمكن من اعلام المانيا بان السفينة (رويال اوك) كانت قد رست في الميناء وذلك في ظرف يوم من وصولها.»[٢٢]

يشير المغزى الذي تنطوي عليه رواية (بولوش) الى ان مسؤولي الخدمات الامنية البريطانية كانوا انفسهم يعتقدون بان جاسوساً المانياً كان هو المسؤول عن الكارثة. وقد شاركت جهات بريطانية اخرى مسؤولي الخدمات الأمنية هؤلاء رايهم:

«لقد انصرفت جهود كل من الخدمات الامنية البريطانية (MI – 5) والشعبة الخاصة والاستخبارات البحرية والشرطة الى محاولة العثور على الرجل الذي جعل هذه المأثرة الالمانية امراً ممكناً إلا انها باءت بالفشل. وقد اعتبر الامر اندحاراً خطيراً للسلطات الامنية البريطانية وضربة موجهة لشخص (كيل) سرعان ما حطمت ما كان لديه من ثقة بصدد اعتقاده بانه كان قد تمكن من جمع كافة العملاء الالمان في بريطانيا»

ان يقين الخدمات الأمنية البريطانية بصحة النظرية التي افترضت وجود الجاسوس قد تأيد في وقت لاحق من قبل (لادسلاس فاراغو) Ladislas Farago وذلك من خلال ما جاء في كتابه «لعبة الثعالب» Game Of The Foxes الذي نشر عام ١٩٧١. وقد بين (فاراغو) بان السلطات البريطانية قد قامت بتدقيق تفاصيل القصة الاصلية التي نشرتها مجلة (الساترداي ايفيننغ بوست) «وذلك عن طريق قيام احد عملا الخدمات الامنية البريطانية (MI – 5) في نيويورك لمقابلة الشخص الذي ابتدع القصة وبقبولها على علاتها»[٢٣]

فهل امكن لـ (شيلينبرغ) الحصول على تفاصيل احداث روايته من مصدر بريطاني وذلك من خلال المناسبات التي تم فيها التحقيق معه من قبل رجال الخدمات الامنية البريطانية (MI – 5) بعد الحرب؟ ان امكانية حدوث ذلك يبدو محتملاً بشكل متزايد بدليل ما يظهر البريطانيون عليه من ايمان. وفي كلتا الحالتين فان مساهمة (بولوش) هذه تشكل مرحلة مهمة في تطور اسطورة (سكابا فلو). فبعد ان بدأت القصة في امريكا اعاد روايتها احد رؤساء النشاط التجسسي الالمان وسلم بها البريطانيون بعد ذلك. وقد اكملت هذه القصة دورتها حقاً في عام ١٩٦٢ وذلك عندما قام احد كبار مسؤولي الاستخبارات الامريكيين، الذي كان قد تقاعد عن العمل مؤخراً، بنشر ملاحظاته عن التجسس. وقد اختار هذا المسؤول، المدعو (جيمس ماكارجار) James Mac Cargar، لنفسه

اسماً مستعاراً هو (كريستوفر فيليكس) Chtistopher Felix، كما اختار لكتابه عنوان «الجاسوس واسياده: دورة تعليمية قصيرة في الحرب السرية» The Spy And His Masters: AShort Course In The Secret War وعندما قام هذا المطلع على دخائل الامور بمعالجة مسألة «العملاء الكامنين» الشائكة فانه علق قائلاً:

«ومما يجدر ذكره كمثال للعميل (الكامن) Sleeper هو صاحب النزل الذي دفعه الالمان الى القاعدة البحرية البريطانية في (سكاپافلو) بعد فترة قصيرة من انتهاء الحرب العالمية الاولى. لقد قبع هذا العميل طوال سنين عديدة دون ادنى حركة حتى اندلعت الحرب العالمية الثانية. وقد استطاع آنذاك ان يقوم بتزويد المعلومات التي مكنت الغواصة النازية من التسلل الى (سكاپافلو) في الايام الاولى من الحرب وتسديد قذيفة طوربيدية الى الباخرة (رويال اوك) ومن ثم الفرار بسلام»[٢٤]

في ضوء هذا القبول الواسع الانتشار، ليس من المستغرب ان يعود (كووكردج) الى هذا الموضوع عام ١٩٦٨ وذلك من خلال كتابه «الرجل الثالث» The Third Man الذي تناول فيه سيرة (كيم فيلبي) Kim Philby. وبهذا الصدد يقول (كووكردج):

«لقد اتضح بان الاستخبارات البحرية الالمانية كانت قد استلمت معلومات دقيقة حول رسو السفينة في الميناء وكذلك حول وضع الوسائل الدفاعية فيه، وبان هذه المعلومات كانت ثمرة عمل جاسوس ما»[٢٥]

وكما راينا في مجال سابق، فان (ماكيي) قد شكك في امر وجود (ويهرنغ)، ومع ذلك هنالك اعتقاد اوسع انتشاراً بوجود جانب تجسسي لفقدان السفينة (رويال اوك). وقد ارتكزت احدى النظريات على (براين) نفسه. فاستناداً الى ما رواه (جيوفري كوزنس) Ceofrey Cousins في كتابه «قصة سكاپا فلو» The Story Of Scapa Flow فان (براين) قد قام شخصياً بعمليات استطلاعية قبل اندلاع الحرب. ويقول (كوزنس) بهذا الخصوص:

«كان (غونثر براين) من معدن يتلاءم مع النخبة الممتازة من رجال البحرية الالمانية، العاملين في اسطول الغواصات. وانطلاقاً من سعيه الذي استهدف تحقيق احلامه وطموحاته فقد قام بقضاء اجازة في جزر (الاوركني) متظاهراً بانه احد السواح اليافعين إلا انه في الواقع كان جاسوساً.»[٢٦]

ويذكر (كوزنس) كذلك بان (براين) «قد درس بوجه خاص كافة تفاصيل المداخل المؤدية الى الميناء. وبعد ان ادرك بان المداخل الغربية والجنوبية كانت محصنة ومحمية بشكل جيد حول نظره الى القناة الشرقية». ولما كان (براين) قد قتل في شمال المحيط الأطلسي فان تأييد او نقض هذا الادعاء قد اصبح امراً صعباً للغاية. ولكن الفكرة قد

ساعدت بالتأكيد على بعث دور الجاسوسية في قضية السفينة (رويال اوك) حتى بعد ضياع ما بدى من كثير من القدرات الميالة الى التخيل على ما يبدو ان قيود وزارة الداخلية البريطانية لا تشير الى تقدم اي شخص يحمل اسم (ويهرنغ) او (اويـرتيل) او (فـان شولرمان) بطلب اكتساب الجنسية البريطانية، كما لا تشير هذه القيود الى أن أياً من اصحاب هذه الأسماء قد اصبح مواطناً بريطانياً بالتجنس. حتى امين المكتبة الاول في (اوركني)، السيد لـ (دافيد تنج) David Tinch، الذي يرأس ادارة اقدم مكتبة عامة في (سكوتلندا)، هـذه المكتبة التي تـأسست عام ١٦٨٣، قـد ساهم هـو الآخر في إزالة الجاسوس وذلك بقوله:

«لم يعمل ساعـاتي سويسـري الجنسية، او من جنسيـة اخرى، في (اوركني) /ـانذاك، سواء كان ذلك على حسابه الخاص او بصفة استخدامية لدى احد الساعاتيين المحليين. وان اسم (البرت اويرتيل) هو محض اختراع ولربما كان قد اشتق من اسم فندق (البرت) Albert Hotel وهو فندق في كيركوال)»[٢٧]

وكانت اكثر النظريات تعقيداً تلك التي تقدم بها (دونالد ماكورميـك) Donald Mc Cormick (الذي استخدم الاسم المستعار رتشارد ديكن Richard Deacon) وذلك في كتابه «الحرب الصامتة» The Silent War الذي نشر عام ١٩٧٨. لقد اقر هذا الكاتب بان (ويهرنغ) لا وجود له إلا في مخيلة شخص ما، ولكنه قدم فكرة اخرى استندت الى قيد ورد في سجل Log الغواصة (U — 47) للساعة (١٢٠٠) من يوم الاحد المصادف١٤ /١٠ /١٩٣٩. لقد ثبتت (براين) في السجل المذكور مخاوفه بصدد افتضاح امر مهمته بسبب تسلط الأضواء الامامية لسيارة عابرة، كانت في طريقها بين (سانت ميري) و (كيركوال)، على الغواصة u — 47 التي كانت تقتحم خليج (كـير) وهي تطفـو على سـطح الماء. وقـد اقر المجلس التحقيقي الذي شكلته قيادة القوة البحرية عدم احتمال قيام النقيب البحري (براين) بتلفيق مثل هذا الحدث للصحافة، إلا انه (اي المجلس التحقيقي) عجز عن العثور على سائق السيارة المذكورة وقد تقدم (ماكورميك) بافتراض يفسر تردد السائق في التقدم والاعلام عن نفسه:

«لقد ثبت بان السائق الغامض هذا لا يقل مواربة عن (اويرتيل) الموهوم ـ اذ لم يتم العثور عليه بالمرة. فهل يمكننا الافتراض بان هذا السائق كان احد عملاء (كناريس) السريين الذي كان واجبه احباط مهمة (براين)؟ وبالرغم من غرابة هذا الافتراض فانه ليس بالامر المستحيل»[٢٨] .

هنالك نتيجة لا مفر منها وهي اننا في الوقت الذي لا نؤيد وجود جاسوس (سواء كان اسمه ويهرنغ ام فون ميولير، او سواء كان ساعاتياً ام صاحب نزل) نجد بان هنالك الكثير من المعلقين الذين يشيرون الى ان مجرد رفض فكرة التجسس في حالة معينة لا يعني ازالتها بالمرة بالنسبة لحالة اخرى.

ان مثل هذا التخمين غير مجدي. فمن خلال السنوات التي اعقبت انتهاء الحرب شرع في اعداد الكثير من الابحاث بهدف التوصل الى تحديد الظروف الدقيقة لضياع السفينة (رويال أوك). واذا ما اكتفينا بذكر اثنين فقط من بين الباحثين المستقلين وهما ولفغانغ فرانك) و (الكسندر ماكيي) نجد بانهما قد استنفذا مئات من الساعات في دراسة كافة اوجه مهمة الغواصة (U — 47) الى (سكايافلو) دون ان يتمكنا من العثور على اي دليل يثبت فكرة دور الجاسوس في هذه العملية. وقد تمكن (جيرالد سنايدر) Gerald Snyder، مؤلف كتاب «نكبة الباخرة (رويال أوك)» The Royal Oak Disaster، من تعقب جميع الخمسة عشر ملاحاً الذين لا يزالون على قيد الحياة، وهم من اصل مجموع افراد طاقم الغواصة (U — 47) البالغ اربعة واربعين. وقد انكر هؤلاء الملاحون مساهمة اي جاسوس في العملية المذكورة. وقد اصبح اصغرهم سناً، وهو الملاح (هيربرت هيرمان) Herbert Herrmann، بريطانياً بالتجنس ويسكن حالياً في (دمفريشاير) Dumfriesshire في سكوتلندا. ولهذا الملاح رأي قاطع حول موضوع (اويرتيل) او (ويهرنغ)... الخ وبذلك يجب ان يسمح له بقول الكلمة الاخيرة: «لم يكن لهذا الجاسوس الالماني الاسطوري (الذي افترض وجوده) في جزر (الاوركني) اي وجود بالمرة»[٢٩]

الهوامش

١ - وليم شايدير: يوميات برلين - الصفحة (١٩٠)
٢ - الكسندر كورجانوف: شبح سكابا فلو - الصفحة (١٨٣)
٣ - دائرة القيود العامة: الوثيقة (اي. دي. إم. ١٩٩/١٥٨)
٤ - كرت سنجر: الجواسيس والخونة في الحرب العالمية الثانية - صفحة (٥)
٥ - (نفس المصدر - الصفحة (٨٤)
٦ - (نفس المصدر) - الصفحة (٦١)
٧ - (نفس المصدر) - الصفحة (٦٣)
٨ - (نفس المصدر) - الصفحة (٨٧)
٩ - (نفس المصدر) - الصفحة (٨٦)
١٠ - (نفس المصدر) - الصفحة (٨٢)
١١ - كرت سنجر - المزيد من قصص الجاسوسية - الصفحة (٦٠)
١٢ - إي. إتش. كوكردج: اسرار الخدمات السرية البريطانية - الصفحة (٦٣)
١٣ - (نفس المصدر) - الصفحة (٦٥)
١٤ - (نفس المصدر) - الصفحة (٦٦)
١٥ - (نفس المصدر) - الصفحة (٦٧)
١٦ - (نفس المصدر) - (نفس الصفحة)
١٧ - (نفس المصدر) - الصفحة (٦٦)
١٨ - (نفس المصدر - الصفحة (٦)
١٩ - والتر شيلينبرغ - المتاهة - الصفحه (٩)
٢٠ - (نفس الصفحة) - المتاهة (١٤)
٢١ - (نفس الصفحة) - المتاهة (٦٢)
٢٢ - جون بولوش: الـ (إم. آي. - ٥ -) - الخدمات الامنية البريطانية - صفحة (١٧٠)
٢٣ - لادسلاس فاراغو: لعبة الثعالب - الصفحة (١٨٨)
٢٤ - كرستوفر فيليكس: الجاسوس واسياده - الصفحة (١٢٣)
٢٥ - إي. إتش كوكردج: الرجل الثالث - الصفحة (١٠١)
٢٦ - جيوفري كوزنس: قصة سكابافلو - الصفحة (١٤٧)
٢٧ - من رسالة الى المؤلف بتاريخ ١٩٨٣/١١/٣
٢٨ - رتشارد ديكون: الحرب الصامتة - الصفحة (١٥٢)
٢٩ - حوار مع المؤلف بتاريخ ١٩٨٣/٣/٢٩

الفصل الرابع

من كان «فيرتير»؟

Who Was Werther?

لقد ادرك السويسريون، بطبيعة الحال، احتمال ان يحل بهم، في اي وقت، نفس ما حل بـ (الدانمارك) و (هولندا)، وعليه كان الاطلاع على مخططات (هتلر) الحربية بالنسبة لهم مسألة حياة او موت.

ولقد قام (رودولف روسلير) Rudolf Rössler بايصال هذه المعلومات. أما من اين استقى معلوماته وكيف فسيبقى من اعظم الالغاز التي تحتويها سجلات الخدمات السرية في العالم».

مارجريت بوجيري:« الخيانة في القرن العشرين»

Margaret Boveri: (Treason In The 20 Th Century)

قبل منتصف ليلة ١٣/١٠/١٩٤٣ بقليل، قـامت مجموعـة من رجال الشـرطة السويسرية بتطويق الدار المرقمة ١٩٢ في شارع (فلوريسا) Route De Florissant، الكائن في ضواحي مدينة (جنيف)، وذلك استعداداً للقيام بمداهمة كان من شأنها ان تكون فاتحة لأطول تحري عرف لحد الآن عن التجسس السوفياتي.

ففي الشهر الذي سبق ذلك كانت الشرطة الاتحادية السويسرية تقـوم برصـد لاسلكي صادر من ثلاثة اجهزة مختلفة اتضح بان جميعها كانت في سويسرا. وكان موقع اول اثنين منها في مدينة جنيف وقد اطلق عليهما الاسمان (LA) و (LB). وقد اعتقد بان الثالث كان في مدينة (لوزان). وعندما تمكنت اجهزة إيجاد الاتجاهات الخاصة بالشرطة الاتحادية السويسرية من ان تحدد بدقة العنـاوين التي كان يتم منهـا بث الاشارات اللاسلكية المحظورة، قام المفتش (شارلس نيخت) Charles Knecht، من مكتب الشـرطة الاتحادية في (جنيف)، بمداهمة الفيلا. وكانت هذه الفيلا ملكاً لـ (ادوارد هاميل) Edward Hamel وزوجته (اولغا) Olga اللذين كانا من الشيوعيين المعروفين. وقد امتلك الزوجان ورشة لاجهزة الراديو تقع في شارع (كاروج) كانت قد دوهمت من قبل الشرطة في العام السابق. وكانت الشرطة في تلك المناسبة تبحث عن ادبيات هدامة وقد تم اطلاق سراح (هاميل) بعد احتجازه لفترة يومين فقط.

وفي الوقت الذي كان المفتش (نيخت) يقوم بتفتيش دار (هاميل)، دارت عمليـة مماثلة في الموقع الذي كان فيه جهاز الارسال (LB). وكان ذلك في شقة (مارغريت بولي) Mar-garet Bolli الواقعة في شارع (هنري موسارد). وقد وجدت الشرطة الاتحادية في هـذه الشقة جهاز ارسال لاسلكي كان قد اخفي في حاكي (جرامافون) من النوع الذي يمكن نقله من مكان الى آخر. وما ان حل المساء حتىٰ كانت الشرطة قد وضعت يدها على جهازين للارسال واعتقلت اربعة اشخاص اشتبه بانهم كانوا يمارسون النشاط التجسسي. وكان اسم الشخص الرابع (هانز بيترز) Hans Peters الذي كان عشيق (مارغريت بولي)، وقد ثبت في النهاية بأنه عميل محرض agent Provocateur يعمل لمصلحة الاستخبارات الالمانية (الأبفير)، وقد اطلق سراحه فيما بعد من غير ان توجه له تهمة.

ومن ضمن ما وضعت الشرطة السويسرية يدها عليه ادلة تشير الى وجود شبكة تجسس سوفيتية واسعة النطاق لم تقتصر نشاطاتها على سويسرا فحسب بل تعدتها الى اماكن ابعد وفي العشرين من شهر تشرين الثاني تم مصادرة جهاز الارسال (LC) الموجود في مدينة (لوزان) كما تم القاء القبض على مالكه البريطاني الجنسية والمدعو (الكساندر فوت) Alexander Foote. وقد اصبحت اجهزة الارسال (LA) و (LB) و (LC) تعرف في اوساط

الشرطة الاتحادية السويسرية بـ (الثلاثة الحمراء) Rote Drei.

ومن خلال افادات الاشخاص المشتبه بهم، والوثائق التي تم وضع اليد عليها، استطاعت الشرطة السويسرية ان تعيد تكوين بعض مضمون المراسلات التي كانت تجري بين محطات الارسال الثلاث المحضورة من جانب و (موسكو) من الجانب الآخر. كما تمكنت هذه الشرطة كذلك من تحديد هوية رئيس الحلقة المرجح وهو اليهودي الهنغاري (الكسندر رادو) Alexander Rado. وسرعان ما عمد (رادو)، الذي كان يسكن مدينة (جنيف)، الى الاختفاء لتجنب وقوعه بايدي الشرطة. وقد مكنت بعض كتب الجفر التي تم الاستيلاء عليها اختصاصيي تحليل النصوص المجفرة السويسريين من تسمية بعض الاشخاص الذين ورد ذكرهم في الرسائل اللاسلكية السابقة. وكان على رأس هؤلاء الاشخاص لاجئ الماني يدعى (رودولف رويسلر) Rudolf Rossler كان مقره في مدينة (لوسيرن) Lucerne. وقد تم القاء القبض عليه فيما بعد من قبل الشرطة الاتحادية السويسرية وذلك بتأريخ ٢/٦/ ١٩٤٤.

ان اعتقال (رويسلر) قد ازال على نحو فاعل ما تبقىٰ من شبكة التجسس السوفياتية، بيد ان عدداً كبيراً من الاسئلة قد بقي بدون اجابة. وليس من االغرابة ان يتلهف السويسريون الى معرفة اسباب قيام السوفييت، في سويسرا، بتحمل مشقة تمويل وتجهيز مثل هذه المنظمة الدولية البالغة التعقيد. وسرعان ما تبين بان (رادو) هذا كان محوراً لشبكة واسعة جداً استهدفت التغلغل في المانيا النازية. وقبل سقوط فرنسا، كانت سويسرا تستخدم كمحطة لجمع البريد المار بين برلين وموسكو. وعندما اغلقت السفارة السوفياتية في باريس اضطر (رادو) الى بث اشاراته اللاسلكية الى موسكو بطريقة مباشرة. ولذلك فقد تم تزويده، في بادئ الامر على الاقل، بثلاثة اجهزة للارسال تعمل على الموجة القصيرة.

وقد بقي هنالك ثمة سؤالان اضافيان تطلب الامر الاجابة عليهما: اولاً، ما هي نوعية المعلومات التي كانت تستلم من داخل المانيا النازية؟ وثانياً، من كان يقوم بارسالها؟

ان الادلة المستنبطة من الجفر التي كان السويسريون والالمان يقومون بتحليلها اثناء الحرب قد حققت ببساطة الاجابة علىٰ السؤال الاول. ان نوعية المعلومات المستلمة من قبل (رادو) كانت ممتازة، كما ثبت بانها كانت جديرة بالثقة. وعلى سبيل المثال فان الرسالة اللاسلكية التي ارسلت من قبل (دورا) DORA [و «دورا» هو جناس تصحيفي لعبارة «رادو»] بتأريخ ١٩٤٣/٤/٢٩ قد اعطت القوات الروسية التوقيت المضبوط للهجوم الالماني الذي استهدف الجزء الناتئ من الخط الدفاعي المحيط بـ (كورسك)

Kursk فكانت بذلك مكسباً قلب الميزان ضد المهاجمين. وبذلك اصبحت معركة الدروع اللاحقة نقطة التحول في الحرب. ولابد لمعلومات (دورا) إذاً، ان تكون قد اتت من اعلى المستويات في القيادة العليا للقوات المسلحة الالمانية.

ان ما يثير اهتمامنا في هذا الفصل من الكتاب هو الجواب الدقيق على السؤال الثاني، اي من الذي كان يقوم بارسال المعلومات الهامة، من داخل المانيا، الى روسيا السوفيتية عن طريق حلقة (لوسي) The Lucy Ring. وعليه فان هذا الجزء من الكتاب لا ينصرف الى معرفة الحقيقة واسطورتها بالقدر الذي ينصرف فيه الى تعقب الشخص او الاشخاص الذين كانوا يقومون بارسال المعلومات من داخل المانيا والذين نُسجت حول شخصياتهم الكثير من الاساطير. ان تحديد الجواب امر صعب لا يمكن التوصل اليه إلا بعد التمكن من الوصول الى معرفة عدد من المعلومات المضللة وطرحها جانباً.

وقد اصبح امر تحديد هوية مصدر معلومات (دورا) موضوع تأمل وتخمين جديين. وسرعان ما ثبت بان المعلومات الاستخبارية الاكثر اهمية لهذا المصدر تعود الى شهر ايلول من عام ١٩٤٢، اي منذ الوقت الذي تم فيه تجنيد (ردولف رويسلير) للعمل في الحلقة السوفيتية تحت اسم (لوسي). وقد اعترف (رويسلير) بعد اعتقاله بانه كان قناة اتصال لكمية كبيرة من المعلومات التي كانت ترد من داخل المانيا النازية، إلا انه رفض بثبات الادلاء بأي اسم. وعندما تم للمسؤولين السويسريين (وكذلك لنظرائهم في الاستخبارات العسكرية الالمانية - الابفير) الرجوع الى تحليل النصوص المجفرة لمراسلات (لوسي) وجدوا بان (موسكو) كانت هي الاخرى تتساءل بفضول، وبانها كانت قد اوعزت الى (دورا) للقيام بالأستفسار من (لوسي) عن التفاصيل المتعلقة بمصدره، إلا ان (لوسي) كان يرفض الاجابة لاسباب أمنية. وقد وجدت (موسكو) نفسها مضطرة الى ترك الموضوع خشية أن يتعرض تدفق المعلومات الى اخطار نتيجة ذلك.

وقد كشف التحليل الاضافي لمراسلات (لوسي) بان نسبة عالية من معلوماته الاستخبارية قد عزيت الى اربعة اشخاص هم (ويرذر) WERTHER و (تيدي) TEDDY و (اولغا) OLGA و (آنّا) ANNA. ولم يتمكن احد من ان يحزر بدقة من كان هؤلاء الاشخاص بالرغم من المحاولات التي بذلها الكثيرون لهذا الغرض. ولم تقف هذه المحاولات بعد انتهاء الحرب بل استمرت، وقد حاولت منظمات مكافحة التجسس الحليفة ان تجد الحل لهذا اللغز. هذا وإن معظم المعلومات التي استطاع النازيون تجميعها قدوقعت بايدي السلطات الامريكية التي واصلت البحث. واستناداً الى تقرير كتبه (فيلهلم فليك) Wilhelm Flicke، المحلل الألماني الرئيس للنصوص المجفرة، عن القضية، فان

ما يقرب من (٥٥٠٠) رسالة قد مرت بين (دورا) وموسكو في غضون السنوات الثلاث التي عملت خلالها حلقة (لوسي). ويوحي هذا الحجم الهائل بان مجموع ما كان يتم بثه يومياً قد بلغ خمس رسائل، ويعتبر ذلك حقاً انجازاً رائعاً في اوقات الحرب. ومن خلال كمية النسخ الكاربونية التي وجدت مع الاجهزة اللاسلكية، تمكن السويسريون من تقدير المعدل الشهري لما كان يتم بثه من رسائل والبالغ (١٤٠) رسالة. ومن مجموع (٣٣٢) نصاً من النصوص التي استحوذت عليها السلطات الأمريكية فان (١٣٧) منها قد ذكر اسماء (ويرذر) و (تيدي) و (اولغا) و (آنّا) كمصادر للمعلومات. وكان مـركز (دورا) بطبيعة الحال يستلم معلوماته من تشكيلة واسعة من المخبرين. فاذا ما امكننا الاعتماد على الرقم الأمريكي، نستطيع ان نعزي نسبة ٤٢٪ من المعلومات الى مصادر (لوسي) السرية الأربعة. كان البحث عن هذه المصادر دائراً. وكانت هويات اربعـة ابطال (او خونة، اذ يعتمد ذلك على كيفية النظر الى الموضـوع) كانوا المسؤولين عن افشاء سر كمية كبيرة من المعلومات النازية ذات الاهمية الاستراتيجية الى (موسكو) في خطر. وكاد ان يتفق على هذه النقطة بالذات كافة الباحثين والمـؤرخين الذين سـاهموا في البحث عن مصادر معلومات (لوسي) بالرغم من الاختلاف الكبير في الرأي حول السرعة التي كان يتم بها وصول المعلومات الى محطات (لوسي) اللاسلكية، اذ ان التحديـد الدقيق لسرعـة ايصال المعلومات قد يقدم دليلاً يؤدي بدوره الى معرفة المصدر وذلك بسبب قلة الذين كانوا في وضع يمكنهم من بث هذا الحجم الكبـير من المعلومات المهمـة بسرعـة. وفي ١٦/١/١٩٦٧ خرج رئيس اركان الجيش الالماني الاسبق، الجنرال (فـرانز هـالدر) Fran ZHalder عن صمته ليقول لمجلة (دير شبيغل) Der Spiegel: «لقد أُفشي الى العدو سر كل عملية تقريباً من عملياتنا التعرضية حتىٰ قبل ان تصل التفاصيل المتعلقة الى مكتبي».

كما ادعى (ألن دالاس) Allen Dulles الذي قام بتأليف كتاب «حرفة الاستخبارات» The Craft of Intelligence اثر تقاعده عن العمل بعد ان كان رئيس وكالة المخابرات المركـزية، قائلاً: «كان بامكان (رويسلير) في سويسرا الحصول على المعلومات من القيادة العليا في برلين باستمرار. وفي اغلب الاحيان كان يحصل على هذه المعلومات بعد مضي اقل من اربع وعشرين ساعة من قيام القيادة الالمانية هذه باصدار قراراتها اليومية الخاصة بالجبهة الشرقية»[1] ومن المحتمل جداً ان (ألن دالاس) لم يكن الشخص الذي قام اصلاً بتقدير هذا السياق الزمني بالرغم من ان مقر عمله كان في (بيرن) في الفترة الاخيرة من الحرب.

ان هذا التقدير قد جاء على ما يبدو في كتاب «دليل للجواسيس» AHand book For Spies الذي كتبه (الكسندر فوت) عام ١٩٤٩ والذي بين من خلاله بان الحلقة السوفيتية التي كان

يعمل فيها بصفة مخابر كانت تتلقى أنباء قرارات مقر (هتلر «خلال فترة اربع وعشرين ساعة» من اتخاذها»

لم تكن سيرة (فوت) العملية اعتيادية بالمرة. لقد ولد في مدينة (ليفربول) ثم عمل لدى احد تجار الغلة في مدينة (مانشستر) بعد تركه منزل اسرته. وفي عام ١٩٣٥، وبعد ان كان قد بلغ الثلاثين من عمره، انخرط في سلك القوة الجوية الملكية إلا انه اخرج منها بعد مضي سنة تقريباً بسبب عدم الافصاح عن عضويته في الحزب الشيوعي البريطاني. وسرعان ما رحل الى اسبانيا حيث انخرط في صفوف الفوج البريطاني The British Battalion التابع للواء الدولي* The International Brigade. وقد بقي في اسبانيا حتى شهر ايلول من عام ١٩٣٨. ثم عاد بعد ذلك الى بريطانيا حيث تم تجنيده رسمياً للعمل التجسسي من قبل عميل سوفياتي. وقد أوعز اليه السفر الى (ميونخ) حيث مكث فترة وجيزة من الزمن قبل ذهابه الى سويسرا ليقيم فيها بصورة شبه دائمية. وقد عمل في سويسرا ضمن نطاق شبكة سوفيتية كانت تعمل بمعزل عن (دورا). وفي عام ١٩٤٠، وبعد ان أتم دورة موسعة في فن واساليب استخدام الاجهزة اللاسلكية، اوعز اليه الانضمام الى (دورا) والقيام ببث الرسائل اللاسلكية تحت الاسم المجفر (جيم) JIM. وقد اصبحت مهنته خلال الفترة الاخيرة من حياته موضوع جدل سيتم مناقشته في موضع لاحق من هذا الفصل. اما في هذا المجال فنكتفي بالقول بانه كان يقوم ببث الرسائل اللاسلكية لـ (دورا) وبان عبارة الـ (الاربع وعشرين ساعة) التي اوردها (الن دالاس) في كتابه قد جاءت اصلاً من كتاب (فوت) لا عن طريق وكالة المخابرات المركزية او اي مصدر خاص آخر.

ومن خلال كتاب «حلقة لوسي» The Lucy Ring للصحفيين الفرنسيين (بيير أكوسي) Pierre Accoce و (بيير كويت) Pierre Quet نجد أن عامل الوقت قد خفض اكثر ليصل الى «فترة لم تتجاوز العشر ساعات» و «في حالة معينة استغرق الوقت اقل من ست ساعات». فاي من هؤلاء الناس يمكن تصديقه؟

وقد اثار كتاب الصحفيين الفرنسيين هذا، الذي نشر عام ١٩٦٧، ضجة بسبب ادعائهما بان (رويسلر) كانت له حلقة مكونة من عشرة اصدقاء مقربين كانوا جميعهم

---

* يعود تاريخ هذا التشكيل العسكري الى الحرب الاهلية الاسبانية (١٩٣٦ - ١٩٣٩) وقد انضوى تحت لوائه كافة مناوئي الفاشية من اليساريين الاوربيين الذين تقاطروا من شتى الاقطار الاوربية بما فيها انجلترا وفرنسا. وفي بادئ الامر لعب هذا اللواء دوراً بارزاً في تعزيز امكانات القوات الجمهورية ويعزى اليه الفشل الذريع الذي منيت به القوات الوطنية في محاولتها عام ١٩٣٧ لاحتلال مدريد. المترجم

من الهروتستانتيين البافاريين اما اسماؤهم فلم تكن «معروفة إلا لقلة قليلة من الناس».

وقد زعم الصحفيان، بالاضافة الى ذلك، بان «(رويسلر) كان قد تعرف على اصحابه العشرة للمرة الاولى في احدى جبهات القتال اثناء الحرب العالمية الاولى وقد ربطتهم بعد ذلك صداقة حميمة.» وقد وصفوا بانهم: «(هيلموث إس) Helmuth S و (هيرمان إف) Hermann F و (رودولف جي) Rudolf G و (فرتز تي) Frit3 T و (جورج تي) Georg T الذين قدر لهم ان يصبحوا جنرالات. ثم كان هنالك (أو) O الذي اصبح عقيداً و (كي) K الذي اصبح رائداً. اما الثلاثة الآخرون فكانوا (إس) S و (أي) A و (أو) O وقد وصلوا الى رتبة نقيب»[٢]

وبعد ان ثبت الصحفيان الفرنسيان مصادر (لوسي) انصرفا الى ايضاح كيف كان يتم «للجنرالين (فرتز تي) و (رودولف جي) اللذين «ترأسا» المؤامرة الصغيرة في برلين» الاتصال بـ (رويسلر) في سويسرا.

لقد اتضح بانه:

«تمكن الجنرال (فرتزتي) من ادخال صندوق صغير عبر النقطة الكمركية في مدينة (بازل) Basle. لقد انطوى هذا العمل، بطبيعة الحال، على خطر عظيم إلا انه كان السبيل الوحيد إذ لم يكن لديهم متسع من الوقت وقد احتوى هذا الصندوق على جهاز للابراق اللاسلكي يقوم بالبث والاستلام ويعمل على الموجة القصيرة. وكان هذا الجهاز من أحدث الانواع وقد اقتصر توزيعه على القوات المسلحة الألمانية (الڤير ماخت) فقط»[٤]

بعد تهريب هذا الجهاز الى سويسرا، كان على (رويسلر) ان يطلب من صديق له القيام «بتركيبه استعداداً للعمل كما كان على هذا الصديق تدريب (رويسلر) شخصياً على كيفية استخدامه اذ تعين عليه (اي على رويسلر) القيام بالبث شخصياً.» لقد لاءم هذا الاجراء كافة المعنيين بالامر، فقد:

«وافق (فرتز تي) الذي قام بتسليم الجهاز وكتاب الجفرة الخاصة به اضافة الى قائمة باطوال الموجات التي يمكن استخدامها. لقد وضع اصدقاء (رويسلر) مخططاتهم بكل دقة، وبفضل المراكز التي كان يحتلها ثمانية منهم فانهم كانوا في المصدر الرئيس للمعلومات الخاصة بتحركات القوات المسلحة الالمانية. وكان لكل بث للمعلومات ان يبدأ بعبارة (ڤيرتير) Werther وذلك لان الحرفين الاولين من عمل* الشاعر (جويته) Goethe هما

---

* «آلام ڤيرتير» The Sarrows of Werther ـ للشاعر الالماني المشهور (يوهان ولفجانج ڤون جويته) Johann Woltgany Von Goethe (١٧٤ ـ ١٨٣٢).

المترجم.

كذلك اول حرفين من عبارة (فير ماخت) Wehrmacht. اما التاسع والعاشر من المتآمرين فكانا من كبار ضباط القوة الجوية الالمانية (اللوفتوافا) وكان عليهما ايصال اية معلومات تخص هذه القوة الجوية وذلك عن طريق نفس القناة التي كانت المعلومات الاخرى ترسل من خلالها. ويتم الاعلان عن هذه المعلومات باشارة مختلفة وهي (اولغا). وكان (اولغا) اسم زوجة (رويسلير)[٥]

وقد استكمل هذا الايضاح البارع ابعاده من خلال تلائمه مع واقع كون «الجنرال (فرتزتي) أحد معاوني الجنرال (فيلجيبل) Fellgielle رئيس دائرة المواصلات». وقد تمكن المتآمرون العشرة من خلال ذلك بث المعلومات الى (رودولف رويسلير) من نفس مركز البث الرسمي في القيادة العامة للقوات المسلحة الالمانية»[٦] ولما كان «المركز المذكور باكمله تقريباً يخضع لسيطرة الجنرال (فرتز تي)» فقد تمكن هذا الجنرال من بث الرسائل اللاسلكية الى سويسرا واستلامها منها دون ان يخشىٰ افتضاح امره». ويعود سبب ذلك الى:

«وجود عدد من مشغلي الاجهزة اللاسلكية ممن يمكنه الاعتماد عليهم. وكان من بين هؤلاء فتاتان برتبة عريف كان لديهما من الاسباب ما جعلتهما ممتنتين له. ولم يكن هناك ثمة ما يثير دهشتهما كما انهما كانتا تعملان بصمت وطاعة تامين. وكانتا بدورهما تقومان ببث رسائل (فيرتير) و (اولغا) دون اية معرفة بما كانتاتبثانه من معلومات أولمن»[٧]

تبدو هذه الفرضية بحسب الظواهر مقنعة. فقد كان لسعة حجم حلقة (رويسلير) وموضعها المكين ما يجعلها قادرة على تزويد معلومات (لوسي)، كما ان استخدام مركز البث اللاسلكي للقيادة العامة للقوات المسلحة الالمانية يلعب دوراً بارزاً في توضيح امر ايصال المعلومات. وبالرغم من كل شئ فليس من المتوقع ان تقوم الزمر الالمانية المكلفة بايجاد الاتجاه بمراقبة قنوات الاتصال الرسمية، كما ان حجم المعلومات المطلوب ايصالها يحول دون استخدام السعاة. إلا ان (أوكسي) و (كويت) قد اضافا الى كتابهما، في عين الوقت معلومات اقل صحة. فانهما، على سبيل المثال، قد حددا (كرستيان شنايدر) Christian Schneider بصفته الشخص الذي كان من المزمع ان يقوم بتوجيه (رويسلير) حول استخدام الجهاز اللاسلكي. وبعد فترة وجيزة من نشر كتاب الصحفيين الفرنسيين الذي تم عام ١٩٦٧، نشرت مذكرات (الكسندر رادو) باللغة الهنغارية. وقد قال (رادو) في كتابه بان (شنايدر) كان يجهل ابسط امور الاجهزة اللاسلكية. من هو، اذاً، صاحب الكلام الصحيح؟ وإن كان (أكوسي) و (كويت) قد اخطآ فيما اورداه عن (شنايدر) فهل ان

التفاصيل الاخرى التي تضمنها كتابهم غير صحيحة ايضاً؟

لقد موقع الكثيرون ان يحل كتاب (رادو) الالغاز التي اثيرت من قبل المراقبين بعد الحرب. لقد توفي (فوت) عام ١٩٥٦ في لندن كما توفي (رويسلر) في شهر كانون الاول من عام ١٩٥٨، وبذلك اصبح (رادو) اكثر من بقىٰ على قيد الحياة من اعضاء الشبكة كفاءة ودراية لوضع حد للتخمينات والتأملات حول هذا الموضوع. إلا انه في الواقع زاد الغموض عمقاً.

يتضح من مذكرات (رادو) بانه تمكن من الهرب من سويسرا في ايلول من عام ١٩٤٤ ليتقدم الى السفارة السوفيتية في باريس. وكان قد اوعز اليه الذهاب الى موسكو. وبعد فترة استراحة قصيرة قضاها في القاهرة حيث فكر في امر بقائه في الغرب تحت الحماية البريطانية اكمل رحلته الى موسكو ليقضي العقد التالي من الزمن في معسكرات العمل السوفيتية. وقد اطلق سراحه عام ١٩٥٥ وقد اعيد تأهيله سياسياً بعد ذلك في (بودابست) عاصمة وطنه (هنغاريا). ولابد ان نشر مذكراته قد تم بموافقة الحزب الشيوعي الهنغاري اذ ينعكس موقف الكاتب هذا بوضوح من خلال ملاحظاته التي يثبتها في المقدمة للكتاب بخصوص «رفض الحلقات الرجعية الى يومنا هذا الاعتراف بان الاندحار الذي منيت به يعود اساساً الى التفوق الستراتيجي للاتحاد السوفياتي»[٨] ومن المؤكد ان (رادو) كان مواكباً للنقاش المستمر حول موضوع حلقة (لوسي). ويذكر (رادو) ان (مارك بايوت) Marc Payot، الذي كان رئيساً لفريق تحليل النصوص المجفرة التابع للشرطة الاتحادية السويسرية، قد شجب كتاب «دليل للجواسيس» الذي كتبه (فوت) قائلاً بانه عمل «تحتشد فيه الاخطاء، لا بل حتىٰ الاكاذيب.»[٩] وقد لاحظ (رادو) كذلك بان مؤرخين المانيين هما (فيلهلم. فون شرام) Wilhelm Von Schramm و (جيرت بوخهيت) Gert Buchheit قاما بشجب كتاب (فوت) المذكور.

يتضح من ذلك، اذاً، بان الدافع الذي ادى الى قيام (رادو) بنشر مذكراته قد انطلق من رغبته في معالجة اخطاء (فوت) من جانب واخطاء الفرنسيين (أكوسي) و (كويت) من جانب آخر. ويشير (رادو) الى اخطاء مشتركة بين كلا الطرفين المذكورين منها ذلك الذي يوحي بان (رويسلر و (فوت) كانا يرسلان المعلومات الى (موسكو) في وقت مبكر من عام ١٩٤١، وبانهما قد قاما بتنبيه الروس عن الهجوم الالماني الوشيك الوقوع. وقد دحض (رادو) هذا الادعاء بكل بساطة وذلك من خلال الاشارة الى حركة المعلومات اللاسلكية ذاتها والى الحقيقة التي مفادها «ان (رودولف رويسلر) لم يصبح (لوسي) إلا في شهر

تشرين الثاني من عام ١٩٤٢ عندما تم لنا تثبيت الاتصال به على نحو منتظم»[١١]

وتكتسب رواية (رادو) اهميتها لسببين اولهما تأكيده من خلال قوله . اني شخصياً لم اقابل رويسلير ابداً انذاك او في اي وقت لاحق»[١٢] ثم يشهد بعد ذلك قائلاً*: اني على علم يقين بان (شنايدر) لم يعمل بالمرة كمشغل للاجهزة اللاسلكية كما لم يكن له اي المام بالمرة بالجوانب التكنولوجية لهذه الاجهزة.[١٣] ويسترسل (رادو) قائلاً: «اما ما يخص قيام (رويسلير) شخصياً بتشغيل جهاز البث دون مساعدة من احد، فيشهد الذين عرفوه في تلك الفترة من الزمن على جهله التام بكيفية استخدام مثل هذا الجهاز»[١٤]

اما بخصوص هوية (فيرتير) فان (رادو) يسفه الاسطورة التي تفيد بان (رويسلير) كان يقوم باستخدام هذا الاسم للدلالة على القيادة العامة للقوات المسلحة الالمانية بدلاً من الدلالة على شخص معين. ويقول (رادو): «كانت المعلومات التي يرسلها (رويسلير) اليناتصله من مختلف الدوائر الرسمية في المانيا. ومن باب مساعدة (اللجنة المركزية) على تتبع مصدر المعلومات اطلقت على هذه المصادر اسماء مجفرة للدلالة عليها»[١٥] ويصر (رادو) بان «لا اساس كذلك لما قيل من ان اسم (فيرتير) كان من بناة افكار (رويسلير)». ثم يسترسل (رادوا) في روايته قائلاً: «عند قيامي بتجفير البرقيات كنت اشير الى المصدر بتثبيت احد الاسماء الرمزية المذكورة اعلاه والتي كانت معروفة من قبلي ومن قبل المدير المسؤول فقط».

وازاء هذا الجدل المتزايد حول رواية (اكوسي) و (كويت) اعترف هذان الفرنسيان بانهما قد اختلقا كافة تفاصيلها. وفي الوقت الذي يشكل فيه هذا الاعتراف نهاية مقنعة لحلقة (رويسلير) المتكونة من الاصدقاء العشرة، فانه لا يشكل في الحين ذاته اي تقدم من شأنه تثبيت ما حصل فعلاً. ورغم ما انتاب (رادو) من غضب لا يصعب فهمه نتيجة ما رواه (اكوسي) و (كويت) فانه وجد نفسه مجبراً على الاعتراف بان «سجل التفاصيل المتعلقة بموضوع (لوسي) ومصادره ينطوي على الكثير من الارباك والتشويه»[١٦] ويؤكد (رادو) انه على الرغم من تزايد اصرار (موسكو) على معرفة الهويات الحقيقية لمصادر (لوسي) «استمر (لوسي) في رفضه رفضاً قاطعاً البوح بالاسماء الحقيقية لمصادره ورتبهم بسبب ما يترتب على ذلك، حسب قوله، من عاقبة وخيمة، ونتيجة تفهمنا لهذا الموقف فقد توقفنا عن مضايقته بالاسئلة»[١٧] واخيراً يجبر (رادو) على الانتهاء بالعبارة التالية:

ملاحظة:

* تشكل هذه الجملة ثاني السببين وان لم يحدد الكاتب ذلك اذ يبدو بانه قد اغفل هذا الجانب - المترجم

«هنالك ما يشير بوضوح تام الى ان سر (لوسي) لا يزال مصوناً الى يومنا هذا.»

وقد جاء مجمل مساهمة (رادو) في هذا النقاش ليؤكد بانـه هو بـالذات، وليس (رويسلر)، كان من اختلق اسم المصدر (ويرذير)، ولكنه اخفق في تسليط الضوء على اصول المادة.

ومن خلال التحريات عن (حلقة لوسي) ظهرت فرضيتان اضافيتان اوحت الاولى منهما بان الاستخبارات العسكرية السويسرية كانت تدير حلقة تجسسية داخل المانيا اثناء الحرب، وبان (رويسلر) كان يُغذىٰ بهذه المعلومات لان السويسريين كانوا تواقين لتحقق اندحار المانيا. وقد كان لمثل هذه الحلقة وجود فعلاً وقد اطلق عليها السويسريون الاسم المجفر (ڤايكنغ) VIKING. كما احتفظ السويسريون بصلة مع (رويسلر) وذلك عن طريق ضابط اسمه (هانزها وسمان) Han3 Hausamain. وعندما جوبه (هاوسمان) هذا بالموضوع من خلال مقابلة تلفزيونية اجريت معه في شهر ايار من عام ١٩٦٦ اعترف بانه كـان يستلم معلومـات من (رويسلر) وليس العـكس. ويبـقىٰ الاحـتمـال وارداً ان (هاوسمان)، الذي قد توفي في سويسرا بعد المقابلة المذكورة، كان يمتثل لأوامر صدرت اليه بعدم الاعتراف بانه قد عمل ضد مصلحة المانيـا. ويعكس تقريـراً سريـاً لوكالة المخابرات المركزية هذا الجانب على النحو التالي:

«الحقيقة هي ان ضباطاً سويسريين معينين كانوا بصورة مباشرة جداً جزءاً من نشـاط (الثلاثـة الحمراء). ومن البـديهي ان يبقىٰ هذا التـورط مصـدر بعض القلق للسويسريين، حتىٰ في يومنا هذا، لتعارضه مـع موقف الحيـاد التام الذي تنـادي به سويسرا لقرون، والذي يعتبر بمثابة الترس ودرع الصدر لها»(١٨)

وبعد فترة قصيرة من انكار (هاوسمان) قام عميل آخر من عملاء (دورا) البارزين، وهو شيوعي سويسري يدعى (أوتو بونتير) Otto Punter، بنشر مذكراتـه اثناء الحـرب وادعى بان مصدر معلومات (ڤيرتـير) كان الجنـرال (الفريـد يودل)* Alfred Jodl. ومن الواضح ان هذا القدر من معلومات (بونتير) لم يكن صحيحاً (تماماً كادعائه بان عبارة (لوسي) كانت اسم لمصدر للمعلومات من وزارة الطيران الالمانية) وبذلك فان مساهمته قد عقدت الامر. وقد لاحظت وكالة المخابرات المركزية في وقت لاحق بان «اصرار (بونتير) على

---

* الفريد يودل - ضابط مدفعية بفاري الاصل. عين عام ١٩٣٨ مديراً للحركات في القيادة العامة للقوات المسلحة الالمانية. يعتبر احد اعوان هتلر المقربين. وكان بحكم منصبه المصدر الرئيس للمعلومات الفنية والاستشارات. حكم عليه بالاعدام بعد الحرب بصفته «احد المخططين للحرب العدوانية». ونفذ الحكم عام ١٩٤٦ - المترجم.

تشويش الحقائق قد جاء، على ما يبدو، لخدمة الغايات السوفيتية اضافة الى غاياته الشخصية»[١٩]

أما الفرضية الثانية التي ظهرت من خلال التحريات عن (حلقة لوسي) فقد جاء بها (مالكوم ماكردج) Malcuom Mluggeridge في جريدة (الاوبزرفر) وذلك في شهر كانون الثاني من عام ١٩٦٧. وقد جعلت هذه الفرضية جهود (بونتيير) كصانع اساطير باهتة لا قيمة لها. وقد اوحى (ماكردج) بان (رويسلر) كان يعمل لخدمة البريطانيين الذين استخدموه كقناة اتصال ملائمة تمر عبرها نصوص (الترا)، بعد تحليل رموزها الى الجهات السوفيتية. وتبدو هذه الفكرة خيالية للوهلة الاولى، ولكنها لم تخل من جانب عملي. فقد اتفق ان يكون (كريستيان شنايدر)، الذي كان يقوم بدور الوسيط (غير المنظور) Cut — out بين كل من (دورا) و (لوسي)، على علاقة ودية باحدى عضوات منظمة (دورا). وكانت هذه العضوة تدعى (راتشيل دوبندروفير) Rachel Dubendrofer وقد حملت الاسم الرمزي (سسي) Sissy. وكانت (سسي) هي الاخرى مصدر معلومات لخدمات الاستخبارات السرية البريطانية British Secret Intelligence Service (SIS). وتشير فرضية (ماكردج) الى قيام البريطانيين بتزويد (رويسلر) بمعلومات (ألترا) الاستخبارية عن طريق (سسي). ولانعدام اي تصريح رسمي حول الموضوع من قبل الاستخبارات البريطانية المعروفة تقليدياً بصمتها، فقد احرزت هذه الفكرة رواجاً.

وقد تم تثبيت هذه الفرضية كأسطورة في عام ١٩٨٠ وذلك من خلال نشر كتاب بعنوان «عملية لوسي» Operation lucy الذي قام بتأليفه الكاتبان التلفزيونيان (انطوني ريُد) Anthony Read و (دافيد فيشر) David Fisher وقد ادعى كتابهما، الذي اعتمد البحث العلمي القيم، تمكنه من الشرح بدقة كيف تم للبريطانيين استخدام (رويسلر) كقناة للاتصال بينهم وبين الجهات الروسية. وقد قام هذان الكاتبان بتتبع سيرة (فوت) والتوصل الى الاستنتاج بانه، قبل ان يُجند من قبل الجهات السوفيتية، كان قد قدم خدماته متطوعاً للعمل لدى الجهات البريطانية كعميل مزدوج وبانه قد استخدم بهذه الصفة من قبل احد كبار ضباط الاستخبارات البريطانية وهو العقيد (السير كلود دانسي) Sir Claude Dunsey ولما كان كلا من (فوت) و (دانسي) قد توفيا منذ فترة طويلة، فقد اعتمد الكاتبان على الادلة الظرفية لربط (فوت بخدمات الاستخبارات السرية البريطانية.

واستناداً لما اورده (ريُد) و (فشر) في كتابهما لم يكن (فوت) العضو الوحيد في (شبكة دورا) الذي عمل سراً مع الجهات البريطانية: «فقد قام (رويسلر)، وبدون علم (رادو)، بالاتصال ايضاً بالممثلية البريطانية في (بيرن) حيث قد عين الكونت (فاندين

هوفيل) Count Vanden Heuvel مسؤولاً اول عن نشاطات الخدمات السرية والذي كـان ارتباطه بالعقيد (دانسي) في لندن بصورة مباشرة.»[٢٠] ويعني ذلك ان «الحلقة السوفيتية في سويسرا» كانت «في الواقع تحت سيطرة البريطانيين»[٢١] ولما كان «الشخص الثاني فيها، وهو في الحين ذاته المشغل الرئيس لجهاز اللاسلكي، عميلاً لـ (دانسي)» فقد قرر البريطانيون بث المعلومات مباشرة الى (فوت) ليحيلها بدوره الى موسكو.

عرضت هذه الفرضية كحقيقة من قبل المؤلفين الذين لم يجدا بدأ من الرجوع الى الغموض الذي احاط بمصادر (لوسي) ليبررا ما لا يزيد عن كونه مجرد حدس. وبذلك نجدهما يجزمان بان «مجرد الادراك السليم ينفي احتمـال تمكن جاسـوس واحد، او مجموعة من الجواسيس، مهما بلغوا من مراكز عليا في القيادة الالمانية، من الاطلاع على المعلومات التي كان الوصول اليها مقصوراً على ثلاثين شخصاً على الاكثر، وربما اقل من ذلك، والتي كان (رويسلر) يستلمها بانتظام. وقد تم لهما التـوصل الى استنتـاجهما بطريقة الاقصاء والحذف: «.... ويبقى هنالك مصدر محتمل واحد للمعلومـات الاكثر اهمية التي كان (رويسلر) يوصلها الى (رادو) - منظمة (الترا) السرية التي كان مقرها في السقيفة رقم (٣) في (المدرسة الحكومية للجفر والرموز) The Government Code And Cypher School الواقعة في (بليتشلي بارك) في مقاطعة (بكنغهامشاير) في انكلترا»[٢٢]

من المحتمل ان يتم دحض هذه الفكرة عن طريق المقارنة بين مراسلات (دورا) اللاسلكية والنصوص التي كان يتم تحليل رموزها من قبل (بليتشلي)، إلا ان اللجوء الى مثل هذه العملية التي تستغرق الكثير من الوقت ليس ضرورياً في هذا المجـال. ولقد استندت فكرة الكاتبين (ريُد) و (فشر) على دور (فوت) المزدوج كعميل بريطاني. إلا ان هذه الفكرة خاطئة وان الكاتبين يعترفان بعجزهما عن ادراك سبب المعاملة التي لقيها (فوت) بعد الحرب على يد الخدمات الامنية البريطانية (MI — 5).

في نهاية الحرب سافر (الكسندر فوت) الى موسكو حيث اخضع للتدريب استعداداً للقيام بمهمة تجسسية جديدة في الغرب. إلا انه قام في شهر آذار من عام ١٩٤٧ بتسليم نفسه الى دورية تابعة للقوة الجوية الملكية البريطانية في برلين حيث تم التحقيق معه من قبل احد ضباط الامن البريطانيين المدعو (مايكل سيربيل) Michael Serpell الذي قدم من لندن جواً الى برلين لهذا الغرض. وقد ادعى (فوت) بانه قد غير موقفه السياسي. وبعد شهر من التحقيق معه واستخلاص المعلومات منه ثم تسفيره جواً الى لندن حيث وضع في احدى الدور الخاصة بمنظومة الخدمات الامنية البريطانية. واثناء وجوده في هذه الدار

قدم (فوت) تقريراً مفصلاً عن نشاطه التجسسي اثناء الحرب. وقد شكل التقرير الذي رفعه (مايكل سيربيل) عن الموضوع الاساس لسيرة (فوت) الذاتية التي نشرت تحت عنوان «دليل للجواسيس». وقد تضمن هذا الكتاب اخطاء عديدة وذلك لان (فوت) لم يكن مطلعاً على كافة اسرار (دورا). وقد المح (فوت، في الحقيقة، بان (لوسي) كان في الواقع رجلاً جيكوسلوفاكياً يدعى (سيلزنجر) Selzinger. وعندما ظهرت الطبعة الثانية من الكتاب وذلك في عام ١٩٦٤ كان (فوت) قد توفي، كما لم يكن لدى منظومة الخدمات الامنية البريطانية ميلاً لاجراء التصحيحات اللازمة. وقد تضمن العرض الذي قامت به وكالة المخابرات المركزية لكتاب «دليل للجواسيس» هذا نقداً عنيفاً موجهاً للمنظومة البريطانية المذكورة لقيامها بتشجيع وترويج المزيد من الاكاذيب بخصوص شبكة التجسس السوفيتية في سويسرا: «لقد كان (فوت)، او محررو كتابه، على بينة من ان الاسم الحقيقي لـ (لوسي) كان (رودولف رويسلر). وبدلاً من الانصراف الى تصحيح الاخطاء الاولى فان طبعة عام ١٩٦٤ قد ضاعفتها بنشر ما جاء في النص الفرنسي، باستثناء الاستعاضة عن (رويسلر) بـ (سيلزنجر)[٢٤]

ويعبر الكاتبان التلفزيونيان (ريِّد) و (فشر) عن دهشتهما ازاء التحقيق المكثف الذي أُخضع له (فوت) من قبل الخدمات الامنية البريطانية. ويقول الكاتبان بهذا الصدد:

«أن احد الاسئلة العديدة المحيرة التي تدور حول الموضوع هو ما يتعلق بسبب احتجاز (فوت) من قبل منظومة الـ (MI — 5) حيث أن هذه الاخيرة تمثل الخدمات الامنية بينما تمثل الـ ((MI — 6) الخدمات الاستخبارية السرية. فاذا اسلمنا بان (فوت) لم يكن من عملاء الـ (MI — 6) الرسميين فانه مع ذلك كان يعمل لديها منذ عام ١٩٣٦، ولو بطريقة غير مباشرة ومن خلال (منظمة Z). ومما لاريب فيه انه يوجد في منظومة الـ (MI — 6) من كان على علم كافٍ بخلفية ومهنة (فوت) بحيث يقول ما من شأنه دفع التهمة عنه[٢٥]

ولكن السبب في اهمال منظومة الخدمات الاستخبارية السرية التدخل لصالح (فوت) بسيط للغاية وهو أنه لم يتم استخدام (فوت) من قبل هذه المنظومة بالمرة. ان تفاصيل الاتصال المزعوم بين (فوت) و (دانسي) قد عرضت بصيغة مبهمة من قبل (ريِّد) و (فيشر) كما ان اعترافهما بان المنظومة المذكورة لم تحاول مساعدة (فوت) بعد الحرب هو دليل بحد ذاته على انها لم تكن مدينة له بالوفاء.

ان كلاً من (فوت) و (دانسي) متوفيان الآن، وكذلك الاخرون الذين زعم بان لهم علاقة

بالموضوع امثال (رويسلير) و (فاندين هيوفيل). ومع ذلك هنالك اثنان من كبار ضباط الـ (MI-6) اللذان لا يزالان على قيد الحياة واللذان يفترض ان يكون لهما علم بدور (فوت) في نشاطات هذه المنظومة: الأول هو المقدم البحري (كنيث كوهين) Kenneth cohen الذي كان نائب (دانسي) والذي يؤكد باصرار بان (فوت) لم يكن من عملاء هذه المنظومة بالمرة. كما يؤكد ذلك ثاني هذين الشخصين وهو (أندرو كنغ) Andrew King المساعد الأقدم لـ (فاندين هيوفيل) في سويسرا. كما وصف (رادو) الفكرة التي تشير الى ان البريطانيين كانوا يسيرون امور الشبكة السوفيتية في سويسرا على انها «الفرضية الاكثر غرابة.»[٣٦] وهكذا نرى مرة اخرى كيف ان نظرية تبدو مقنعة وجائزة نجدها، نتيجة التحليل الدقيق، تستند الى اسس واهية.

إلا ان هذا الكلام لا ينطبق على مساهمة بيرند رونلاند: Bernd Ruland التي قدمها عام ١٩٧٣ في خلال كتابه (عيون موسكو) Moscow's Eyes. يدعي (رولاند) في كتابه هذا بانه كان قد خدم في مركز الاتصالات اللاسلكية في (زوسين) Zossen التابع للقيادة العليا للقوات المسلحة الالمانية وذلك بصفة ضابط الاتصالات. ومن خلال عمله في المركز المذكور كان (رولاند) يقوم بالاشراف على عمل احد ضباط القيادة العليا، وهو الرائد (كمبر) Kemper، كما كان يشرف بالذات على اعمال فتاتين من اللاتي يعملن على الأجهزة المبرقة ـ الكاتبة Teleprinters واللتين كانتا جزءاً من مؤامرة مناوئة للنازية. ويدّعي (رولاند) بانه كان قد كون شكوكاً بخصوص تصرف الفتاتين اثناء الحرب. إلا انه قد ادرك بعد الحرب فقط بانهما كانتا تزودان (كمبر) بالمعلومات التي اعزاها (لوسي) لاحقاً الى (فيرتير). وقد تمكن (رولاند) من استحصال موافقة الفتاتين على قيامهما بتدوين ما كانتا تمارسانه في تلك الفترة شريطة التزامه بعدم الكشف عن اسميهما إلا بعد وفاتهما. وعلى هذا الاساس فقد خول (رولاند) وصف كيف كانت الفتاتان تقومان بسرقة النسخ الكاربونية لرسائل القيادة الالمانية العليا من مكائن (جيهمشرايبر) gehemschre,ber للتجفير. وفي فترة معينة ارتاب الضابط المشرف في امرهما، إلا انه اجتذب هو الآخر الى المؤامرة. وقد اوضح (رولاند) بانه كان قد اتخذ اجراءات موسعة لحماية هويات كافة المشتركين (بالمؤامرة) وبضمنهم مشغلتا جهاز المبرق ـ الكاتب اللّتان اشير اليهما باسمين مستعارين هما (فون بارشم) Von Parchim و (كالوسي) Kalussy. وقد اودعت الوثائق لدى مصرف سويسري على ان تطلق في وقت لاحق لتحفظ في (معهد التأريخ المعاصر) Institute Of contemporary History في مدينة (ميونخ). وللاسف فقد توفي (رولاند) اثناء سفره بالقطار بين مدينتي (بازل) و (زوريخ) وذلك بعد فترة قصيرة من نشر كتاب

(عيون موسكو). ولم يتمكن ابنه الدكتور (مايكل رولاند) ولا ارملته (اليزابيث رولاند) من تسليط اي ضوء على الموضوع. كما عجز عن ذلك كبير امناء الاراشيف في معهد (ميونخ) المذكور.

كان من المحتمل ان ينتهي الاهتمام بكتاب (رولاند) عند هذا الحد لولا المقدمة الوجيزة للنسخة الهنغارية التي كتبها (الكسندر رادو) عام ١٩٧٦. فقد اثنى (رادو) في هذه المقدمة على الكتاب واوصى بقراءته لانه عمل: «جدير بالاهتمام بدرجة اكبر من الكتب الاخرى التي تناولت بحث امر التجسس السوفياتي وذلك للاسباب التالية: العول المطلق على ما يطرحه من امور واقعية، والتحليل الدقيق للاحداث المدونة فيه، واسلوبه المناوئ للنازية وطبيعة محتوياته المثيرة [ترجمة المؤلف]. ويسترسل (رادو) في الاطراء على الكتاب من خلال تاكيده على القارى بانه، اي الكتاب «يقدم الحلول الى تلك الالغاز التي بقيت على بساط البحث حتى الوقت الحاضر والتي تتعلق بكيف، وعن اي طريق تم للاستخبارات السوفيتية الحصول على هذه الكميات الكبيرة من المعلومات التي جاءت من اعلى المستويات في مركز الاتصالات الخاص بالقيادة الالمانية الفاشية العليا.» وينتهي (رادو) بالخلاصة التالية: «بقناعة راسخة، اوصي القارئ بمطالعة هذا الكتاب الذي ينطوي على عمل موضوعي يساهم بطرق عديدة في تحقيق الفهم العام والادراك والتقييم للحرب السرية التي تم خوضها اثناء الحرب العالمية الثانية.»

لم يأت هذا التأييد الاستثنائي إلا بموافقة السلطات الهنغارية ولربما يفسر ذلك سرعة قيام بعض المؤرخين بأدانة (رولاند). وكان المؤرخ البولوني، الاستاذ (جارلنسكي) Professor Garlinski احد الذين ادانوا الكاتب، فقد وصف (جارلنسكي) هذا العمل بانه «قصة خيال كلاسيكية» بالرغم من اعترافه في رسالة بعثها بانه لم يكن في الواقع قد قرأ هذا الكتاب ولم يدرك (جارلنسكي) وجود هذا الكتاب إلا بعد نشره بفترة من الزمن وفي كل الاحوال فانه يقول بان «القصة ساذجة للغاية واسلوبها هوليوودي اكثر مما ينبغي. فلو امكن ارسال المعلومات السرية للغاية الى الخارج بهذه الطريقة، ولبضع سنين، لخسر هتلر الحرب في غضون شهرين من الزمن»[٢٧]

فما الحل، اذاً، لهذا اللغز؟ وهل كان (فيرتير) يعني في الواقع مشغلتي المبرقة ـ الهاتفة المناوئتين للنازية ام كان مصدر (لوسي) اجمالاً اكثر تعقيداً من ذلك؟

ويقر الاستاذ (جارلنسكي) بقوله: «اننا نقف إزاء معضلة من المحتمل ان يكون الزمن كفيلاً بحلها...»[٢٨] ويجب على المرء بالتأكيد، الاتفاق مع ما يقوله (رادو) وهو ان «الاتصال بين (لوسي) ومصادر اخباره كان قد نظم بطريقة بارعة وكفوءة وقد تم تنفيذه

بطريقة متقنة». إلا ان هنالك وثائق لوكالة المخابرات المركزية، تم رفع الحظر عنها مؤخراً ونشرت في كتاب بعنوان، «الفرقة الموسيقية الحمراء»* Rote Kapelle، تشير الى وجود حل محتمل من شأنه الكشف عن هوية الشخص الذي كان يسرع في ارسال كميات هائلة من المعلومات النازية السرية الى (لوسي) ليقوم الاخير بدوره بارسالها الى (موسكو). ويدعي تقرير كان صنف سابقاً بانه «سري» بما يلي:

«لقد كشف (ردولف رويسلير) في الواقع عن هويات مصادره، او البعض منها على الاقل، بالرغم من الادعاءات التي وجدت طريقها الى النشر والتي تناقض ذلك. فقبل ثلاث سنوات ونصف من وفاته، قام (رويسلير) بتزويد صديق يثق فيه معلومات كان من شأنها تحديد هويات اربعة من مصادره الرئيسة. ويقول (لوسي) بان هؤلاء كانوا: (١) ضابطاً المانياً برتبة رائد، لم يحدد اسمه - وكان هذا الضابط رئيساً للاستخبارات العسكرية الالمانية وذلك قبل تبوء الاميرال (فيلهيلم كناريس) هذا المنصب. (٢) هانز بيرند غزيفيوس Hians Bernd Gisevius (٣) كارل غويرديلير CarL Goerdeler و (٤) «الجنرال بوييلتز» General Boellt3 - متوفي.»[٣٠]

وبالرغم من ان وكالة المخابرات المركزية قد اهملت تحديد هوية الصديق المؤتمن هذا، فانه على الأرجح ابن (زافير شنايبر) Xavier Schnieper وهو صحفي شيوعي يقل سناً عن (رويسلير) بحدود اثني عشر عاماً. وقد كان له اثر فاعل في وضع (رويسلير) على اتصال بالاستخبارات العسكرية السويسرية عام ١٩٤٠. وكان (شنايبر) من اقدم اصدقاء (رويسلير) وقد سُجن في سويسرا بعد الحرب (مع رويسلير) بسبب قيامه بالتجسس لحساب التشيكيين. وقد اكد (شنايبر) من خلال مقابلة له مع الاستاذ (جارلنسكي) في شهر كانون الاول من عام ١٩٧٩ بان (رويسلير) قد إئتمن ابنه (أي ابن شنايبر) على سر كيف، ومن من، كان (لوسي) يستلم معلوماته. وقد قتل ابن (شنايبر) هذا في حادث سيارة بعد مرور اثني عشر شهراً على وفاة (رويسلير). ومن الواضح بان وكالة المخابرات المركزية كانت قد تمكنت بطريقة ما من الحصول على تفاصيل الحديث الذي دار بين الرجلين.

---

* «الفرقة الموسيقية الحمراء» هي شبكة تجسسية واسعة النطاق اكتشفتها الاستخبارات العسكرية الالمانية عام ١٩٤٢. وقد ضمت هذه الشبكة عدداً من اصحاب المناصب الحساسة في النظام النازي ممن كانوا يمارسون النشاطات التجسسية لمصلحة الاتحاد السوفياتي. وفي وقت ما كانت هذه الشبكة تبث المعلومات الاستخبارية الى موسكو عن طريق ما يقرب من مائة جهاز ارسال لاسلكي من داخل المانيا والاقطار الاوربية المحتلة. - المترجم.

ولكن تبقىٰ هنالك ثمة مشاكل تتعلق بالاشخاص الاربعة الذين ذكرهم (رويسلر). فمن السهل تشخيص الاول منهم بالرغم من ان (كونراد پاتزج) Conrad Pat3lg لم يكن ضابطاً برتبة رائد بل كان نقيباً بحرياً حل (كنارس) محله عـام ١٩٣٤. اما الشخص الثـاني فكان (هـانز بيـرنـد غـزيفيـوس) Hans Bernd Gisevius، أحـد كبـار مسـؤولي الاستخبارات العسكرية الالمانية (الابفير) الذي كان له سجل حافل في معارضة هتلر. وقد نُسب للعمل في مدينة (بيرن) عـام ١٩٤٠ وذلك ليكون حلقـة الوصل بـين (كناريس) والسيدة البولونية المؤتمنة على اسراره (هالينا زيمانسكا). وقد تم تجنيده في ذات الوقت للعمل كعميل بريطاني. وقد بقي مصدر معلومات مهم للخدمات السرية البريطانية الى حين انكشاف امر مؤامرة العشرين من تموز عام ١٩٤٤* الذي اشترك فيها ونجا من النتائج الوخيمة التي ترتبت عليها. ان قيام (غزيفيوس) هذا بتزويد المعلومات للبريطانيين والامريكيين امر ثابت لا يقبل الشك مطلقاً. ولكن هل قام في عين الوقت بتزويد (رويسلر) بالمعلومات ايضاً؟ انه لاشك كان على معرفة بـ (رويسلر) كما كان كذلك عـلى اتصال بشيوعي الماني يدعىٰ (جورج بلن) george BLun الذي كان يدير شبكة تجسسية سوفيتية في سويسرا ثمة الاسم الرمزي (لونغ) LONG. وتشير وكالة المخابرات المركزية الى ان «(جزيفيوس) كان متعاطفاً مع القضية السوفيتية وقد ظهر هذا الجانب من نشاطاتـه بوضوح اكثر بعد الحرب.»[٣١] ومن المعروف ايضاً بان (غزيفيوس) كان قد اعتاد القيام بارسال معلومات شخصية الى (هانز أوستر) Hans Oster، نائب (كناريس) والى غيره من اقطاب مؤامرة العشرين من تموز بواقع ثلاث مرات في الاسبوع احياناً وذلك بواسطة معتمد (الابفير) الذي كان يقوم بايصال البريد بين (بيرن) و (الابفير) يوميـاً. وبذلك يمكننا الافتراض بان (غزيفيوس) لم يكن في موقع يمكنه من الحصول على المعلومات الهامة هذه فحسب بل كانت لديه الواسطة لايصال هذه المعلومات الى (رويسلر). اما الشخص الثالث الذي ذكره (رويسلر) فكان (كارل جـويردلر) Carl Goerdeler، عمـدة مدينة (لايبزغ) سابقاً والذي كان قد استقال من منصبه عام ١٩٣٦ بصفته أحد معارضي النازية. وقد حُظر عليه بعد ذلك الاطلاع على الاسرار الامر الذي يفترض من خلاله بان واجباته، إن كانت له اية واجبات بالمرة، قد اقتصرت على قيامه بدور حلقة الوصل مع بقية المتآمرين. وقد لقي (جويردلر) نفس مصير (كناريس) و (أوستر) بعد فشل المؤامرة، اي الاعدام.

* تعتبر هذه المؤامرة اكبر مؤامرة منظمة حاولت فيها بعض العناصر العسكرية في القوات المسلحة الالمانية التخلص من هتلر - المترجم.

ولربما يكون «الجنرال بويلتز»، المصدر الرابع لـ (رويسلر)، هو العقيد (فرتـز بويتزل) Frit3 Boet3el الذي شغل حتىٰ عام ١٩٣٩ منصب رئيس دائرة الجفرة في القيادة الالمانية العليا. وقد عُين لاحقاً رئيساً لشعبة تحليل المعلومات في قيادة الجحفل الالماني الجنوبي الشرقي الذي كان مقره في (اثينا). وبصفته هذه كان على اتصال وثيق بالحلقات العليا في الاستخبارات العسكرية الالمانية (الآبفير). وقد اشارت وكالة المخابرات المركزية بان (بريتزل) هذا كان مناوئاً للنازية وذلك في ضوء ما وصفه به احد الذين عملوا بامرته.

ويتضح بان الشخصيات التي حددها (رويسلر) كانت حقيقية. ومن المؤسف ان يكون (غزيفيوس) الشخصية الوحيدة التي كتب لها النجاة بعد انقضاء فترة الحرب ولكنه توفي بعد ذلك. اما سيرته الذاتية التي كتبها تحت عنوان «حتىٰ النهاية القصوى» To The Bitter End فلم تسلط اي ضوء على هذا الموضوع بالرغم من انها اوضحت دوره كعميل بريطاني خلال الفترة من شباط من عام ١٩٤٠ حتىٰ كانون الثاني من عام ١٩٤٥. وقـد تمكن في نهايـة هذه الفتـرة من الهرب من بـرلين منتحلاً صفـة احد مسـؤولي (الجستابو). كما ان مراسلات (لوسي) لا تضفي هي الاخرى اي معلومات من شأنها حل هذا الاشكال اذ قد القي القبض على (رويسلر) بتاريخ ١٩/٥/١٩٤٤ من قبل الشرطة الاتحادية السويسرية. وقد بقي (رويسلر) موقوفاً حتىٰ السادس من شهر ايلول عندما اطلق سراحه بكفالة. وبعبارة اخرى فان (لوسي) قد انقطع عن البث اللاسلكي خلال الاسابيع الحاسمة لمؤامرة العشرين من تموز.

وتؤكد ظروف القاء القبض على (رويسلر)، الذي تم توقيفه بعد مضي شهر بالضبط عـلى توقيف (راشيل دوبندورفـير) المعروفـة بـ (سسي). على وجـود صلة بين (دورا) والاستخبارات العسكرية السويسرية، اذ عند قيام رجال الشرطة الاتحادية السويسرية بتفتيش منـزل (سسي) تم لهم العثور عـلى ثمان وتسعـين وثيقة تعـود للاستخبارات العسكرية السويسرية، وقد تضمنت جميعها معلومات تتعلق بتحركات القوات الالمانية. كما اكتُشف بان هذه الوثائق تعود بصورة مباشرة الى النقيب (مايرفون بالديج) Mayr Von Baldegg، احد ضباط الاستخبارات السويسرية والذي كان مقره في مدينة (لوسيرن). وقد ادىٰ هذا التطور المحرج للاحداث، الذي كشف عن علاقة هذا الضابط بشبكة التجسس السوفيتية، الى تشكيل مجلس تحقيقي. وبعد ان استمـع المجلس المذكـور الى الادلة الموجهة ضد (فون بالديج) قرر اطلاق سراحه واعادته الى منصبه السابق على الفور. اما (لوسي) فقد بقي في التوقيف حتىٰ شهر ايلول كما اسلفنا سابقاً. وعندمـا تم النظر في قضيته خلال شهر تشرين الاول من عام ١٩٤٥ تقرر تبرئته من تهمـة التجسس كما

اعترفت المحكمة بانه قد قدم الى سويسرا خدمات جليلة. وتشير النتيجة التي لا يمكن تجاهلها الى ان السويسريين قد اقتنعوا على الاقل بان (لوسي) كان يعمل لمصلحتهم.

واذا ما جُمعت كافة الادلة التي تم تمحيصها في هذا المجال - وانا اعتقد بان (رويسلر) و (رادو) موثوق بهما - لتكشفت لنا صورة توضح بان قيام)دورا) باختلاق شخصية (فيرثر) قد جاء بمثابة هوية تستر لكافة مصادر (لوسي) وبذلك فانه لم يأت من باب الاشارة الى وجود شخص معين كان يقوم بتزويد المعلومات. وتوضح هذه الصورة كذلك شخص (رويسلر)، ذلك الرجل الذي نجده في كل مكان، وهو يشعوذ الرسائل التي يستلمها من عدد من كبار ضباط الاستخبارات الالمان. وعلى الارجح ان يكون هؤلاء الضباط قد عمدوا الى استخدام (غزيفيوس) كقناة اتصال وذلك بالرغم مما روى من ان (الدكتور شنايبر) كان قد ذكر وجود احتمال آخر وهو خط (الابفير) الهاتفي بين برلين وميلان (مع وجود معتمد من ميلان). ويبدو أن وكالة المخابرات المركزية تؤيد هذا الاحتمال اذ تقول «.... توحي طبيعة رسائل (لوسي) وطريقة بثها من المانيا الى سويسرا باحتمال ما كان تحت تصرف (فيرتر) والبقية من قنوات الاتصال الخاصة بـ (الآبفير). ويشكل هذا الاحتمال الفرضية الوحيدة التي يمكن اعتبارها جديرة بالتصديق.»[٣٢]

واخيراً، كانت هنالك مجموعة غامضة ضمت عدداً من مناوئي النازية الذين كان مقرهم في مركز الاتصالات اللاسلكية للقيادة الالمانية العليا الكائن في (زوسن). وقد وصف المجموعة هذه (بيرند رولاند) وايدها (رادو) شخصياً. فلو كان لمشغلي الاجهزة المبرقة الكاتبة هؤلاء وجود في الواقع (اذ هنالك ادلة تشير الى ذلك حقاً)، اليس من المحتمل انهم كانوا يقومون بارسال المعلومات الى الشبكة السويسرية المسماة (ڤايكنغ) VIKING بدلاً من الشبكة السوفيتية؟ ومما يبدو اكيداً ان الظروف قد جاءت لتؤيد صواب هذه النظرية - الامر الذي لا ينصرف الى تفسير جهل الجهات السوفيتية بهوية مصادر المعلومات فحسب بل كذلك الى استمرار المصادر هذه في تزويد المعلومات الهامة في نفس الوقت الذي كان يتم فيه القاء القبض على الشبكات السوفيتية من قبل رجال (الجستابو) في المانيا. وبالاضافة الى ذلك فاننا اذا ما اعتبرنا ان تزويد هذه المعلومات الهامة لـ (رويسلر) كان يتم على اسس رسمية (بالرغم من الانكار اللبق لـ هاوسمان) فانه يفسر رقة المعاملة التي لقيها (رويسلر) هذا بعد اعتقاله المؤسف من قبل الشرطة الاتحادية السويسرية. وبعد مرور سنين عديدة، ووفاة الكثيرين من ابطال هذه الرواية فان استمرار بقاء الاساطير التي تحيط بـ (فيرتر) يبقى امر لا ريب فيه. ولكن بالرغم من

ذلك فهنالك الكثير من الادلة التي يمكن توفرها للباحث الجاد والتي يتمكن من خلالها من تمييز المحتمل من المحال.

الهوامش

١ - الن دالاس: حرفة الاستخبارات - الصفحة (١١١)
٢ - بيير اكوسي وبيير كويت: حلقة لوسي (النسخة المترجمة الى الانكليزية) ص ٥٨
٣ - المصدر نفسه - الصفحة (٧٠)
٤ - المصدر نفسه - الصفحة (٧١).
٥ - المصدر نفسه - الصفحة (٧٢).
٦ - المصدر نفسه - الصفحة (٧٣).
٧ - المصدر نفسه - الصفحة (٧٤).
٨ - الكسندر رادو المعروف باسمه المجفر (دورا) - صفحة (٢١).
٩ - جبرت بوفهيت وفيلهيلم فون شرام.
راد و - (المصدر نفسه) - صفحة (١٣٧).
١٢ - رادوا - (المصدر نفسه) - صفحة (١٣٦)
١٣ - رادو - (المصدر نفسه) - صفحة (١٤١).
١٤ - رادو (المصدر نفسه) - (نفس الصفحة).
١٥ - رادو - (المصدر نفسه) - صفحة (١٣٧)
١٦ - رادو - (المصدر نفسه) - (١٣٦)
١٧ - رادو - (المصدر نفسه) - (صفحة ١٣٩)
١٨ - بول كيساريس: الفرقة الموسيقية الحمراء - صفحة (٢٢٤).
١٩ - (المصدر نفسه) الفرقة الموسيقية الحمراء - صفحة (٣٣٢).
٢٠ - انطوني ريد وداڤيد فيشر: عملية لوسي - الصفحة (٨٨).
٢١ - (المصدر نفسه) - الصفحة (٩٨)
٢٢ - (المصدر نفسه) - الصفحة (١٤٦).
٢٣ - (المصدر نفسه) - الصفحة (١٤٧).
٢٤ - بول كيساريس - (المصدر نفسه) - صفحة (٢١٤)
٢٥ - انطوني ريد وداڤيد فيشر - (المصدر نفسه) صفحة (٢١٩).
٢٦ - رادو - (المصدر نفسه) - صفحة (١٤٥).
٢٧ - رسالة الى المؤلف بتاريخ ١٨/٢/١٩٨٣.
٢٨ - الاستاذ جارلنسكي: الرواق السويسري - صفحة (٨٣).
٢٩ - رادو - (المصدر نفسه) - صفحة (١٤٦).
٣٠ - كيساريس - (المصدر نفسه) - صفحة (١٨٥).
٣١ - كيساريس - (المصدر نفسه) - صفحة (١٩٢).
٣٢ - كيساريس - (المصدر نفسه صفحة (١٧٨).

الفصل الخامس

بيرل هاربر: هل اغفل التحذير؟

Pearl Harbor: A warning Ignored?

«يستمر ظهور بعض الأدلة المثيرة للفضول والتي توحي بأن واشنطن كانت على علم - او كان من المتوقع منها ان تكون على علم - بامر الهجوم الوشيك في المنطقة الوسطى من المحيط الهادي.»

جون كوستيلو: «الحرب في المحيط الهادي ١٩٤١ - ١٩٤٥

John Costello: The Pacific War 1941 — 1945

الى أي حد كان الرئيس روزفيلت على علم مسبق، ان كان لديه اي علم بالمرة، بامر الهجوم الياباني على (بيرل هاربر) في كانون الاول من عام ١٩٤١؟ ان المختصين بعلم الأساطير يصرون على الادعاء بان دخول امريكا معترك الحرب الكونية الثانية كان ثمرة مؤامرة شريرة لعب فيها كل من (روزفيلت) و ونستون تشرشل) دوراً بارزاً.

ولا يمكن، بطبيعة الحال، نكران ما اعترى (تشرشل) من شعور بالبهجة اثر سماعه خبر القرار الامريكي بالانضمام الى صفوف الحلفاء ضد دول المحور*. لقد سُر (تشرشل) في الواقع سروراً عظيماً، وكان قيامه في مجلس العموم باعلان الحرب على اليابان (وذلك في تمام الثالثة من بعد ظهر الثامن من كانون الاول من عام ١٩٤١) قد سبق صدور التصريح الرسمي للرئيس الامريكي بساعتين من الزمن. اما دقائق الجدول الزمني الخاص بهذه الاحداث فقد جاءت على النحو التالي: لقد ابتدأ الهجوم الياباني على ميناء (بيرل هاربر) في الساعة ٧٣٥. من يوم الاحد المصادف ١٩٤١/١٢/٧، اي انه ابتدأ خلال فترة تناول وجبة الغذاء بموجب توقيت العاصمة (واشنطن)، وقد بلغ عدد سفن اسطول المحيط الهادي الأمريكي التي اغرقت او دمرت تدميراً تاماً ثمانية عشرة سفينة بضمنها ثمان بوارج. كما تم تدمير (١٨٨) طائرة (كان العدد الاكبر منها جاثماً على الارض) وقتل (٢٤٠٣) شخصاً. وفي حوالي الرابعة من بعد ظهر اليوم التالي (بتوقيت العاصمة واشنطن) وقع الرئيس (روزفيلت) على اعلان الحرب على اليابان كما عمد الى اتخاذ ما يلزم بصدد تصديق هذا الاعلان من قبل مجلسي النواب والشيوخ. وبعد مرور ثلاثة ايام على هذا الاعلان، قام هتلر صباح الحادي عشر من كانون الاول باعلان الحرب على امريكا التي ردت بدورها بالمثل لتعلن الحرب على المانيا في اليوم التالي.

حقق الهجوم على (بيرل هاربر) نجاحاً عظيماً من وجهة النظر اليابانية. ومن الواضح ان الامريكيين لم يكونوا مستعدين.وقد سارعت الولايات المتحدة الى تشكيل لجنة تحقيقية برئاسة (أوين روبرتس) Owen Roberts، احد قضاة المحكمة العليا، وذلك لتحديد جهة التقصير من بين منتسبي الجيش والبحرية. وقد تم اعفاء اكبر قائدين عسكريين في (هاواي) Hawaii، وهما الجنرال (والترشورت) Walter Short والاميرال (هازبند كيمل) Husbund Kimmel، من منصبيهما. وبعد ان تم تحذيرهما باحتمال قيامهما بمواجهة اجراءات مجلس تحقيقي، احيلا على التقاعد. ولكن هل كان هذان القائدان

---

* المحور: عبارة اطلقت للتعبير عن التعاون بين المانيا النازية وايطاليا الفاشية وذلك خلال الفترة الواقعة بين عامي ١٩٣٦ و ١٩٤٥. وقد ورد هذا التعبير المجازي للمرة الاولى في خطاب القاه (موسوليني) في ميلان بتاريخ ١٩٣٦/١١/١ - المترجم.

متهاونين حقاً؟

لم يكن اي منهما مطلعاً على تفاصيل المعلومات المستنبطة من الاشارات اللاسلكية التي اتاحت لبعض كبار المسؤولين في (واشنطن) فرصة قراءة مضمون برقيات البريد الدبلوماسي الياباني ومراقبة تطورات الحوار الياباني الامريكي الذي كان يدور آنذاك. وكان مصدر المعلومات المفيد هذا، في الواقع، حصيلة ما توصلت اليه الاستخبارات البحرية الامريكية من عمليتها السرية المعروفة باسمها الرمزي (ماجك) MAGIC والتي كانت تقوم منذ عام ١٩٣٥ وبنجاح متفاوت بتحليل رموز النصوص اليابانية المجفرة آلياً.

- وقد تم خلال عام ١٩٤٠ تحقيق نجاح بالغ الاهمية وذلك عندما تمكن القائمون على تحليل النصوص المجفرة من التوصل الى حل رموز ماكنة التجفير (بربل) PURPLE، ماكنة السلك الدبلوماسي الياباني الرئيسة. وقد تمكن من كان لهم اطلاع على المعلومات المستنبطة عن طريق عملية (ماجك) من القيام بالترجمة الصحيحة لاشارات التحذير التي احتوتها البرقيات المتبادلة بين طوكيو والسفير الياباني في (واشنطن). وبفضل المعلومات المستخرجة نتيجة تحليل النصوص اليابانية المجفرة فقد تم في ١٩٤١/١١/٢٧ تعميم تفاصيل اجراءات الحيطة والحذر الواجب اتخاذها والتي وضعت في حيز التنفيذ عندما وقع الهجوم الياباني على ميناء (بيرل هاربر). إلا ان الجنرال (شورت) كان قد توصل الى استنتاج مفاده ان الخطر الاعظم الذي هدد (هاواي) كان يكمن في عمليات التخريب، الامر الذي يفسر انصرافه الى وضع كافة الطائرات التي كانت بامرته ضمن مجاميع كبيرة لكي تسهل حراستها. وقد ادى إخفاقه في تحقيق انتشارها الى جعلها اهدافاً سهلة لصولات القاصفات اليابانية.

لقد حمل (شورت) و (كيمل) الوزر الاعظم من هذه الكارثة، وقد اتضح خلال السنوات التي تلت بانهما كانا كبشي الفداء، إذ باستثناء الاستعدادات العامة لمواجهة حالة الحرب، لم يتم إعلام اي منهما بأمر تداعي الحوار الدبلوماسي الياباني ولا بالاستنتاج الذي توصلت اليه الادارة الامريكية بصدد حتمية نشوب الحرب. وقد جاهد كل من هذين القائدين لتبرئة ساحته. وقد توفي الجنرال (شورت) عام ١٩٤٩. اما الاميرال (كيمل) فقد نشر مذكراته عام ١٩٥٥.

بالرغم من خلو بريد (بربل) مما يوحي بان ميناء (بِرل هاربر) كان مستهدفاً من قبل اليابانيين، كانت هنالك رسائل عديدة في جفرة (جاي ـ ١٩) J — 19 ذات الاسبقية الدنيا وقد كان مصدرها القنصل الياباني في (هونولولو). وقد عكست هذه الرسائل

اهتماماً غير طبيعي في ميناء (بيرل هاربر) وتحركات السفن الامريكية. كانت قراءة نصوص جفرة (جاي - ١٩) سهلة نسبياً، إلا ان حجم بريد (ماجك) قد ادى الى تجنيد معظم محللي الجفر للعمل ضمن نطاقه ولذلك كانت عملية قراءة وترجمة ومن ثم تعميم مضمون اي رسالة من رسائل جفرة (جاي - ١٩) تستغرق فترة تصل الى اسبوعين. وعندما قام الامريكيون بمراجعة نصوص جفرة (جاي - ١٩) بعد تحليلها وذلك في اعقاب الهجوم على (بيرل هاربر) فانهم وجدوا بانها تحتوي على الكثير من الادلة المعبرة. ففي الرابع والعشرين من ايلول (عام ١٩٤٠)، على سبيل المثال، أوعز للقنصل الياباني في (هاواي) بتقسيم ميناء (بيرل هاربر) الى خمس مناطق تحددت كل منطقة منها بحرف ابجدي مجفر كما اوعز اليه كذلك برفع تقارير تتضمن تحركات الأسطول الامريكي. اما تقاريره الدورية التي كان يرفعها مرة كل اسبوعين فقد اصبحت اسبوعية، الامر الذي يعكس تصاعد اهتمام طوكيو في (هاواي). ومن الواضح ان انشغال محللي المعلومات في (واشنطن) قد حال دون قيامهم بترجمة هذه المعلومات بصورة صحيحة.

ولم تدرك اهمية نصوص (جاي - ١٩) إلا بعد وقوع كارثة بيرل هابر المفاجئة. ولكن هل وصلت الى الرئيس الامريكي معلومات اكثر تأكيداً تشير الى الهجوم تم لاحقاً كتمها؟ يعتقد بعض المورخين بان هذا ما حدث فعلاً.

لقد حصل الخلاف عام ١٩٧٢ عندما تمكن (السير جون ماسترمان) Sir John Masterman اخيراً من استحصال موافقة مجلس الوزراء البريطاني على نشر وثيقة بعنوان «نظام الخداع في حرب ١٩٣٩ - ١٩٤٥» The Double Cross System In The War 1939 — 45 والتي كان قد كُلف باعدادها في عام ١٩٤٦ عندما كان لا يزال يعمل لدى منظومة الخدمات الامنية البريطانية الـ (MI5) وكان (ماسترمان) قد احتفظ بنسخة غير شرعية عن تقرير بنشاطاته في زمن الحرب. وقد قام من خلال زميله (نورمان هولمز پيرسون) Norman Holmes Pearson، احد مسؤولي دائرة الخدمات الاستراتيجية، باتخاذ التدابير اللازمة لنشر تقريره هذا من قبل دار نشر (ييل يونڤيرستي پريس) Yale Unversity Press وقد روعت الخدمات الامنية البريطانية عندما علمت بمخطط (ماسترمان). إلا ان مزيجاً من حزم (ماسترمان) الهادئ ولباقة حوار محاميه (كريستوفر هارمر) Christopher Harmer (الذي كان هو الآخر احد ضباط الخدمات الامنية البريطانية السابقين) قد اثمر في اقناع رئيس الوزراء البريطاني (إدوارد هيث) Edward Heath بمنح الاذن لنشر العمل المطلوب.

ويبقى سرد (ماسترمان) المتعلق بكيفية تعامل الخدمات الامنية البريطانية مع العملاء المزدوجين المرجع الاخير بهذا الموضوع وقد كشف وصفه للرجل المعروف باسمه

المجفر (ترايسكل) TRICYCLE النقاب عن حصول البريطانيين في آب من عام ١٩٤١ على معلومات تتعلق بـ (بيرل هاربر). ويلعب (ماسترمان) و (ترايسكل) دوراً بارزاً في الاحداث الامر الذي يتعين علينا الأسهاب في شرح خلفية هذين الرجلين.

كان (ماسترمان) احد اكاديميي جامعة (اوكسفورد) المشهورين. وقد دعي في شهر كانون الاول من عام ١٩٤١ لترأس لجنة خاصة كانت قد شكلت لغرض تنسيق المعلومات المطلوب نقلها الى العدو عن طريق مجموعة متزايدة من العملاء البريطانيين المزدوجين. (ويُشار الى هذه اللجنة احياناً باسم «لجنة العشرين» The Twenty Committee كما يدعى النظام الذي كانت تقوم بالاشراف عليه بـ «جهاز الخداع» The DoubLe Cross System. وكانت الخدمات الامنية البريطانية قد عملت على تطوير المهارات الضرورية لتدير من خلالها نشاطات العملاء المزدوجين بصورة مقنعة. إلا ان استمرار العمل في هذا المجال قد تطلب تدفق مستمر لمعلومات صحيحة وبالغة الاهمية، والتي كان الاخفاق في تزويد كميات معقولة منها يعني مواجهة خطر فقدان اهتمام الاستخبارات العسكرية الالمانية (الآبفير). وقد واجهت عملية التحديد الدقيق لمفردات المعلومات الصحيحة التي تعين تزويدها للعدو مشاكل كبيرة. ولانعدام الاجماع في ادراك المكاسب والفرص الممكن الحصول عليها بفضل نظام غش شامل، فقد تم التوصل الى حل متفق عليه وهو تشكيل لجنة خاصة تضم في عضويتها كافة الاطراف التي لها اهتمام بالموضوع. ولتفادي قيام هذه اللجنة بالانحياز الى اية جهة معينة فقد تم الاتفاق كذلك على اختيار (ماسترمان)، بصفته مرشح مناسب، ليكون رئيس هذه اللجنة ومحكمها. ولابد لنا ان نؤكد بان الخدمات الامنية البريطانية كانت تدير عدداً لا يستهان به من العملاء المزدوجين الناجحين قبل تبوء (ماسترمان) منصبه الجديد هذا وترؤسه اول اجتماع للجنة العشرين في ٢/١/١٩٤١، ولقد اخطأ العديد من الكتاب عندما اعتبروا (ماسترمان) مؤسساً للنظام المذكور. إذ ان الفضل في ذلك، في الواقع، يعود الى العقيد (تي. ايه روبرتسون) T. A. Robertson، وهو الضابط الذي كان يترأس القسم الخاص بالعملاء المزدوجين الالمان في منظومة الخدمات الامنية البريطانية. وفي الحقيقة كان (روبرتسون) مسؤولاً عن اول عميل ذي اهمية من العملاء المزدوجين الألمان قبل اندلاع الحرب. وبعد انتهاء عمل لجنة العشرين في ايار/ (مايس) من عام ١٩٤٥، كتب (ماسترمان) تقريراً استعرض فيه ما قامت به من اعمال وقد اودع هذا التقرير في الاراشيف التأريخية للمنظومة المذكورة. وعند انتهائه من هذا التقرير عاد (ماسترمان) الى جامعة

(اوكسفورد). اما (روبرتسون)، الذي كان ضابط آمن محترف، فقد استمر في عمله لدى منظومة الـ:(MI5).. وعند تذكر اولئك الذين خدموا في القسم الذي كان يترأسه (روبرتسون) تجدر الاشارة الى ان (ماسترمان) لم يلتق باي من العملاء المزدوجين بالمرة وذلك لان طبيعة عمله لم تتطلب ذلك ابداً. وانه بالتأكيد لم يلتق بالعميل (ترايسكل)، وسوف تتضح اهمية هذه النقطة بالذات في مجال لاحق.

كان (ترايسكل)، اصلاً احد عملاء منظومة الخدمات السرية البريطانية (mi6)، وكان اسمه المجفر (سكاوت) SCOUT وقد تطوع للعمل لدى المنظومة المذكورة في (بلغراد) قبل اندلاع الحرب. وقد قام (سكاوت)، الذي كان اسمه الحقيقي (داسكو بوبوف) Dusko Popov بعد ذلك بفسح المجال امام الاستخبارات العسكرية الالمانية (الآبفير) لتجنيده للعمل لديها. وقد قامت الجهة الالمانية هذه بارساله الى (انجلترا) للتجسس هنالك لحسابها. وعندما وصل (لندن) في نهاية شهر كانون الاول من عام ١٩٤٠ قامت الخدمات السرية بتسليمه الى الخدمات الامنية التي تعتبر، بموجب العرف البيروقراطي، الجهة المسؤولة عن الامور الامنية والشؤون الاستخبارية داخل بريطانيا وامبراطوريتها. ان رحلة (بوبوف) الى انجلترا قد قادته الى دائرة عمل منظومة الخدمات الامنية (MI,5)وبذلك دخل نشاطه ضمن نطاق سلطتها. وسرعان ما اعطي اسماً جفرياً خاصاً بالمنظومة المذكورة وهو (ترايسكل) وقد اختار هذا الاسم الضابط المسؤول عنه والمدعو (ايان ولسون) Ian Wilson ويعزى السبب في هذه التسمية الى القرار القاضي بترؤس (بوبوف) حلقة قوامها ثلاثة عملاء مزدوجين هم: مرشح من منتسبي الخدمات الامنية كان اسمه الجفري (بالون) BALLOON، وامرأة اسمها الجفري (جيلاتين) GELATINE، وقد اصبحت عشيقته، واخوه الذي كان اسمه الجفري (دريدنوت) DREADNOUGHT.

اثر نجاحه الظاهري في انجلترا، وبعد قيامه بزيارتين قصيرتين الى (لشبونة) وذلك في شهري كانون الثاني وآذار من عام ١٩٤١، استلم (بوبوف) امراً من مسؤوله الالماني يقضي بقيامه بتشكيل حلقة تجسسية في امريكا. وقد تم استكمال الاجراءات الخاصة بمهمته هذه في اواسط شهر حزيران من عام ١٩٤١ ليغادر بعد ذلك الى (لشبونة) جواً بطائرة مائية. وقد شكلت هذه الرحلة المرحلة الاولى من سفره الى امريكا. مكث (بوبوف) في العاصمة البرتغالية حتى العاشر من شهر آب عندما تم تأمين مجال له للسفر على متن طائرة متجهة الى (نيويورك) عن طريق (برمودا). وفي هذه اللحظة بالذات يدخل علماء الاساطير الى هذه القصة وذلك لان (بوبوف) قد سُلم رسالة سرية مصغرة بحجم مجهري

(microdot) وذلك من قبل الشخص الالماني المكلف بالاتصال به. وقد احتوت هذه الرسالة على قائمة بالاهداف المطلوب تحقيقها من قبل شبكته الامريكية الجديدة. ويجد القارئ ادناه صورة كاملة لاستمارة الاستبيان التي اعدتها الاستخبارات العسكرية الالمانية (الآبفير):

المعلومات البحرية - تقارير عن سلع العدو المشحونة بالسفن (المواد الغذائية - مجاميع القوافل البحرية مع ذكر اسماء السفن وسرع سيرها ان امكن ذلك) تجمعات القوات المطلوب نقلها عبر البحار وذلك في كل من كندا والولايات المتحدة. تذكر التفاصيل الخاصة باعداد السفن - عدد القوات هذه - موانئ تجمع القوات - تقارير عن بناء السفن (الحربية منها والتجارية) - مآو السفن (المسافن) - ارصفة الموانئ المملوكة من قبل الدولة وتلك المملوكة من قبل الاشخاص - الاعمال الجديدة - قائمة بالسفن التي يتم بناؤها أو تلك التي طلب بناءها بصورة خاصة - تواريخ بناء هذه السفن. تقارير تتعلق بكافة المواقع الامريكية الحصينة لا سيما في (فلوريدا) - تنظيم المواقع الحصينة هذه بالنسبة للسفن الألمانية السريعة (E — Boats) ومستودعاتها - الدفاعات الساحلية - المناطق التنظيمية.

هاواي - اكداس العتاد ومستودعات الالغام

١ - تفاصيل تتعلق بالعتاد البحري ومستودعات الالغام الموجود في جزيرة (كوشوا) Kushua(پيرل هاربر). يطلب مخطط توضيحي بذلك ان امكن.

٢ - المستودع البحري للعتاد في (لوالويلي) Lualueli. تحديد الموقع بالضبط؟ هل يوجد تقاطع سكة حديد؟

٣ - من المفروض ان يكون مجموع العتاد الاحتياطي للجيش في صخرة فوهة بركان (اليمانو) Crater Aliamunu يُطلب تحديد الموقع؟

٤ - هل يتم استخدام فوهة بركان (ينجبول) Crater PunchbowL في (هونولولو) ككدس للعتاد؟ فاذا كان الجواب بالنفي فهل توجد اعمال عسكرية اخرى؟

المطارات

١. مطار (لوكفييلد) Lukefield - تفاصيل مع المخطط توضيحي ان امكن) تتعلق بمواقع مراتب. (سقائف) الطائرات (وما عددها) - المعامل - مستودعات القنابل - مستودعات الوقود - هل توجد منشآت نفطية تحت سطح الارض - تحديد موقع مركز الطائرات البحرية بدقة - عدد العاملين؟

٢. موقع الطيران البحري الحصين في (كانيشي) Kaneche - تقرير تفصيلي دقيق بخصوص موقع وعدد المرائب والمستودعات والمعامل (مع مخطط توضيحي) - عدد العاملين؟

٣ - مطارا (وشام فيلد) Wicham Field و (وويلرفيلد) Wheeler Field العسكريان التابعان للجيش الامريكي - تحديد موقعهما بدقة - تقارير تتعلق بعدد مرائب الطائرات والمستودعات والمعامل - المنشآت الموجودة تحت سطح الارض؟ (مخطط توضيحي).

٤ - مطار (روجر) Roger العسكري - هل سيقوم الجيش، او البحرية، بوضع اليد على هذا المطار في حالة نشوب حرب؟ ما هي الاستعدادات التي تم تنفيذها؟ عدد مرائب الطائرات؟ هل هنالك امكانات لهبوط الطائرات البحرية؟

٥ - مطار شركة خطوط بان أميركان الجوية - تحديد الموقع بالضبط (مخطط توضيحي ان امكن) - هل يعتبر كل، ام جزء، من هذا المطار مطابقاً لمطار (روجر) - (محطة البث اللاسلكي التابعة لشركة (خطوط بان أميركان الجوية) في شبه جزيرة (موهابو) (Mohapuu.

الموقع البحري الحصين في بيرل هاربر

١ - التفاصيل الدقيقة (مع مخطط توضيحي) لبيان وضع المسفن الحكومي مع بيان المعدات والمنشآت الموجودة على الرصيف وكذلك المعامل والمنشآت النفطية بالاضافة الى الحوض الجاف رقم (١) والآخر الذي يجري بناؤه الآن.

٢ - تفاصيل بشأن مركز الغواصات (مخطط الموقع). ما هي المنشآت الموجودة على اليابسة؟

٣ - اين يقع مركز تشكيلات البحث عن الألغام؟ مدى تقدم عمل الكراكة في المدخل وفي الجهتين الشرقية والجنوبية الشرقية للهويس؟ اعماق الماء؟

٤ - عدد المراسي

٥ - هل يوجد مسفن عائم في (بيرل هاربر)؟ هل في النية نقل مثل هذا المرسى الى (بيرل هاربر)؟

مهام خاصة - تقارير حول شبكات الحماية ضد الغواصات والتي تم استخدامها حديثاً في البحريتين البريطانية والامريكية. الى اي حد توجد هنالك شبكات من هذا النوع لحماية الاسطولين البحري والتجاري في الوقت الحاضر؟ الاستخدام اثناء الرحلات؟ معدل انخفاض سرعة البواخر عند استخدام هذه الشبكات؟ تفاصيل الانفتاح واية تفاصيل

اخرى.

١. القيام فوراً بتزويد تفاصيل دقيقة حول قوة التدريع المستخدم في العجلات الامريكية المدرعة لاسيما قوة تدريع تلك العجلات التي تم ارسالها مؤخراً من الولايات المتحدة الامريكية الى الشرق الاوسط. القيام كذلك بتزويد تقارير اخرى عن العجلات المدرعة وعن تكوين التشكيلات المدرعة (الدبابات). ان لهذه المعلومات اهمية بالغة.

٢ ـ المطلوب تزويد الجداول التنظيمية لفرق المشاة الامريكية والوحدات التابعة لها (افواج المشاة، المدفعية الخ) وكذلك للفرق المدرعة الامريكية والوحدات التابعة لها (كتائب الدبابات، حظائر لاستطلاع الخ). تبين هذه الجداول موجود هذه التشكيلات ويتم اعدادها وطبعها من قبل وزارة الحربية الامريكية فهي بذلك ذات طابع سري للغاية.

٣ ـ تفاصيل عامة عن العجلات المدرعة الخفيفة الحديثة.

ما النوع الذي سيتم اعتمـاده اخيراً؟ الوزن؟ التسليح؟ قوة الدرع؟

أ. وضع المساهمات والاعتمادات البريطانية في الولايات المتحـدة كما في شهـر حزيران من عام ١٩٤٠.

ما هي التزامات المدفوعات البريطانية المتأتية من تطبيق قانون «الاعارة والتأجير» Lend Lease Act*؟

ما هي المدفوعات التي قامت بريطانيا بتسديدها الى الولايات المتحدة منذ اندلاع الحرب وذلك لقاء البضائع التي تم تجهيـزها والمعـامل التي انشئت والمعدات الحربية التي انتجت وبناء الارصفة الجديدة للمـوانئ او عمليات تـوسيع تلك الموجودة منها؟

٢ ـ مقـدار نفـقـات الدولة في مـوازنــة الاعـوام ١٩٣٩/٤٠، ١٩٤٠/٤١، ١٩٤١/٤٢، ١٩٤٢/١٩٤٣ لا سيما نفقات الجيش والتـسلح.

٣ ـ تمويل منهاج التسليح الامريكي من الضرائب والقروض وقسائم الاعتماد الضريبي. مساهمات مؤسسـة (ريفيكو) Refico والشـركات المنشـأة من قبلها (شركة احتياطي المعادن وشركة احتياطي المطاط وشركة المعدات الدفاعية وشركة التجهيزات الدفاعية وشركة الاسكان الدفاعي) في تمويل منهاج التسلح.

---

* القانون الذي سنه (الكونغرس) الامريكي في ١٩٤١/٣/١١ والذي تعهدت الولايات المتحدة بموجبه تقديم كافة المساعدات المادية الممكنة لبريطانيا اساساً وللدول الحليفة الاخرى اثناء حربها مع دول المحور. ويعتبر القانون ثمرة جهود الرئيس (روزفلت) شخصياً ـ المترجم.

٤ ـ زيادة الديون الحكومية وامكانيات تغطيتها. تعتبر كافة التقارير عن التسلح الجوي الامريكي في غاية الاهمية. تعتبر الاجوبة على الاسئلة التالية ضرورية جداً:

اولاً ـ ما حجم

أ ـ مجموع الانتاج الشهري للطائرات

ب ـ الانتاج الشهري من القاصفات

ح ـ الانتاج الشهري من الطائرات المقاتلة.

ء ـ الانتاج الشهري من طائرات التدريب.

هـ ـ الانتاج الشهري من الطائرات المدنية.

ثانياً ـ ما هي انواع الطائرات التي تم تزويدها الى الامبراطورية البريطانية وكم اعدادها. ويقصد بالامبراطورية البريطانية كل من:

أ ـ بريطانيا العظمىٰ.

ب ـ كندا.

ح ـ افريقيا.

ء ـ الشرق الادنىٰ.

هـ ـ الشرق الاقصىٰ واستراليا.

ثالثاً ـ عدد الطيارين الامريكيين الذين ينهون تدريبهم شهرياً.

رابعاً ـ ما عدد الطيارين الامريكيين الذين ينخرطون في صفوف القوة الجوية الملكية البريطانية.

تعتبر التقارير عن القوة الجوية الكندية ذات اهمية بالغة. كافة المعلومات عن اعداد وانواع طائرات الخط الأول Front aeroplanes وتعتبر المعلومات عن الكميات والاعداد وموقع القدمات ذات اهمية بالغة. كما أن لتفاصيل خطة التدريب الجوي في (كندا) أهمية خاصة وبعبارة اخرى:

موقع مدارس التدريب والطاقة الاستيعابية لكل منها مع ارقامها، اذ تشير التقارير المستلمة الى ترقيم هذه المدارس حسب نوعها (مدارس الاحداث، مدارس المتقدمين، مدارس التدريب على الرصد الجوي) وتبدأ الارقام بالرقم (١).

تكمن اهمية الاستبيان هذا فيما يكشف، بدون ادنى شك، عن اهتمام الالمان الشديد بميناء (بيرل هاربر). وقد قام مسؤول الخدمات السرية البريطانية (MI6) المحلي

في (لشبونة) باستنساخ الاهداف التي تضمنتها الرسالة التي كانت قد سلمت الى (بوبوف) ليرسلها بعد ذلك الى لندن حيث ترجمت في الوقت المطلوب فيه اطلاع (لجنة العشرين) على مفرداتها وذلك في اجتماع اللجنة المذكورة الاعتيادي الذي عقد يوم الثلاثاء المصادف ١٩/٨/١٩٤١

في نفس الوقت الذي كانت (لجنة العشرين) قد استوعبت فيه مضمون الوثيقة، كان (بوبوف) قد وصل الى (نيويورك) حيث تم تعريفه بـ (مكتب التحريات الفدرالي) FBI من قبل وسيطه (جون بپر) John Pepper، الذي كان رئيساً لقسم الخدمات السرية في مكتب (التنسيق الأمني البريطاني) British Security Coordination في (نيويورك والذي كان قد رافق (بوبوف) في المرحلة الاخيرة من رحلته الى (نيويورك) ثم قام بتعريفه بـ (العميل الخاص) Special agent(جارلس ليهرمان) Charles Leherman الذي كان حلقة الوصل بين اليوغسلافي (بوبوف) و (مكتب التحريات الفدرالي)

وبعد صدور كتاب (ماسترمان) عام ١٩٧٢، قام (بوبوف) نفسه بسرد هذه الاحداث بدقة متفاوتة في كتابه «الجاسوس والجاسوس المقابل» Spy, Counterspy ولم يكتب النجاح لمهمة (بوبوف) في الولايات المتحدة بصفته العميل (ترايسكل) وبذلك فقد عاد الى انجلترا عن طريق (لشبونة) وذلك في شهر كانون الاول من العام التالي. وفي ذلك الحين قامت اليابان بشن هجومها على ميناء (بيرل هاربر). وقد علق (ماسترمان) بقوله:

«كان من المقرر ان يعمل (ترايسكل) في الولايات المتحدة بصورة عامة كما افترض بقاءه في الولايات الشرقية منها فترة طويلة من الزمن. وبذلك فمن المؤكد ان يكون استنتاجاً سليماً ذلك الذي ينصرف الى اعتبار الاستبيان المذكور مؤشراً واضحاً على ان ميناء (بيرل هاربر) كان اول هدف لهجوم معادٍ عندما تصبح الولايات المتحدة في حالة حرب والى اعتبار ان التخطيط لهذا الهجوم كان قد وصل مرحلة متقدمة في آب من عام ١٩٤١.

ومن الواضح ان مسؤولية ادراك هذا الامر، واستخلاص الاستنتاجات من مضمون الاستبيان، كانت تقع على عاتق الجانب الامريكي لا على عاتقنا نحن. ومع ذلك، كان من الاجدر بنا القيام بالتأكيد على هذا الامر بدرجة اكبر مما قمنا به في الواقع بسبب ادراكنا الاوسع بفحوى الامر ومعرفتنا بهذا الرجل»[١١].

لقد ادت ملاحظة (ماسترمان) هذه الى ظهور الكثير من الاساطير كما ان (بوبوف) قد استغلها في كتابه ليسهب في موضوع هذا الاخفاق الظاهر من قبل الخدمات الامنية البريطانية (MI5) في التأكيد على جدارة (ترايسكل) بالثقة. ثم استرسل (ماسترمان) في

سرده في كتابه «جهاز الخداع» قائلاً:

«بسبب ما توفرت لدينا من خبرة اكبر نتيجة العمل لبضع سنين في هذا المعترك، كان علينا ان نبين لاصدقائنا في الولايات المتحدة مدى الاهمية التي انطوت عليها هذه الوثيقة، مجازفين في الحين ذاته بما قد نواجه به من صد وترفع من قبلهم نتيجة ذلك. ولكننا كنا لا نزال محترسين من التعبير عن ارائنا وغير واثقين من صواب تقديراتنا. ولا شك أن العبرة في الموضوع، هي انه متى ما تم التأكد بصورة ثابتة من عميل معين، يصبح للاستبيان الذي يُعهد به اليه قيمة استخبارية اعظم واهمية اكبر من القيمة التي تعزى اعتيادياً»[٢]

ولقد فسر (بوبوف) فحوى الملاحظة اعلاه على انها تعني بان (مكتب التحريات الفدرالية) قد اخفق في ادراك ذلك الجزء من الاستبيان المتعلق بـ (بيرل هاربر)، وبان الادراك الصحيح لما ورد في الاستبيان كان من الممكن، من وجهة نظر (ماسترمان)، ان يؤدي الى تفادي الكارثة التي حلت بميناء (بيرل هاربر).

ولكن (بوبوف) لم يكن على علم بأنه شخصياً كان يخضع دوماً لمراقبة حذرة من لدن الخدمات الأمنية البريطانية بالرغم من انها كانت قد وافقت على قيامه بالعمل كعميل مزدوج. وقد وُضعت في الشقة السكنية التي وفرتها له الخدمات الأمنية في منطقة (مايفيير) في لندن اجهزة للانصات بينما تواجد بعض منتسبي هذه الجهة الامنية في الشقة التي كانت تعلو شقته. وبالرغم من اعتقاد (بوبوف)، ولربما (ماسترمان) كذلك، بان قبوله كان قد تم بصورة نهائية وكاملة في شهر كانون الاول من عام ١٩٤٠، إلا ان هذا الأمر كان بعيداً عن الواقع. لم تكن الخدمات الامنية البريطانية على استعداد لتزكيته بصورة كاملة ولربما كان هذا هو السبب في تشويه نظرة (مكتب التحريات الفدرالي) اليه. ومما لا شك فيه ان (المكتب) المذكور كان على حذر من (بوبوف) كما ان تردد الخدمات الامنية البريطانية في تزكية عميلها قد اضعف موقفه.

لقد استلم (بوبوف) الاستبيان، كما اسلفنا سابقاً، قبل ان يستقل الطائرة المتوجهة الى (برمودا) في العاشر من شهر آب من عام ١٩٤١ كما قام كذلك بتزويد مكتب الخدمات السرية البريطانية (MI6) في (لشبونة) بصورة منه، ولكن سرده لهذه التفاصيل، بعد مرور ثلاثة وثلاثين عاماً على هذه الاحداث، قد افتقر الى بعض الدقة. فهو يقول، على سبيل المثال، بانه غادر لندن متجهاً الى (البرتغال) في ١٩٤١/٦/٢٢[٣] بينما تحدد وثائق (ماسترمان) هذا التأريخ بعد اربعة ايام، اي في ١٩٤١/٦/٢٦.[٤] بالرغم من ان هذا

الجانب لا يعتبر مهماً نسبياً فقد كسبت روايته حول استلامه الاستبيان اهمية غير متوقعة ويستذكر (بوبوف) لقاءه مع مسؤوله الألماني الذي كان يعرفه باسم (لودفيكو فون كارستوف) Ludovico Von Karsthoff كما يستذكر قراءتهاالاولى لمضمون الاستبيان قائلاً: «كان عنوان المقطع الاول من الاستبيان ـ «معلومات بحرية). وبعد ان القيت نظرة على المقطع الثاني وجدته يتعلق بتجمعات القوات المزمع نقلها عبر البحار من كندا والولايات المتحدة....»[٥]

ولم يعد (بوبوف) لتمحيص مضمون الاستبيان مجدداً إلا بعد ان تناول قدحاً من الشمبانيا. ثم يستطرد قائلاً:

«كنت لا ازال ارشف قدحي الثاني من الشمبانيا عندما التقطت قائمة الاسئلة والقيت عليها نظرة عاجلة. استرسلت هذه المرة في القراءة. وقد شكلت عبارة هاواي، العنوان الثاني. وكانت المعلومات المطلوبة تتعلق باكداس العتاد ومستودعات الالغام في جزيرة (اواهو) Oahu حيث يقع ميناء (بيرل هاربر)»[٦]

وقد ادعى (بوبوف) في عام ١٩٧٤ بانه كان في عام ١٩٤١ قد استنتج مباشرة بان «هذا كان هو الهدف الياباني:

«قمت على الفور بابلاغ (لشبونة) خبر الهجوم الوشيك على (بيرل هاربر). وقد اتصلت (لشبونة بدورها بـ (لندن)، اما أنا فقد اوعز لي بنقل معلوماتي شخصياً الى الولايات المتحدة لاني كنت في طريقي اليها خلال بضعة ايام. وقد فضلوا، على ما يبدو، قيامي شخصياً بنقل هذه الاخبار بسبب احتمال رغبة الا ·يكيين في استجوابي بشئ من التفصيل للوقوف على كل دقائق الموضوع»[٧]

وسرعان ما استغل صانعو الاساطير هذه الرواية. وكان على رأسهم، في هذه الحالة بالذات، (جون تولاند) John Toland، الحائز على جائزة (بولتزير) Pulitzer والذي وصف من قبل دار النشر التي قامت بطبع وترويج كتابه «الخزي» Infamy بانه «في طليعة مؤرخي الحربين العالميتين من الأمريكيين». وقد تركزت الفكرة الرئيسة في هذا الكتاب الأخير على «ان الرئيس (روزفيلت) والحلقة الداخلية كانا على بينة من امر الهجوم»[٨] ولعدم وجود اية اشارة لهذا الهجوم في نصوص (ماجك) قبل ١٩٤١/١٢/٧، يفترض (تولاند) بان معلومات (بوبوف) لابد انها كانت هي المصدر. كما يوحي بان (بوبوف) كان قد قام شخصياً بتزويد (مكتب التحريات الفدرالي) بمخطط تفصيلي للهجوم الجوي الياباني الذي كان قد حصل عليه من الالمان»[٩]

وبطريقة ما حول (تولاند) استبيان (بوبوف) الى «مخطط تفصيلي» كان قد ابلغ، على ما يبدو، الى الرئيس (روزفيلت) الذي تعمد بعد ذلك كتم امره.

أما تفاصيل العملية التي يصفها (بوبوف)، والتي تم من خلالها استلامه استبيان الاستخبارات العسكرية الالمانية (الآبفير)، فقد اختلفت في الرواية التي اوردها (تولاند). يقول هذا الاخير:

«طلب منه تمحيص استبيان ما. وقد اذهله العنوان الثاني الذي كان عبارة «هاواي». كان عليه تحديد مواقع اكداس العتاد والمطارات العسكرية في جزيرة (اواهو) والتعرف على كافة التفاصيل المتعلقة بميناء (بيرل هاربر) بما في ذلك المنشآت الموجودة على الارصفة وعدد المرافئ وعمق الماء»[10]

ثم يقدم (تولاند) باعداد صورة من «الترجمة الانكليزية التي قامت بها الخدمات السرية البريطانية وذلك للنص الالماني الكامل للاستبيان، إلا ان ما قدمه (تولاند) لم يكن في الواقع كاملاً. فقد تم، في الحقيقة، تحرير النص الاصلي (راجع النص اعلاه) بهدف تحقيق المبالغة فيما له علاقة بـ (هاواي). لقد اهمل (تولاند) المقطع الاول باكمله وبذلك اظهر الوثيقة تحت عنوان (هاواي) . وينتهي استبيانه «الكامل»، على حد تعبيره، بعد الجملة الثانية التي وردت في القسم الذي يقع تحت عنوان (مهام خاصة): - «مهام خاصة - تقارير حول شبكات الحماية ضد الغواصات والتي تم استخدامها حديثاً في البحريتين البريطانية والامريكية.

الى اي حد توجد هناك شبكات من هذا النوع لحماية الاسطولين البحري والتجاري في الوقت الحاضر؟»

وبحذفه الاربعمائة كلمة التي تلت، والتي كونت بمجملها اثني عشرة فقرة اشتملت بدورها على عشر فقرات ثانوية، فان (تولاند) يعطي للقارئ انطباعاً بان الاستبيان الالماني يتعلق كلياً بـ (هاواي) وخصوصاً بالشبكات الثابتة للحماية ضد الغواصات. ان الاشارة الى هذه الشبكات، في الواقع، قد جاء ضمن اطار السفن المبحرة. وبذلك فان نص الاستبيان الذي اورده (تولاند) قد جاء مضللاً. ولا غرابة فيما لعبه الاستبصار المتأخر من دور في تشجيع (بوبوف) و (تولاند) على ابراز اهمية الفقرات التي لها علاقة بـ (هاواي) اذا ما اخذنا بعين الاعتبار جسامة الكارثة التي حلت بميناء (بيرل هاربر). ولكن كيف نظر الآخرون الى الاستبيان بصورة عامة في سياق الظروف آنذاك؟

من الصعب جداً ادراك واكتشاف معظم الاساطير لا سيما بعد مرور الوقت، إلا ان

الامر يختلف في هذه الحال: فقد بقي على قيد الحياة بعد انتهاء الحرب الكثير ممن اشتركوا في الاحداث والذين تمكنوا من تدوين تفاصيلها من وجهة نظرهم الشخصية. فلنأخذ، على سبيل المثال، الزيارة التي قام بها (بوبوف) الى مقر الخدمات السرية البريطانية في (لشبونة) مباشرة بعد استلامه الاستبيان الخاص بالاستخبارات العسكرية الالمانية (الآبفير). فقد كان من شأن غطاء السرية الذي يحيط بهذه المنظمة ان يجعل الاستمرار في البحث امراً مستحيلاً في الظروف الاعتيادية، ومع ذلك فقد صادف وجود ضابط الخدمات السرية البريطانية، الذي كان مسؤولاً عن نشاطات التجسس البريطاني في البرتغال، على قيد الحياة ويسكن حالياً في الولايات المتحدة الامريكية وبذلك يصبح خارج نطاق تطبيق احكام (قانون الاسرار الرسمية) البريطاني The Official Secrets Act اما هذا الضابط فهو المقدم البحري المتقاعد (فيليب جونز) Philip Johns, RN الذي امتاز (وان رفضت الخدمات السرية اعتبار ذلك امتيازاً) من بين كافة مسؤولي مراكز هذه المنظومة اثناء الحرب بتمكنه من نشر مذكراته. ويستذكر هذا الضابط في كتابه «النشاط التجسسي المزدوج» Within Two Cloaks قائلاً:

«لقد أُخبرت بوصول (بوبوف) وبانه كان قد سُلم من قبل مسؤوليه الالمان استبيان يتعلق بوسائل الدفاع الامريكية في ميناء (بيرل هاربر). ولكن هذا الخبر لم يحظ باهتمام يذكر في حينه. وان حساب قيمته، ان كانت له اية قيمة، كان من شأن الامريكيين انفسهم، بالرغم من ان امريكا لم تكن قد دخلت معترك الحرب آنذاك.»(11)

يتضح من ذلك بان رئيس مركز الخدمات السرية البريطانية في (لشبونة) وهو ضابط الاستخبارات المتمرس والمسؤول عن اهم مركز خارجي لهذه المنظومة في عاصمة محايدة لم يجد في هذه الوثيقة ما يستدل منه بان هناك هجوماً يابانياً وشيكاً على ميناء (بيرل هاربر). فان كان (جونز) قد اخفق في فهم اهمية استبيان (بوبوف)، فهل كان (ماسترمان) على حق عندما ادعى بان الاستبيان هذا «قد اشار بوضوح الى ان ميناء (بيرل هاربر) كان الهدف الاول الذي تقرر مهاجمته»؟ وبفضل الاستبصار المتأخر للاحداث يبدو السؤال المؤثر مبتكراً بعض الشئ، ولكن في خضم الظروف التي سادت في ذلك الوقت لم يكن هنالك ما يبرر قيام (مكتب التحريات الفدرالي) او الخدمات الامنية البريطانية باسداء المشورة الى الامريكيين حول مغزى الاستبيان. وعلينا ان نتذكر بان (بوبوف) لم يكن في ذلك

الوقت بالذات قد اثبت اخلاصه للخدمات الأمنية البريطانية اذ انه كان بالاساس عميلاً للخدمات السرية التي لم يكن تعاملها مع العملاء من مختلف دول اوربا قد توصل آنذاك الى عكس صورة توحي بتمتعها بتجارب لها وقع مؤثر في النفوس. فقد انهار الجزء الاكبر من الشبكات التجسسية التابعة لها في اوربا خلال صيف عام ١٩٤٠ نتيجة التغلغل الالماني الذكي. ومن جانب آخر فقد اكد كل من (أيان ولسون) Len Wilson و (بل لووك) Bill Luke، اول مسؤولين (لبوبوف) من رجال الخدمات الامنية، تحفظهما المبدئي ازاء عميلهما الذي عرف بالعابث المحبوب. ومن المؤكد أن سيرة (بوبوف)، وكذلك سيرة اخيه (إيفو) IVO المعروف باسمه الجفري (دريدنوت)، قد تلونت بفعل عدد من المناوشات مع شرطة العديد من الاقطار الامر الذي برر حذر الخدمات الامنية البريطانية منه. وبذلك يصبح من الصعب تصور قيام اعضاء (لجنة العشرين) اليافعين بربط سمعتهم بعميل له مثل هذه المؤهلات المريبة، فكيف تم استقبال (بوبوف)، اذاً، من قبل الامريكيين؟

استناداً الى ما رواه (بوبوف) فانه وجد نفسه مضطراً للانتظار اسابيع قبل ان يحظى بفرصة مقابلة (ادغار هوفر) J. Edgar Hoover. وعندما تمت المقابلة اخيراً فانها لم تستمر لاكثر من ثلاثين ثانية. وباعتراف (بوبوف) شخصياً فانه قد اصطدم برئيس (مكتب التحريات الفدرالي) حول مواضيع تخص الاخلاق والتجسس والفساد. وقد صُرف النظر عن معلوماته لانها كانت «من الدقة والاكتمال بحيث يصعب تصديقها»(١٢). كما عمد (هوفر) الى منع هذا اليوغسلافي من السفر الى (هاواي) لتنفيذ المهمة التي كُلف للقيام بها من قبل الاستخبارات الالمانية. وقد كتب (هوفر) سرداً مسلياً عن لقائه بـ (بوبوف)، دون تشخيصه بالاسم، وذلك في مقال نشر في مجلة (ريدرز دايجست) بعددها الصادر في شهر نيسان من عام ١٩٤٦. وكان عنوان المقال (التحفة الجاسوسية للعدو) The Enemyt,s Masterpiece of Esplonage. يقول (هوفر):

في أحد أيام شهر آب من عام ١٩٤١، التقينا بمسافر من (البلقان) اثر وصوله الى الولايات المتحدة. كنا على علم بانه كان إبناً مستهتراً لمليونير. وقد كان لدينا من الاسباب ما جعلنا نعتقد بانه كان عميلاً المانياً. وقد قمنا بتفتيش امتعته الشخصية بدقة تامة وذلك ابتداءً من فرشاة اسنانه وانتهاءً بحذائه. وبينما كان احد عملاء المختبر يمسك بظرفٍ بوضع انحدر الضياء بصورة منحرفة على سطحه، لاحظ بريقاً ضئيلاً ظهر على نحو مفاجئ. لقد عكست رسالة سرية مجهرية

الحجم على شكل نقطة الضياء الذي اصطدم بها.»

بعد هذه الخطوة الناجحة، وجد رجال (مكتب التحريات الفدرالي) على ما يبدو، العميل الالماني متلهفاً للتعاون معهم:

«بتعرضه للاستجواب اصبح الشاب البلقاني المستهتر دمثاً وودوداً، وبعد لن ادرك علمنا بامر الرسالة السرية بدأ يتكلم بحرية. كان قد درس على يد الأستاذ الشهير (زاب) Professur Zapp مخترع طريقة النقطة المتناهية الصغر في كتابة الرسائل السرية. وقد درس على يد هذا الاستاذ في الاعدادية الفنية في مدينة (دريزدن)»

يعزو (هوفر) لنفسه، على ما يبدو، فضل التصدي لجاسوس معادٍ حقيقي، دون ان يذكر بان الخدمات الامنية البريطانية كانت قد اخبرته عن وصوله. مع ذلك يصور هذا المقال، اعتقاد (هوفر) بانه كان يتعامل مع عميل معادٍ بدلاً من مخبر بريطاني موثوق به. «بعد مضي عشر سنوات قام الكاتب (دون وايتهيد) Don Whitehead بالرجوع الى الموضوع في خلال كتابه (قصة مكتب التحريات الفدرالي) The FBI Story وبهذا الخصوص يقول (وايتهيد):

«ثم وصل الى مدينة نيويورك شاب (بلقاني) قادم من امريكا الجنوبية. وعندما نزل في احدى فنادق المدينة لم تبد عليه الدهشة حين وجد اثنين من رجال (مكتب التحريات الفدرالي) بانتظاره في الغرفة التي خصصت له. ولم يكن هنالك اي سبب للدهشة لاننا نستطيع الآن ان نحيط اللثام عن حقيقة الامر: لقد كان هذا الشخص يعمل لمصلحة (مكتب المخابرات الفدرالي) بالرغم من انه كان قد جُند من قبل الالمان للعمل التجسسي.»[١٢]

ويبدو هذا النص المسرح اقرب الى الحقيقة من رواية (هوفر) وذلك من خلال وصفه الصحيح لدور (بوبوف) كعميل مزدوج. إلا ان هذا النص لا يذكر شيئاً عن امر المعلومات المتعلقة بميناء (بيرل هاربر)، بل ينصرف الى الادعاء بان الرسالة السرية المجهرية الحجم قد:

«فتحت مجالاً تمكن (مكتب التحريات الفدرالي) من خلاله اقتفاء أثر الجواسيس واعوانهم وذلك عبر الولايات المتحدة وامريكا الجنوبية، والقضاء، بمساعدة الحكومة المكسيكية، على شبكة تجسسية المانية كانت تعمل في المكسيك.

تشكل هذه الصورة بطبيعة الحال، خيالاً صرفاً لان المهمة التي اوكلت الى

(بوبوف) كانت قد اقتضت قيامه بتأسيس شبكة تجسسية جديدة لا الانضمام الى شبكة قائمة، كما ان (هوفر) قد منعه حتىٰ من الانصراف الى مهمته. وقد اضطر (بوبوف) اخيراً الى الرجوع الى انكلترا حيث ابتدأ العمل في المرحلة الثالثة من مهنته وذلك كعميل مزدوج للخدمات الامنية البريطانية الـ (MI,5) . وقد قدر لهذه المرحلة ان تكون الاكثر نجاحاً في تاريخ سيرته التجسسية. ومن خلال هـذه الحلقة الاخيـرة من علاقتـه مع الخدمات الامنيـة البريـطانية، تمكن (بـوبوف) بحق ان يثبت جـدارته، كمـا أعزي (ماسترمان) بألتأمل في المعاني التي تضمنها استبيان الاستخبارات العسكرية الالمانية.

فهل هنالك، إذاً، المزيد من الادلة التي توحي بان (روزفليت) كان في اي وقت، قد اخبر بامر تحذيرات (بوبوف) المزعومة؟ ويعترف (تولاند) نفسه بان (إدوارد تام) Edward Tamm، الشخص الثاني بعد (هوفر) في (مكتب التحريات الفدرالي)، لم يكن قد سمع بامر هذا الاستبيان[١٤] بالمرة، إلا انه (اي تولاند) يضيف، بشيْ من المكر، بان (تام) قد عبر عن رايه قائلاً: «لو كان (هوفر) قد استلم مثل هذه المعلومات.... لقام بالتأكيد برفعها الى الرئيس (روزفيلت)». ومن البديهي ان هذا لا يشكل بالمرة برهاناً قاطعاً، او حتىٰ دليلاً ظرفياً، من شأنه الايحاء بان (هوفر) كان، في اي وقت، قد تداول مع الرئيس الامريكي بشأن قضية (بوبوف)

كان لقصة (بوبوف) تتمة غريبة وذلك في آب من عام ١٩٨٢ عندما توفي في داره الكائنة في (أوبيو) Opio في جنوب فرنسا. فقد كتب مؤرخان بارزان، هما (رونالد ليوين) Ronald Lewin و (مونتغمري هايد) H. Montgomery Hyde، رسالة الى جريـدة (التايمـز) اللندنية بينا من خلالها اوجهاً عديدة من منجزات (بوبوف) غير الاعتيادية اثناء الحرب. وقد اوحىٰ (مونتغمري هايـد) بان «النقـطة المجهريـة الواحدة قـد ضمت نسخة من الاستبيان الذي كان يحتوي على ١٥،٠٠٠ (كذا) كلمة.»[١٥] وضمن اطار أحسن تقاليد أسطورة الحرب، توصل (مونتغمري هايد) الى الاستنتاج التالي:

«يشكل افشاء (داسكوبوبوف) امر الرسالة المجهرية لنا انجازاً يفوق بـاهميته اخفاقة، دون تقصيرما من جانبه، في اقناع (مكتب التحريات الفدرالي) بصحة المخططات اليابانية في (هاواي) - تلك المخططات التي شـاء المسؤول الاول في (المكتب) المذكور، (ادغار هوفـر)، تجاهلهـا ظناً منـه بان معلومـات (بوبـوف) بخصوص الهجوم الوشيك على (بيرل هاربر) كانت غير صحيحة.»

لقد اصبح واضحاً، الآن، بان الامـريكيين كـانوا عـلى بينة من امـر التصعيد

المحسوس للاهتمام الياباني في (هاواي) في اواخر عام ١٩٤١ وذلك من خلال نصوص (جاي ـ ١٩). كما كانوا على بينة ايضاً، ومن المصدر ذاته، من أن العلاقات الامريكية ـ اليابانية الدبلوماسية كانت تقرب من نقطة الانقطاع. ولكن مع ذلك فانه استدراك متأخر ذلك الايحاء الذي ينصرف الى الاقناع بان الاستبيان الالماني الذي سُلم الى احد عملاء الخدمات الامنية البريطانية المزدوجين يعطي علماً مسبقاً واكيداً لهجوم ياباني. ويكاد يكون من الصعب جداً، كذلك، اعتبار تلك الاجزاء التي تتعلق بميناء (بيرل هاربر) كمخطط، او برنامج عمل، لهجوم. كما لم يلاحظ احد اهمية هذه المعلومات في حينه ولم يقم احد كذلك باعلام الرئيس (روزفيلت) و (ونستون تشرشل) بامرها.

ولكن هل كانت هنالك، في كل الاحوال، ثمة مؤامرة بين (روزفيلت) و (تشرشل) تستهدف جر الولايات المتحدة الى معترك كان في عام ١٩٤١ يعتبر بالاساس نزاعاً اوربياً؟ هذا ما يعتقده (جون تولاند)، وما الاستشهاد بقضية (تايلر كينت) Tyler Kent إلا دليلاً على قيام الرئيس (روزفيلت) بالدخول في حوار سري مع تشرشل) بهدف التوصل الى تكوين حلف معادٍ للنازية وذلك قبل قيام دول المحور بتهديد المصالح الامريكية بوقت طويل.

بَدأت قصة (تايلر كينت) في شهر تشرين الاول من عام ١٩٣٩ عندما تم نقل هذا الدبلوماسي، الذي كان قد بلغ الثامنة والعشرين من عمره آنذاك، من مقر عمله في السفارة الأمريكية في (موسكو) الى سفارة (جوزيف كنيدي)* في لندن حيث تم تكليفه بواجبات التجفير. وسرعان ما قام (كينت) هذا، الذي اعلن عداءه لليهودية، بزج نفسه في معترك السياسة اليمينية في (لندن) لا سيما ضمن نشاطات مجموعة مناوئة لليهودية عرفت باسم (نادي اليمين) The Right CLub. لقد بلغت عضوية (نادي اليمين) هذا بحدود اربعة وعشرين شخصاً وكان قائد المجموعة النائب (الاتحادي) النقيب (ارشيبولد رامزي) Archibald Ramsay. وكان (رامزي) وزوجته، التي لم تقل عنه مجاهرة في عدائها لليهودية، يعقدان اجتماعات منتظمة في صالة لتناول الشاي كان اصحابها من الروس البيض وكانت تقع في منطقة (ساوث كنزنغتن) South Kensington في لندن. وكان من بين الذين يحضرون هذه الاجتماعات عدد من مخبري الخدمات الامنية البريطانية الذين كانوا ينقلون لها كافة التفاصيل المتعلقة بنشاطات (نادي اليمين). ومما تجدر الاشارة الى

---

* Joseph Kennedy ـ سفير الولايات المتحدة لدى انكلترا ووالد الرئيس الامريكي الراحل (جون كنيدي). كان احد المنادين بوجوب عدم تورط الولايات المتحدة في دعم جهود بريطانيا وحلفائها في الحرب ضد دول المحور ـ المترجم

اهميته بهذا الصدد ان المخبرين هؤلاء كانوا مسؤولين تجاه احد ضباط قسم مقاومة الجاسوسية بدلاً من احد مسؤولي القسم المختص بالتخريب السياسي.

ويبدو ان (كينت) هذا قد وضع تحت مراقبة كادت تكون مستمرة وذلك الى الحين الذي تم فيه إلقاء القبض عليه في ٢٠/٥/١٩٤٠. وعندما قام عدد من مخبري (الشعبة الخاصة) SpeciaL Branch، يصحبهم احد ضباط الخدمات الامنية، بمداهمة شقته، الواقعة في (غلوستر پليس) Glovcester Place، فانهم تمكنوا من استعادة نسخ لاكثر من (١٥٠٠) برقية كانت جميعها قد اختلست من غرفة التجفير في السفارة الامريكية. وكان العديد من هذه البرقيات تحوي نصوص المراسلات المتبادلة بين (ونستون تشرشل)، الذي كان وزيراً للبحرية First Lord of the Admirally في ذلك الوقت، والرئيس الامريكي (روزفلت). وقد قام السفير الامريكي (جوزيف كنيدي)، قبل قيام السلطات المختصة بالمداهمة المذكورة، بسحب الحصانة الدبلوماسية من (كينت) تسهيلاً لتحقيق المداهمة وإلقاء القبض عليه بعد ذلك.

وبالرغم من ان هذه التفاصيل لم تعلن مباشرة، إلا ان وزارة الداخلية The Home Office اطلقت تصريحاً في ٢/٦/١٩٤٠ يتعلق باحتجاز (كينت). وقد نشرت جريدة (التايمز) اللندنية هذا الخبر تحت عنوان: «احتجاز موظف أمريكي سابق في سفارة الولايات المتحدة الامريكية من قبل وزارة الداخلية» وقد ورد هذا الخبر على النحو التالي:

. نتيجة اجراء اتخذه السفير الامريكي بالتعاون مع السلطات البريطانية، تم احتجاز (تايلر كينت) الكاتب الذي أُنهيت خدماته لدى الحكومة الامريكية، والذي كان قد وضع تحت المراقبة. وقد تم الاحتجاز بامر وزير الداخلية.»

وقد وجهت الى (كينت) تهم بمقتضى قانوني (السرقات) و (الاسرار الرسمية) ثم احيل بعد ذلك الى (محكمة الجنايات المركزية) The old Bailey حيث. ادين في نهاية شهر تشرين الاول ولكن الحكم أُرجأ حتى السابع من شهر تشرين الثاني عندما انتهت محاكمة احدى زميلاته من عضوات (نادي اليمين). وكانت هذه العضوة تدعى (آنا واكوف) Anna Walkoff. وقد حكم على (كينت) بالسجن لمدة سبع سنوات من قبل القاضي (تاكر) لسرقته وثائق رسمية ولاخلاله باحكام (قانون الاسرار الرسمية). وبالرغم من ان المحاكمتين كانتا سريتين فقد سمح، مع ذلك، للصحفيين الحضور للاستماع الى قرار الحكم. وقد قامت جريدة (التايمس) اللندنية بنشر الخبر في اليوم التالي تحت عنوان: «انتهاء قضية الأسرار: بحبس كاتب السفارة لمدة سبع سنوات».

لقد قضىٰ (كينت) مدة الحكم في سجن (پاركهيرست) Parlrhurst Prison الواقع في جزيرة (دايت) Isle & Aeight تم بعد انتهاءها طرده من انكلترا واعادته الى وطنه. اما رئيس (نادي اليمين)، النقيب (رامزي)، الذي كان قد أُطلع على تشكيلة من البرقيات المسروقة من قبل (كينت)، فلم يدان باي جرم ولكنه أُحتجز بموجب احكام (انظمة الطوارئ) Emergency Regulations. وكان لاحتجازه ذيوع واسع النطاق كما تم تغطية كافة جوانب المشكلة الدستورية التي اثارها موضوع سجن عضو برلماني بامر عضو آخر.

ويدعي (تولاند) المتلهف لترويج قصة المؤامرة بين (روزڤيلت) و(تشرشل) بان السلطات البريطانية قد تعمدت منع انتشار اخبار هذه الاحداث. وقد بين بقوله: «تتم كافة المحاكمات التي تجري بمقتضىٰ (قانون الاسرار الرسمية) في انكلترا بسرية.»(١٦)

وفي الحقيقة ان المحاكمات التي تجري بمقتضىٰ (قانون الاسرار الرسمية)، كانت ولا تزال، احداثاً تعتبر نسبياً غير اعتيادية. وقد اقتصر عددها على اربع محاكمات خلال فترة الحرب بما فيها محاكمتا (كينت) و (ووكوف). (وقد تعلقت المحاكمتان الاخريتان بقضيتي (دوجلاس سبر بنغهول) douglas Springhall و (اورمند اورين) Ormand Uren). وقد تناقلت الصحف اخبار هذه المحاكمات جميعها وذلك بالغرم من صحة ما يقال بصدد عدم السماح للصحفيين بحضور الجلسات التي تم من خلالها طرح ادلة حساسة. ولكن (تولاند) تجاهل القصص الصحفية العديدة واصر على الادعاء قائلاً:

«لم يطلق خبر سجن (كينت) إلا في شهر حزيران من عام ١٩٤٤ وقد تم ذلك عن طريق الصدفة ومن خلال تساؤل احد اعضاء البرلمان عن النقيب (رامزي) Ramsey (كذا) الذي كان مسجوناً خلال الاربع سنوات المنصرمة بدون تهمة معينة. وقد انكشف آنذاك خبر قيام (كينت) بتزويده بنصوص بعض الرسائل السرية المتبادلة بين (تشرشل) و (روزڤيلت). وقد قام بنقل هذه القصة صحفي امريكي ويبقى امر مرورها عبر اجهزة الرقابة مثاراً للدهشة»(١٧)

ولكن قصة ادانة (كينت) وسجنه قد شاعت، كما شاهدنا، من خلال نشرها في صحيفة (التايمس) وغيرها من الصحف في نفس الوقت الذي تمت خلاله المحاكمة في (محكمة الجنايات المركزية) Central Criminal court عام ١٩٤٠. وبالرغم من ان الكثير من اجراءات هذه القضية قد تمت بسرية إلا ان هذا الامر لا يشكل بحد ذاته دليلاً على وجود مؤامرة سياسية على صعيد الحلقات العليا. وتشكل ممارسة الاستماع في جلسات سرية الى الافادات التي يدلى بها منتسبو الخدمات السرية (MIS) عرفاً قائماً لفترة طويلة في

انكلتــرا. وقد عهـدت مسؤوليــة القيام بــاتخاذ الاجــراءات القانــونية ضــد كــل من (كينت) و (ووكووف) الى مساعد النائب العام (السير وليام جويت) Solicitor — General Sir W. Jowitt وكان (جويت) هذا نائباً عمالياً وعضواً برلمانياً منذ عام ١٩٢٢ وبذلك فانه كان مناوئاً سياسياً لــ (تشرشل). ومن المؤكد ان (جويت) شخصياً لم يترك مجالاً للشك في امر مساهمته بقضيتي (كنيت) و (ووكووف). ويتضح مما ورد في كتابه (بعضهم كانوا جواسيساً) Some Were Spies، الذي يعتبر اول سرد مفصل ظهر بعد الحرب ليتنــاول مفردات الاحداث التي دارت في (محكمة الجنايات المركـزية) The OLd Bailey في شهــر تشرين الثاني من عام ١٩٤٠، ان (جويت) هذا لم يكن لديه اي تحفظ حيال هذه القضية بالمرة. ويحتوي كتابه، في الواقع، على ما كان لديه من انطباعـات حول احـدى عشرة محاكمة مهمة اخرى. ولقـد كان من السهـل ان يقوم المـؤلف بحذف الفصلين الذين يتحدثان عن (كينت) و (ووكوف) ولكن (جويت) لم يختر هذا الطريق. فلو كانت هنالك مؤامرة بين (تشرشل) و (روزفيلت) لبدا وجود (جويت) كشريك امراً بعيد الاحتمال.

ويبدو ضمن اطار الادلة ان اساس الادعاء ضد الرئيس الامريكي ورئيس الوزراء البريطاني قد استند على حجتين واهيتين تفيد احداهما بان (داسكو پوپوف) كان قد نبه الادارة الامريكية الى الغارة الجوية على ميناء (بيرل هاربر) بينما تفيد الاخرى بان سجن (تايلر كينت) كان امراً اقتضته الملاءمة السياسية. ويُظهر التحليل العلمي دحض هاتين الحجتين.

الهوامش

١ . ـ السيرجون ماسترمان: جهاز الخداع في حرب (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) ـ صفحة (٨٠).

٢ ـ (المصدر نفسه ـ نفس الصفحة

٣ ـ داسكو بوبوف: الجاسوس والجاسوس المقابل ـ صفحة (١١٦).

٤ ـ ماسترمان (المصدر نفسه) ـ صفحة (٧٩).

٥ ـ داسكو بوبوف ـ (المصدر نفسه) ـ صفحة (١٢٢).

٦ ـ داسكو بوبوف ـ (المصدر نفسه) ـ صفحة (١٢٣).

٧ ـ داسكو بوبوف ـ (المصدر نفسه) ـ صفحة (١٢٤).

٨ ـ جون تولاند: الخزي ـ صفحة (٣٦٦).

٩ ـ (المصدر نفسه) الخزي ـ صفحة (١٥).

١٠ ـ (المصدر نفسه) الخزي ـ صفحة (٢٦٩).

١١ ـ العقيد البحري فيليب جونز: النشاط التجسسي المزدوج ـ صفحة (٦٠).

١٢ ـ داسكو بوبوف: (المصدر نفسه) ـ صفحة (١٣٢).

١٣ ـ دونالد وايتهيد: قصة مكتب التحريات الفدرالي ـ الصفحة (١٩٦).

١٤ ـ جون تولاند ـ (المصدر نفسه) ـ الصفحة (٢٧١ ـ الهامش).

١٥ ـ رسالة الى رئيس تحرير صحيفة (التايمز) اللندنية بتأريخ ١٩٨٢/٩/٥.

١٦ ـ جون تولاند ـ (المصدر نفسه) ـ الصفحة (١١٨).

١٧ ـ جون تولاند ـ (المصدر نفسه) ـ الصفحة (١١٩).

الفصل السادس

إبتهاج أم خيانة؟

Jubilee or Betrayal?

«ليس هناك على ما يبدو نهاية لتأليف الكتب عن (عملية جوبيلي) Operation Jubilee ـ الغارة التي قامت بها الفرقة الكندية الثانية على ميناء (دييب) Dieppe في شهر آب من عام ١٩٤٢. لقد تم نشر كتاب واحد عن الموضوع في هذا العام، ولدينا هنا كتابان آخران.»

غورنواي رييس Goronuy Rees في عرضه للكتابين: كتاب دييب. التاسع عشر من شهر آب Dieppe: August 19 th وكتاب دييب الآخر: العار والمجد Dieppe: The Shame and the Glory

كان (اللورد لويس مونتبـاتن) Lord Louis Moum Tbatten قد خـطط للقيام بغـارة صاعقة على الاراضي الفرنسية وقد حدد تنفيذها في اواخر شهر حزيران من عام ١٩٤٢. وكان الغرض من هذه الغارة تحقيق الاهداف التالية: انزال القوات وجمع المعلومات، وافزاع العدو وتحويل اتجاه الاهتمام من الجبهـة الروسية التي ضُيق الخنـاق عليها والانسحاب بعد ذلك. وبسبب رداءة الطقس تم تأجيل تنفيذ هذه العملية التي كان اسمها الجفـري في بدايـة الامر (عمليـة راتر) Operation RUTTER. وبعـد ان ألغيت كليـاً في ٧/٧/١٩٤٢ تقرر القيام بتنفيذها في الثامن عشر من آب من نفس العام بعد ان اعطيت اسماً جفرياً آخر هو (عملية جوبلي). اما بالنسبة لنا فقد عرفت باسم (الغارة على دييپ) وكانت كارثة. فهل كان الالمان على علم مسبق بامرها؟

في وقت متأخر من ليلة ١٨/٨/١٩٤٢ انسلت قوة عمادهـا (٢٣٧) سفينة من مرساها في الـ (سولينت)* Solent وابحرت في طريقها الى الساحل الفـرنسي الذي يبعد مسافة سبعة وستين ميلاً. وهكذا بدأت عملية (جوبلي) التي كانت، بموجب ما أعلن عنها، اما «غارة صاعقة» او، كما وصفها (تشرشل) في وقت لاحق، «استطلاع بالقوة.» وكان ميناء (دييپ) هو الهدف المتوخىٰ من المخطط الذي نشر الحلفاء اكثر من (٦٠٠٠) رجل في سبيل تنفيذه. وفي منتصف نهار التاسع عشر من آب كان القسم الأعظم من هذه القوة قد هلك على السواحل بعد أن بلغ عدد خسائرها بـالأرواح (٣٦٢٣) رجلاً. وقـد تكبدت المجموعة الكندية في هذه القوة النسبة الأكبر من الخسائر البشرية لا سيما وان افرادها كانوا يشكلون ثلاثة اخماس القوات التي اشتركت في هذا الانزال البرمائي: فمن مجموع (٤٩٦٣) مقاتل كندي لم يعد الى انكلترا سوى (٢٢١٠) منهم. وقد شكلت خسارتهم (التي بلغت ٩٠٧ قتيلاً و ١٨٤٠ اسيراً) نسبة استنزاف بلغت ٦٨٪ من اصل القوة. كما فقدت هذه القوة كذلك كافة الدبابات التي حملتها معها عبر بحر المانش والتي بلغ عددها ستاً واربعين دبابة.

وخلال الاسابيع التي اعقبت هذه الملحمة في (دييپ) تم طرح العديد من التعليلات التي انصرفت الى تحديد الخطأ الذي ادىٰ الى حدوث الكارثة. وقد قال البعض بان الخطة كانت اكثر طموحاً مما ينبغي. وقد انصبت فكرة الخطة على قيام القوات المغيرة بهجوم جبهوي على سواحل مدينة (دييپ) وذلك بعد القضاء على المدفعية الساحلية الموضوعة

---

*طريق مائي يقع بين جزيرة (وايت) Thelsle of weight الرئيس لجنوب انكلترا ويتراوح عرض الطريق المائي هذا بين ٢ ـ ٥ اميال ـ المترجم

على خيشومي جبل يقعان في طرفين متقابلين من منطقة الهجوم الرئيسة. وما ان يتم اخلاء المدينة من العدو حتى يصار الى انشاء نطاق في ضواحيها والدفاع عنه في وقت كان من المقرر ان تقوم خلاله مجموعات مختصة بمهام استخبارية مختلفة وذلك في المباني التي يتم احتلالها. وبعد انتهاء مهمة هذه المجموعات يبدأ العمل على تقليص النطاق، الذي كان قد تقرر ان يكون بطول خمسة اميال، يبدأ بعد ذلك انسحاب منظم. ولغرض تحقيق المباغتة التامة تقرر ان يتم القيام بالصولة الابتدائية بدون اي اسناد جوي او بحري.

وسرعان ما انهارت هذه العملية لتصبح مجزرة: فقد ثبت استحالة إسكات مدفعية الموقعين الدفاعيين الرئيسين للقوات الالمانية، اما القوات والدبابات التي تم انزالها على الساحل فقد أُهلكت بوابل مميت من الرمي المقراضي. وبعد تقهقر من نجا من افراد هذه القوة الذين أنهكتهم المعركة وعودتهم الى انكلترا، سارع قائد العمليات المشتركة، (اللورد مونتباتن)، الى عقد مؤتمر دعى اليه كافة المعنيين. وقد عقدت الجلسة لمؤتمر تحديد اسباب فشل هذه الغارة في العشرين من شهر آب وقد اعطيت الفرصة لكافة المدعوين للتعبير عن رأيهم حول جوانب الخطأ في العملية. وقد اوحى احد الضباط الكنديين بان الالمان «كان لهم علم مسبق بامر العملية...... ولكن (مونتباتن) قاطعه بانذار جاف ليعلمه بعدم استعداده للاستماع الى طرح بهذا الشأن لاقتناعه بعدم وجود اي ثغرة في الجوانب الامنية للعملية»[1] ومع ذلك فقد استمر التأمل في هذا الجانب من الموضوع.

لقد تم تحديد موعد «نقطة اللاعودة» للمغيرين في الساعة (٣٠٠) من صباح التاسع عشر من آب. وقد وصلت القوة هذه النقطة، التي تبعد مسافة عشرة اميال عن الهدف، في الوقت المحدد لتستأنف بعد ذلك عبورها بحر المانش. ولكن في الساعة (١٣٠) من صباح نفس اليوم كانت محطتا الرادار البريطانيتان في (نيوهافن) Newhaven و (بيتشي هيد) Beatchy Head قد ابلغتا خبر اكتشافهما قوة صغيرة من سفن العدو وهي تتقارب من اسطول (جوبلي). وقد تم بث تحذيرين الى سفينة القيادة (كايبل) HMS Caple إلا انها لم تستلم اياً منهما. وبعد مرور سبع وأربعين دقيقة على وصول القوة الحليفة الى نقطة اللا عودة، وجدت ثمان سفن المانية نفسها فجأة في طريق ما تصورته اسطول غزو معادي. وكانت خمس منها سفن ساحلية سرعان ما ولت ادبارها لتنشد السلامة في ظل السواحل. اما السفن الثلاث المرافقة، والتي كانت جميعها زوارق حربية سريعة، فقد شاغلت الاسطول الحليف ثم انسحبت بعد ان اصيبت باضرار بليغة جداً.

ولم يكن البريطانيون على علم بامر اخفاق الضابط الالماني الاقدم، الملازم الأول البحري (فارمباخ) First Lieutenant Wurmbach المسؤول عن قيادة القافلة الالمانية آنفة الذكر، في انذار الدفاعات الساحلية بسبب اصابة هوائي جهازه اللاسلكي في الدقائق الاولى من المشاغلة مع الاسطول الحليف.[٢] ومع ذلك فقد تم اطلاق قذائف التنوير مما دفع قوة (جوبلي) الى الاعتقاد بانها قد فقدت عنصر المباغتة، كما افترض افراد القوة الذين شاهدوا قذائف التنوير والقوارب البحرية الالمانية بان القوات الموجودة على الساحل كانت قد ادركت امر القوة المغيرة ولم يتأكد المهاجمون من امر اخفاق الملازم الاول (فارمباخ) في ايصال تحذيراته الى الجهات الالمانية إلا في وقت متأخر من اليوم ذاته وبعد ان تمكن مغاويرهم من اكتساح موضع الماني حصين في (فارينجفيل) Varengeville التي تقع بحدود اربعة اميال الى الغرب من ميناء (دييب)

وقد استولى المهاجمون على وثائق عديدة اثناء القتال بما فيها سجل لتدوين نصوص الأوامر الواردة والذي فيه مدخل مؤرخ في العاشر من شهر آب وفيه امر صادر من اللواء (كونراد هاس) Major — General Conrad Hasse آمر الفوجين التابعين لكتيبة المشاة (٥٧١) المكلفة بحراسة (دييب). وقد نص الجزء الاول من الاوامر على ما يلي: «توضح المعلومات التي في متناول ايدينا بان الامريكيين والبريطانيين سيجدون انفسهم مرغمين، بسبب مأزق الروس الفاجع، للقيام بعملية ما في الغرب في المستقبل القريب.»[٣] وبذلك كان الالمان في حالة استعداد عام قبل اسبوع من تاريخ تنفيذ عملية (جوبلي)، وقد اوعز الى أعداد المدافع الذين تنتهي خفارتهم بوجوب النوم بكامل ملابسهم. وقد اكتشف المغاوير المهاجمون بان بعض الجنود الالمان كانوا قد اهملوا الالتزام بهذا الايعاز اذ انهم لم يكونوا بلباس الميدان عندما داهمهم المهاجمون في الاماكن المخصصة لسكنهم. وقد كشف السجل كذلك بان اللواء (هاس) لم يكن قد رفع إنذار الغزو إلا في الساعة (٥٠٠) اي بعد مضي اكثر من ساعة على تماس (فارمباخ) الاول مع المغيرين. وقد اوحت مواد النصوص المدرجة في السجل المذكور بان الالمان لم يتوقعوا حدوث شئ في تلك الليلة بالذات بالرغم من انهم كانوا يقضين بصورة عامة إزاء احتمال حدوث شئ ما في منطقتهم «في المستقبل القريب.» وبذلك لم يكن لديهم اية تفاصيل مسبقة عن الغارة. فما هو اذاً مصدر هذه الفكرة؟ وكيف اكتسبت اعتباراً؟

لم يكن الضابط الكندي الذي اثار الموضوع مع (اللورد مونتباتن) وحيداً في ظنه بانه كان قد قاد رجاله الى مصيدة. فقد اظهر مسح سري قامت به سلطات الرقابة

البريدية خلال الاسابيع التي تلت عملية (جوبلي) بان نسبة ٥٪ من مجموع من نجا من افراد القوة الكندية قد عزوا الخسارة التي تكبدوها الى الخيانة. وقد اتضح ذلك من خلال رسائلهم التي بعثوا بها الى اهلهم وذويهم. ولكن الكاتب (تيرنس روبرتسون Terence Robertson يقول: «ليس هناك ما من شأنه تأييد الشعور بالخيانة الذي اشتركت به هذه القلة من الناس»[٤]

وقد أثير هذا الخلاف بعد الحرب اثر ما نقله الاسرى العائدون بان الالمان كانوا يتفاخرون بعلمهم المسبق بامر الغارة. وبهذا الصدد يذكر العقيد (روبرت لابات) Robert Labat ما اخبره به احد ضباط الاستخبارات الالمان اثناء التحقيق بانه (اي الضابط الالماني) كان ينتظر في مقره في (باريس) تنفيذ عملية (جوبلي) بفارغ الصبر. فهل كانت هذه هي الحقيقة ام انها مجرد محاولة لاضعاف معنويات اسير حرب؟

لقد كانت فكرة حصول الالمان على تنبيه مسبق عن الغارة، إذاً، موضع اهتمام خلال الاشهر التي تلت القيام بعملية (جوبلي). وقد اكتسب الشك الذي يشير الى ان جاسوساً في موضع مرموق قد تمكن من اختراق الطوق الامني المحكم للعملية مزيداً من الاعتبار بعد الحرب من خلال اعمال ثلاثة كتاب هم: (ستانلي لوفيل) Stanley Lovell و (غونتر بيس) Gunter Peis و (ليونارد موزلي) Leonard Mosley. لقد اوحى هؤلاء الكتاب الثلاثة ان عميلاً معادياً كان قد تمكن من تنبيه الألمان. فهل كان الكتاب هؤلاء على حق؟ وما هي مصادرهم؟

في شهر كانون الثاني من عام ١٩٤١ تحولت السيطرة على المعلومات التي كان يستخدمها عدد متزايد من العملاء المزدوجين من الخدمات السرية الى (لجنة العشرين). وكان القسم الاكبر من هؤلاء العملاء المزدوجين جواسيس حقيقيين للاستخبارات العسكرية الالمانية (الآبفير) الذين اما كانوا قد غيروا ولائهم او قد اخضعوا الى عملية «تغيُّر». وتحت اشراف ضابط أمن بريطاني منصف، كان كل من هؤلاء الجواسيس يقوم بتزويد مسؤوله الالماني في (الآبفير) بما كان يتم اعداده خصيصاً من معلومات خاطئة ومضرة مضاف اليها كمية مقنعة من المعلومات الصحيحة. وكانت مسألة ادامة التوازن بين الكميتين صعبةً للغاية، ان لم نقل محفوفةً بالمخاطر. وكان الضباط البريطانيون المسؤولون عن هذا النشاط يجاهدون في سبيل الحصول على معلومات توحي بالثقة من اجل الحفاظ على اهتمام العدو. وقد تم في عام ١٩٦٢ الافصاح بصراحة عما كان مجرد شك يتعلق بمعالجة (لجنة العشرين) لعملية (جوبلي).

ففي العام ذاته نشر (ستانلي لوفيل)، احد المدراء السابقين لشعبة (البحوث والتطوير) في (دائرة الخدمات الاستراتيجية) OSS مذكراته اثناء فترة الحرب في كتاب بعنوان «ما يتعلق بالجواسيس والخدع السوقية» OB Spies And Stratagems. وقد روى في مذكراته هذه عدداً من القصص حول «ما شاهده وسمعه وقام به» اثناء خدمته في الدائرة المذكورة. وقد انصرف في الفصل الخامس عشر من كتابه الى معالجة الغارة على (دييپ) موحياً بان خدمات المخابرات السرية البريطانية كانت قد اعلمت الالمان بامر هذه الغارة عن طريق الصدفة. وقد حدث ذلك، على ما يبدو، عندما تم تأجيل تنفيذ الغارة على نحو غير متوقع. فبدلاً من بث المعلومات الى الالمان في وقت متأخر لا يسعهم من خلاله اتخاذ ما ينبغي من اجراءات، فان الخدمات السرية سمحت لاحد العملاء المزدوجين ببث رسالة الى (الآبفير) قبل اكثر من أربع وعشرين ساعة من نزول القوات المغيرة الى السواحل الفرنسية. ويقول (لوفيل) بهذا الصدد:

«انطلق اسطول المغيرين الصغير من الساحل البريطاني في الوقت المحدد له وسط الضباب. وكانت الخدمات السرية البريطانية على علم بالامر. وبعد وقت انتظار كان قد حدد مسبقاً، أُعطي الجاسوس الالماني المكلف بتشغيل جهاز اللاسلكي رسالة طلب منه بثها الى برلين. وقد نصت الرسالة على ما يلي: تم اعداد غارة صاعقة عظيمة هدفها ميناء (دييپ). تعتبر اكبر عملية منذ الجلاء عن(دانكرك). سيتم توجهها الى (دييپ) في فجر يوم الثلاثاء.» ويوحي (لوفيل) بان العميل المزدوج الالماني كان قد استخدم بطريقة مماثلة اثناء الغارة على مدينة (سان نزاير) St Nazaire قبل ثلاثة اشهر. وكان هذا الجاسوس قد قام بارسال «معلومات صحيحة في وقت متأخر» وذلك بعد ان كان نجاح العملية قد تأكد. وكان على الجاسوس نفسه القيام باجراء مماثل في هذه المناسبة ايضاً كان من المفروض القيام ببث الرسالة في وقت متأخر من مساء الاثنين مما يشكل نصاً استخبارياً آخراً يتصف بصحة فحواه وتأخر بثه»[٤]

وقد تعلق الخلل في هذا التخطيط بالاخفاق المزعوم من جانب (مونتباتن) «في الوصول والابحار ليلة الاحد». وقد ادى ذلك الى تأخير تنفيذ العملية باربع وعشرين ساعة، كما ان الحظر الذي فرض على استخدام اجهزة اللاسلكي قد حال دون القيام باعلام الخدمات السرية بامر هذا التأخير. «وبذلك لم يكن لمقر الخدمات السرية البريطانية في (برودواي) اي سبيل لاستلام خبر التأخير الحاصل، وذلك خلال يومي الاحد والاثنين. الامر الذي كان من الطبيعي قيامها باتخاذ ما يلزم بموجب الجدول

الزمني الذي كان لديها. وهكذا تم بث الرسالة اللاسلكية في وقت متأخر من ليلة الاثنين الى برلين.» وينهي (لوفيل) سرده بالقول: «لقد تسببت اللعبة الخطرة، التي اقتضت الابقاء على حلقة تجسسية في (لندن) تقوم بتزويد الالمان بخدمات إخبارية، فتل ما يقرب من ألفين من المغاوير البواسل نتيجة سوء الطالع وتأخر موعد التنفيذ»[٦]

من البديهي ان هذا السرد الرائع قد وقع في خطأ من جانبين: لم يصحب (اللورد مونتباتن) المغيرين في صولتهم هذه (ولم تكن لديه اية نية للقيام بذلك ابداً). كما ان الغارة قد تمت يوم الاربعاء المصادف ١٩/٨/١٩٤٢. ومع ذلك لا يتعلق اي من هذين الامرين بما يسعى الأدعاء الحاسم هذا الى اثباته والذي، ان صح، كان قد نبه الالمان الى امر هذه الغارة قبل وقوعها باكثر من ست وثلاثين ساعة.

ويوازن هذين الخطأين امران يوحيان بان (لوفيل) كان على اطلاع بخفايا الامور بدرجة اوسع مما تعكسه القراءة الاولى لما كتبه بهذا الخصوص: اولاً كان (لوفيل) في وضع مكنه من ممارسة سلطة واسعة النطاق وذلك بصفته مديراً لوحدة (الابحاث والتطوير) في (دائرة الخدمات الاستراتيجية، كما كان في ذات الوقت على اطلاع عميق بأمر الكثير من الخطوات الفنية الهامة بصفته ابرز العلماء العاملين في (الدائرة) المذكورة. وبذلك كان من المحتمل جداً ان يكون له سبيل الوصول الى المعلومات السرية الخاصة بعملية (جوبلي)، لا سيما اذا ما اخذنا بعين الاعتبار بان قوات امريكية كانت هي الاخرى قد اشتركت في هذه العملية. اما ثاني الامرين فيتعلق بأشارته الى حلقة من العملاء المزدوجين في (لندن) كانت الخدمات السرية البريطانية تقوم بادارتها والسيطرة عليها. وقد بقي واقع قيام منظومتي الخدمات السرية والخدمات الامنية البريطانيتين سراً مغلقاً لتسع سنوات اخرى، اي حتىٰ عام ١٩٧١ عندما نشر (فاراجو) كتابه (لعبة الثعالب) وعندما نُشر (ماسترمان) كتابه (جهاز الخداع) في العام التالي. فاذا ما كان (لوفيل) على علم بامر وجود العملاء المزدوجين، يصبح من الممكن تصور معرفته بامر المعلومات التي كان هؤلاء العملاء يقومون ببثها الى الالمان في وقت تنفيذ عملية (دييپ).

وقد فرد (ماسترمان) غارة (دييپ) كمثال لعملية وضعت موضع التنفيذ دون ان يؤمن لها خطة تغطية او اساليب الغش من قبل عملاء الخدمات الامنية المزدوجين. وبهذا الصدد يقول (ماسترمان) بصيغة جازمة: «انه لمن المحزن حقاً، وان يكن مثيراً للاهتمام، ان ينصرف الفرد الى التأمل في ما اذا كان هناك احتمال في ان تحظىٰ غارة (دييپ) بنصيب اوفر من النجاح، او على الاقل بكلفة اقل، لو توفر لها غطاء على نحو فاعل.»[٧] ولا

يمكن صرف النظر عن رأي (ماسترمان) هذا في هذه المناسبة لانه كـان رئيس (لجنة العشرين) وبذلك فانه كان مسؤولاً عن تنسيق ما كان يرسل من معلومـات لاستهلاك العدو.

وفي عام ١٩٧٧ ادعى الكاتب الالماني (غونثرپيس) في كتابه «مرآة الخداع» The MirrorofDeception بانه قد اكتشف ادلة جديدة «اثبتت، على ما يبدو، بان الالمان كانوا قد نبهوا بامر الغارة من قبل البريطانيين انفسهم. وبقدر تعلق الامر بالغارة على (دييپ) فان هذا قد يعني بان (تشرشل) كان قد قام متعمداً، لا مستخفاً، بتسليم خمسة آلاف رجل، معظمهم من الكنديين، الى الحراب الالمانية التي كانت بانتظارهم»[٨]

وكان (پيس)، اثناء بحثه، قد اقتفى اثـر «عملاء مـزدوجين، ووسـطاء ومشغلي الاجهزة اللاسلكية ومسؤولين من الجانب الالماني مصادر لندن «السرية ممن استطاعوا تأييد هذا التنبيه المسبق والمهلك عن الغارة على (دييپ)»[٩] كما ايد على ما يبدو العديد ممن تمت مقابلتهم بان «عميلاً موثوقاً به ثقة عالية، كان يسكن في جنوب انكلترا، قد اخبر الاستخبارات العسكرية الالمانية في ١٩٤٢/٨/١٣ بامر انزال وشيـك في دييپ.» وقد استشهد مباشرة بما قاله اثنان من مسؤولي الاستخبارات العسكرية الألمانية:

«في منتصف شهر آب من عام ١٩٤٢ اخبرني المسؤول الاول السابق في مركز الاستخبارات العسكرية الالمانية (الآبفير) في مدينة (هامبورغ) بان عميلاً في انكلترا قد اخبرنا لاسلكياً عن الاستعدادات الخاصة بانزال في منطقة (فيكامب) Fecamp التي تقع على مسافة خمسين كيلو متراً فقط الى الغرب من ميناء دييپ)». وقد تعزز هذا الاستذكار من قبل الملازم الاول الالماني (ڤين) Wein الذي «تذكر بان تنبيهاً مسبقاً اضافياً كان قد وصـل الى الجهـات الالمـانيـة من خـلال اتصـال لاسلكي آخـر تم بـيْن انكلتـرا و (هامبورغ ـ فوهلدورف): في عام ١٩٤٢ نبهنا العميل ٣٧٢٥ كذلك بخصوص عملية انزال كانت ستتم قرب ميناء (دييپ)[١٠]»

وتكتسب الاشارة الى العميل ٣٧٢٥ اهمية خاصة لان العميل الالماني المعروف لدى الاستخبارات العسكرية الالمانية بهذا الرقم كان معروفاً ايضاً لدى الخدمات الامنية البريطانية باسمه الجفري (تيت) TATE. فلو كان (تيت) قد قام حقاً بتحذير مسوؤليه في (هامبورغ) فما كان بامكانه أن يفعل ذلك إلا بمـوافقة ومسـاعدة الخـدمات الأمنيـة البريطانية (MI5) ويحدد (پيس) كذلك ثلاث تحذيرات اخرى محتملة:

«لقد ايد مسؤول العملاء السابق في مركز (لشبونة) (الهرڤون كارناب) Herr Von Carnap بان (اوسترو) Ostro كان قد اخبره، من خلال احدى اللقاءات في (لشبونة)، بامر

الانزال الوشيك قرب ميناء دييپ.

اخبرني الرئيس السابق لقسم مقاومة الجاسوسية في الاستخبارات العسكرية الالمانية، المقدم (هانز فروند) Oberst Levtnant Hans Freund بأن (الابفير) كانت قد استلمت تحذيراً آخر يتعلق بـ (دييپ) وذلك من عميل (كرواتي) الأصل في اسطنبول.

اما آخر واوضح تحذير مسبق عن الانزال في دييپ في المستقبل القريب، فقد جاء من اسطنبول حيث تواجد العميل E 800 الذي كان البريطانيون يستخدمونه كعميل مزدوج.

وهكذا، اذاً، تكون الاستخبارات العسكرية الالمانية بموجب ما يرويه پيس قد استلمت تحذيرات من (تيت) و (أوسترو) والعميل (الكرواتي) والعميل E 800، اي من ما لم يقل عن اربعة عملاء كان اثنان منهم يعملان بأمرة البريطانيين. وقد ادى ذلك الى قيام (بيس) بابداء الملاحظة التالية: «كانت غارة (دييپ)، كما يبدو الامر الآن، عملية الغش المثلى!».

ولربما حفز بحث (بيس) كاتباً آخر، هو (ليونارد موزلي) Leonard Mosley، الى التطرق الى «الجاسوس الذي خدع جهاز الخداع». وذلك من خلاله كتابه «الدرويد»* The Druid وقد قال ناشر الكتاب هذا عن مؤلفه (موزلي) بانه:

«توصل الى اكتشاف دليل اشار الى ان رجلاً سمي بـ (الدرويد) كان قد تمكن من الأفلات من الشبكة الانكليزية. وقد تمكن (موزلي) من خلال تتبعه الاشاعات التي كان يسمعها منذ عام ١٩٤٢ ومن خلال تمحيصه عدداً من الاضابير القديمة وملاحقة بعض المصادر في بريطانيا والمانيا وغيرهما من الاقطار، من التوصل الى رسم هذه الصورة المدهشة.»

وقد كتب (موزلي) نفسه في كتابه قائلاً بان الغارة الحليفة على (دييپ) لم تكن غامضة. ويضيف بهذا الصدد بقوله: «كان واضحاً منذ البداية بان القوات المسلحة الالمانية (الڤير ماخت) كانت على علم بقدوم الحلفاء وقد اتخذت كافة الاجراءات الضرورية بهذا الخصوص. وبذلك يعتبر امر الاخبار عنها النجاح الاول الذي حققه (الدرويد)».(١١)

* الدرويد = احد اعضاء نظام كهنوتي شاع قبل الميلاد بين قدماء السلتيين (او الكلتيين) من الذين اقاموا في بلاد الغال (اي المنطقة القديمة من اوربا التي شملت ما لغرقة في يومنا هذا بشمال ايطاليا وفرنسا و بلجيكا وجنوب هولندا) و في بريطانيا و ايرلندا ـ المترجم

واوحى (موزلي) بان (الدرويد) كان الاسم المجفر للجاسوس الالماني الذي كان قد وصل الى انكلترا في ليلة ١٠/٥/١٩٤١ والذي اخذ يجوب القطر البريطاني بحرية تامة وبدون ان تكتشف السلطات البريطانية امره. ويقول (موزلي) كذلك بان (ديبپ) «كانت اغلى كوارث الحرب ثمناً وقد ساهم (الدرويد) في جعلها كـذلك»[١٢] وبفضل مساهمة (موزلي) في الموضوع اكتسبت اسطورة (ديبپ) المزيد من الاعتبار. وفي الوقت الذي يتفق فيه (لوفيل) و (بيس) على ان التحذير من عملية (جوبلي) كان اجراءاً بريطانياً حدث نتيجة اخفاق في الاتصالات، ولم ينطو على سوء نية بالمرة، يوحي (موزلي) بوجود جاسوس لم يعرف بالمرة فهل كان ذلك محتملاً؟ وهل كان لـ (الدرويد) وجودٌ حق؟ .

يوحي (موزلي) بان (الدرويد) قد هبط بالباراشوت الى مقاطعة (ويلز) في نفس ليلة ١٠/٥/١٩٤١ التي هبط فيها الى القطر البريطاني عميل الماني آخر هو (كاريل ريختر) Karel Richter. وما ان حط (الدرويد) على الارض البريطانية حتى سارع الى الاتصال بشخص يدعى (آرثر أوينز) Arthur Owens الذي كان يسكن في منطقة (سوانسي) Swansea. ولكن هبوط (ريختر) الى انكلترا قد تم في الواقع بتأريخ ١٤/٥/١٩٤١ وكان (آرثر اوينز) في ذلك الوقت سجيناً في سجن (دار تمور) الذي كان قد دخله منذ شهر آذار من عام ١٩٤١.

ولعل هذا التباين في التأريخ ومحل الاقامة لا يشكل بحد ذاته برهاناً كافياً للتشكيك في حقيقة (الدرويد) الذي جاء به (موزلي). ولعله من الاجدر ان نقوم بتمحيص بعض افكار (موزلي) بشيءٍ من التفصيل.

يوحي (موزلي) بانه قد احاط اللثام عن وجود عدد من الجواسيس السوفيت في الاستخبارات البريطانية وذلك من خلال محاولته معرفة المزيد من المعلومات عن (الدرويد). وبهذا الصدد يقول هذا الكاتب: «سوف تكتشف الادلة التي تشير الى هويات البعض من هؤلاء الاشخاص في السرد الذي يلي.»[١٣] وبالرغم من اعتراف (موزلي) بانه قد «خلق بعض الاحداث من جديد بينما عمد في الحين ذاته الى اعادة بناء وترتيب احداث اخرى»، فانه يؤكد بان «كافة الاسماء الجفرية (سواء كانت نازية ام تلك التي تعود للخدمات السرية البريطانية) المستخدمة في هذا السرد هي نفس تلك التي عرف بها العملاء المعنيون اثناء الحرب العالمية الثانية. وكذلك الامر بالنسبة لكافة اسماء الاشخاص باستثناء اربعة منهم عمدت الى اخفاء هوياتهم لاسباب شخصية.»[١٤]

ويشرح (موزلي) قائلاً:

«في ليلة العاشر من شهر ايار من عام ١٩٤١ هبط بالمظلة الى الاراضي المستنقعة المنبسطة في مقاطعة (لنكونشاير) الواقعة في شرق انكلترا أول جاسوس وهو النقيب (هاينز رختر) احد المحنكين من رجال الاستخبارات الالمانية القدامى. وما ان هبط هذا النقيب حتى القت القبض عليه مجموعة من رجال الامن البريطانيين وقد كان بحوزته (٤٠٠٠) باوناً استرلينياً وبعض المفرقعات اضافة الى كمية من الحبر السري المجفف»(١٥)

ولكن الحقائق، التي يمكن لعامة الناس الاطلاع عليها من خلال الوثائق الموجودة لدى مكتب وزير العدل ودائرة الوثائق العامة في لندن، هي كالآتي:

لم يكن (رختر) أول جاسوس. وكان قد تم قبل تأريخ ١٤/٥/١٩٤١ (الموعد الحقيقي لوصوله الى انكلترا) إلقاء القبض على ما لم يقل عن تسعة عملاء ألمان حوكم ثلاثة منهم واعدموا بعد ثبوت ادنتهم بالاضافة الى ذلك لم يكن لـ (كاريل رتشارد رختر) رتبة عسكرية كما لم يكن من المحنكين من رجال الاستخبارات الالمانية القدامى، بل كان في الحقيقة مهندس بحري سبق له العمل على ظهر الباخرة (إس إس هانزا) التابعة لشركة (هامبورغ - امريكا) وكان قد هرب من وطنه الام (تشيكوسلوفاكيا) الى السويد في شهر تشرين الثاني من عام ١٩٣٩. وفي تموز من عام ١٩٤٠ تم طرده من السويد واعادته الى المانيا حيث جند للعمل لدى الاستخبارات العسكرية الالمانية في شهر تشرين الثاني من العام نفسه. وقد هبط هذا بالمظلة وسط حقل مجاور لـ (لندن كولني) London Colney في مقاطعة (هارتفورد شاير) Hertfordshire في صباح يوم الرابع عشر من ايار (مايس). وقد القي القبض عليه من قبل الشرطي (أليك سكوت) Alec Scott المنسوب لقيادة شرطة مقاطعة (هارتفوردشاير) وذلك بحدود الساعة الحادية عشرة من مساء اليوم التالي. وقد وجد في حوزته الف دولار امريكي وثلاثمائة باون استرليني.

ثم ينصرف (موزلي) ليشير الى الخدمات الامنية البريطانية الـ (MI5) على انها «الجناح الداخلي لخدمات الاستخبارات السرية»(١٦) بينما هي في الواقع المنظمة المسؤولة عن كافة القضايا الاستخبارية والامنية لا داخل المملكة المتحدة فحسب بل ضمن نطاق كافة الاقاليم البريطانية، فهي بذلك مستقلة عن الخدمات الاستخبارية السرية المعروفة بـ (MI 6). ومن خلال سرده لوقائع (غارة دييب) فان (موزلي) يصف (كيم فلبي) Kim Philby على انه «ضابط الارتباط بين الـ (MI5) والـ (MI6) الفرعين الرئيسين لخدمات الاستخبارات السرية»،(١٧) بينما لم يكن (كيم فلبي) قد انضم بعد الى الـ (MI6) في ذلك الوقت. ولم ينضم (فلبي) الى هذه المنظومة إلا في شهر ايلول من عام ١٩٤١ كما انه لم

يكن ابداً عضواً في الخدمات الامنية (MI5).

ويمضي (موزلي) لتحديد هوية احد عملاء الاستخبارات العسكرية الالمانية، المعروف لدى الالمان باسمه الجفري (ارابيل) ARABEL ولدى البريطانيين باسم جفري آخر هو (جاربو) GARBO، ليقول بان اسمه كان (لويس كالفو) Luis Calvo وقد عثرت على (لويس كالفو) هذا في مدينة (سانتاندار) Santander في اسبانيا حيث اجريت لقاءاً معه. وقد انكر عمله كعميل مزدوج للبريطانيين كما اعانني في تحديد هوية (جاربو). وقد تمكنت لاحقاً من اجراء حوار مع (جاربو) واستلمت روايته للاحداث. وقد ثبت لي دون ادنىٰ شك بانهما شخصان مختلفان.

واخيراً يعيد (موزلي) بناء قصة اكتشاف هدف (جوبلي)، اي ميناء (دييپ)، من قبل (الدرويد) كما يقدم لقراءه صورة لـ (كيم فلبي) و (تومي هاريس) Tommy HARRIS، احد ضباط الخدمات الامنية الذي كان يعمل في القسم الاسباني فيها، اثناء حضورهما اجتماعاً لـ (لجنة العشرين) الشهيرة تراسه العقيد (روبرتسون) T.A. RObertson الذي اعتذر اثناء هذا الاجتماع عن الاخفاق في تزويد (عملية دييپ) بغطاء ساتر. وبالرغم من ان العقيد (روبرتسون) كان حقاً في ذلك الوقت رئيساً لقسم BI (a)، التابع للخدمات الامنية، وهو القسم المسؤول عن ادارة العملاء المزدوجين الالمان، فانه أنكر امر هذا الاجتماع عندما سألته شخصياً عن ذلك.

ثم تحدثت الى ضباط متقاعدين آخرين من منتسبي الـ (MI5) السابقين الذين كانوا مسؤولين عن اعمال وواجبات العملاء المزدوجين وعلاقتهم بالاستخبارات العسكرية الالمانية فوجدتهم جميعاً ساخطين على ما اوحاه (موزلي) وعبر عنه بالعبارة التالية: «.. وكما تبين لاحقاً كان هناك ما لا يقل عن اثنين، ولربما اربعة، من ضباط الخدمات الامنية البريطانية الذين عملوا ضمن حدود (جهاز الخداع) The Double Cross System، واستغلوا طاقات من عمل بامرتهم من عملاء الاستخبارات العسكرية الالمانية، ولكنهم كانوا في عين الوقت يعملون لصالح الاستخبارات السوفيتية»[١٨]

ولا غرابة فيما ولده هذا الادعاء من شعور بالغضب لدى من لا يزال على قيد الحياة من منتسبي قسم BI (a) السابقين الذين وصفوا كتاب (موزلي)، في رسالة جماعية ارسلوها الى صحيفة (الدايلي تيليغراف) اللندنية بتأريخ ٥/١/١٩٨٢، بانه «افتراء مستهجن»، كما هددوا باللجوء الى الاجراءات القانونية لمنع دار النشر المعنية، وهي (دار ميثوين للنشر)، من تصنيف كتاب (موزلي) هذا خارج نطاق قصص الخيال المحض. ومن

المؤسف ان تلجأ الخدمات الامنية الى الامتناع عن السماح لمن يريد الاطلاع على الادلة من خلال تمحيص ما لديها من اضابير قد فقدت اهميتها الامنية منذ زمن طويل. كما رفضت هذه المنظومة، في عين الوقت، الدخول في نزاع قضائي حتى عندما هدد الخطر سمعه ضباطها القدامى.

أما ما بقي من غموض بخصوص قصة (الدرويد) فيتعلق بالمصادر التي اعتمدها (موزلي) في كتابه هذا. ومما تجدر الاشارة اليه أن ضابط الخدمات السرية البريطانية السابق، الذي ورد ذكره في النص والذي قيل عنه في مقدمة الكتاب بانه قد قام باسداء العون الى الكاتب، هو (رودني دينيس) Rodney Dennys إلا انه ينكر قيامه بمناقشة هذا الامر مع (موزلي).

وفي مقابلة تمت من خلال برنامج لهيئة الاذاعة البريطانية بعنوان (نيوزنايت) Newsnight في ١٩٨٢/١/٥ حدد (موزلي) اسم (كيم فلبي) بصفته احد ضباط الخدمات السرية الذي كان قد اعانه في بحثه. إلا ان هذا يبدو غير محتمل اذا اخذنا بعين الاعتبار ما وقع الكاتب فيه من اخطاء بصدد (كيم فلبي) في كتاب (الدرويد). كما لا يعتبر (فلبي) من بين افضل من يمكن الوثوق بهم من الشهود. ويعكس كتاب (موزلي) اخطاء كثيرة من خلال اخضاعه لعملية تمحيص دقيقة الامر الذي لا يبرر اعتباره عملاً يخرج من نطاق كتب الخيال، لذا فاني اشك في وجود (الدرويد)، وهذا ما يراه ايضاً العقيد (روبرتسون) وكافة منتسبي قسم BI(a) السابقين ممن اتصلت بهم. وفي ضوء ما جاء اعلاه، فان قيام مثل هذا الشخص بتزويد الالمان بانذار مسبق عن الغارة على (دييپ) يبدو اقل احتمالاً من ذي قبل.

ولابد لنا ان نتساءل هنا عن الرأي بصدد الجواسيس والعملاء المزدوجين الآخرين؟ الم يحتمل قيامهم بالمساهمة في كارثة (دييپ)؟ تشير الوثائق الخاصة بالاستخبارات العسكرية الالمانية الى قيام العميل «A ٣٩٢٤» باخبار الجهات الالمانية باحتمال قيام غارة على قاطع (دييپ) في الرابع من شهر آب. وبالرغم من ان الهوية الحقيقية للعميل «A ٣٩٢٤» لا تزال غير مؤكدة، فهناك احتمال كبير بان هذا العميل هو (اوسترو) ـ عميل الاستخبارات العسكرية الالمانية الذي كان مقره في (لشبونة) والذي اتخذ من الاتجار بمفردات الانباء الاستخبارية عملاً مربحاً للغاية. لقد اعتقد ضابط الاستخبارات الالماني المسؤول عنه بانه كان يسيطر على شبكة واسعة من المخبرين في انكلترا. كان (اوسترو) في الحقيقة هو (پول فدرموش) Paul Fidrmuc التشيكي الجنسية الذي يعود اصله الى العناصر الالمانية التي تسكن منطقة (السوديت) Sudeten في

تشيكوسلوفاكيا. وقد دأب (فدرموش) هذا على صناعة الاخبار التي اعتمدت مصادرها على الاشاعات والحدس وما كان يتم استخلاصه من المجموعة المتواضعة من الكتب المنشورة قبل الحرب والتي كانت بحوزة هذا الرجل. ولم يتمكن (اوسترو) من تحديد (دييپ) كهدف محتمل فحسب (وبدون ان يكون له اي اطلاع على معلومات سرية) بل تمكن كذلك في وقت لاحق من التنبؤ بامر الهجوم الحليف على (نورماندي). ولقد ثبتت صحة تنبؤات (اوسترو) الى حد بعيد جداً بحيث حاولت الخدمات السرية البريطانية في وقت ما العثور عليه بهدف السيطرة عليه او التخلص منه عن طريق الاغتيال. إلا ان (فدرموش) تمكن من البقاء على قيد الحياة وقد توفي في البرتغال عام ١٩٥٨.

دعنا نعود لحظة الى واحد من اوائل الذين اوحوا بفكرة قيام الخدمات السرية البريطانية بتنبيه الألمان على نحو عرضي وهو (ستانلي لوفيل) المدير السابق لشعبة (البحوث والتطوير) في (دائرة الخدمات الستراتيجية) ومؤلف كتاب «ما يتعلق بالجواسيس والخدع السوقية». كما انه، كماسلفت سابقاً، كان على اطلاع واسع بكثير من المعلومات السرية الهامة.

فأن كان العميل «A ٣٩٢٤» قد اخبر الاستخبارات العسكرية الالمانية بامر الغارة على دييپ) فليس من المحتمل ان يكون هذا العميل هو (تيت) اذ اننا نعلم بان (تيت) كان هو الرقم A ٣٧٢٥. ولكن (لوفيل) قد ظن، على ما يبدو، باحتمال ان يكون (تيت) هو العميل الذي حذر الألمان اذ يقول عن العميل المزدوج ما يلي: «لقد وضع استسلام المانيا حداً لمنافع مشغل جهاز اللاسلكي الالماني ولكن ليس للوعد الذي قطعته بريطانيا على نفسها.»[١٠] وفي ضوء هذا التلميح يصبح المجال ضيقاً جداً اذ كان (تيت) الوحيد من بين العملاء المزدوجين الذي عمل في مجال البث اللاسلكي في عام ١٩٤٢ وقد استمر في مزاولة نشاطه هذا حتى شهر ايار من عام ١٩٤٥. لقد عمل (تيت) خلال الايام الاخيرة للحرب وهو في يومنا هذا يتمتع بامتنان (وحماية) الخدمات السرية البريطانية. ولكن (تيت)، الذي يسكن في الوقت الحاضر وحيداً في بيت متواضع شبه منفصل يبعد عن (لندن) مسافة يمكن قطعها بالسيارة بحدود ساعة من الزمن، يشعر بقلق شديد إزاء التهمة الموجهة ضده من قبل (لوفيل) ولكنه متردد في الدخول في نقاش علني بصدد الموضوع، وهذا أمر لا يصعب فهمه. إلا انه يؤكد بصورة قطعية بان مثل هذه الاشارة اللاسلكية لم ترسل قطعاً من خلال جهازه اللاسلكي. ويؤيد استذكاره لتفاصيل هذا الموضوع، شخص يدعى (راسل لي) Russel Lee وهو احد الفنيين المختصين باجهزة اللاسلكي والذي

كان على علاقة متينة بـ (تيت) من خلال طبيعة عملهما. وقد انكر (لي) كذلك اي مساهمة لهما فيما يتعلق بعملية (جوبلي) وهو العالم بطبيعة مجريات الامور سيما وأن (تيت) لم يكن مخولاً بتنظيم رسائله اللاسلكية ابداً.

هل هناك احتمال بان التحذير الذي ارسل كان يتعلق بعملية (راتر) لا بعملية (جوبلي)؟ هل قرر احدهم الاستفادة من خطة كانت قد اهملت فقام على هذا الأساس بتزويد العدو بتفاصيل خطة (راتر)، من خلال أحد العملاء المزدوجين، ليتفاجأ بقرار العودة الى تنفيذ (جوبلي)؟ ولابد لنا في هذا المجال ان نتذكر بان اسم الخطة الرمزي الاصل كان (راتر) وهي التي كان قد تقرر تنفيذها في نهاية شهر حزيران من عام ١٩٤٢ والتي ما ان تقرر تأجيلها ومن ثم إلغائها في السابع من تموز حتى تقرر القيام بها مجدداً وذلك في الثامن عشر من آب بعد ان اعطيت اسماً رمزياً جديداً هو (جوبلي). كان الرجوع الى تنفيذ عملية سبق الغاؤها امراً غير اعتيادي لان ذلك كان عملاً غير مأمون بالمرة ومن الممكن ادراك ما يترتب على مثل هذا الامر من اخطار اذا ما اخذنا بعين االاعتبار السببين اللذين اديا الى إلغاء عملية (راتر) وهمـا «رداءة الطقس المستمرة والتعـرض الالماني الجوي على سفينتين كانتا محملتين بالقوات وعلى اهبة الاستعداد للابحـار من ميناء (يارمث رودز) Yarmouth Roads الى (دييب).»[٢٠]

ومن الواضح هنا ان فرصة الاستفادة كانت موجودة ولكن (تيت) و (راسل لي) ومسؤول (تيت) الامني قد انكروا جميعاً اي اشتراك لهم في الامر. وقـد يعلق النقاد بقولهم ان هذا الانكار يعتبر امراً طبيعياً، ولكن هذا لا يعني عدم وجود التأييد في مجال آخر. ويؤكد (ماسترمان) بدقة عدم وجود اي تحويل في ذلك الوقت لتمويه العدو من خلال خطة غش يتم ارسالها عبر بحر المانش. وكانت الخدمات الامنية البريطانية قد اقترحت استخدام (دراغون فلاي) DRAGONFLY وهو بريطاني من اصل الماني يـدعى (هانـز جورج) Hans George كان يعمل لدى الخدمات الامنية كعميل مزدوج منذ شهر كانون الثاني من عام ١٩٤١. وكان من المقترح ان يقوم (دراغون فلاي) بتوفير غطاء لنشاطات القوات البرمائية في (السولينت)) ولكن الفكرة رفضت كما يقول ماسترمان:

«في شهر آيار (مايس) كان (اللورد سونتون) Lord Swinton قد اقترح وجوب اجراء الحوار مع (اللورد مونتباتن) حول امكانية استخدام عملائنا بخصوص جزيرة (وايت). وقد اوحي أن بأمكان (دراغون فلاي)، في حالة نقله الى المنطقة، تزويد الالمان بمعلومات كافية تحول دون قيامهم بخلق مصـادر جديـدة للمعلومات هنـاك الامر الذي يـؤمن

لنشاطات قيادة العمليات المشتركة غطاءاً على نحو فاعل. ولم يكتب لهذه الخطة النجاح لاسباب كانت في ذلك الحين مألوفة جداً.....»[٢١]

ان النتيجة التي يمكن استخلاصها من هذا النكران هي عدم قيام اي من العملاء المزدوجين في بريطانيا ببث تحذير لاسلكي بتوقيت كان له اثر مفجع ولكن هل ارسلت معلومات من جهة اخرى؟ من اسطنبول ربما؟

لقد كانت الأجراءات الأمنية الخاصة بعملية (دييپ) مشددة الى درجة تقرر فيها استثناء الاستخبارات العسكرية والجوية والبحرية من الاطلاع عليها.

«يفترض ان يكمن التعليل لهذا الاستثناء في الاهتمام البالغ بالجانب الامني الذي اصبح له الاعتبار الاول بعد ان تم إلغاء عملية (رأتر). ولم يعلم بامر العودة الى تنفيذ العملية بعد تسميتها (جوبلي) سوى رئيس الوزراء ورؤوساء الاركان وهيئات الاركان المعنية بصورة مباشرة فقط.»[٢٢]

وفي الواقع كان امر (جوبلي) قد اخفي حتىٰ عن (مجلس امن القوات المسلحة المشترك) Inter — Sevvies؛ Security Board وهي المنظمة العسكرية المسؤولة عن حفظ الامن، والتي لم تعلم بالامر إلا بعد ان انجزت العملية!

وبذلك فأن تورط (الدرود) او (تيت) او (اوسترو) او (ماسترمان) او اي شخص في الخدمات الامنية البريطانية في مؤامرة (غارة دييپ) يبدو امراً غير محتمل جداً. فما الذي حدث، إذاً، بالضبط؟

في الثالث والعشرين من شهر حزيران من عام ١٩٤١ نجحت طائرة استطلاع تابعة للقوة الجوية الالمانية في تصوير تجمعات لسفن انزال وسفن حربية اخرى في الساحل الجنوبي لانكلترا لا سيما في مينائي (نيوهاڤن) Newhaven و (كاوس) Cowes.

وفي العشرين من تموز كانت (لجنة الاستخبارات المشتركة) Joint Intelligence Commiltee قد انجزت عرضاً شاملاً لمستوى التهيؤ الالماني على امتداد السواحل الفرنسية والبلجيكية. وقد توصلت اللجنة المذكورة الى الاستنتاج بان العدو لم يكن يتوقع بعد قيام الحلفاء بعمليات انزال كبيرة.

وقد اشتبهت الاستخبارات العسكرية الالمانية في الرابع من شهر آب باحتمال وقوع عمليات عسكرية معادية في قاطع (دييپ) ولكنها افتقرت الى تصور ما كان متوقعاً حدوثه والى تصور زمان ومكان وقوع هذه العمليات. وعلى الارجح فان هذا الشعور العام بالقلق إزاء العمليات العسكرية المستقبلية للعدو قد ساهم في توصل الجنرال (هاس) الى

القرار الذي اتخذه في العاشر من شهر آب والذي قضىٰ بضرورة قيام افراد قواته بالنوم بملابس الميدان. وتشير الوثائق الالمانية التي تم الاستيلاء عليها في (دييپ) اثناء الغارة الحليفة الى ان قوات حامية (دييپ) لم تكن قد وضعت في وضع التيقظ حتىٰ الساعة (٠٥٠٠) من صباح يوم الغارة ذاته وذلك بالرغم من ان الجنرال (هاس) كان قد اصدر امراً الى حاميته في العاشر من شهر آب قضىٰ بوجوب وضع نفسها في حالة تهيؤ فلو كانت الاستخبارات العسكرية الالمانية (الآبڤير) قد استلمت حقاً تحذيراً مسبقاً فانها بالتأكيد قد اخفقت في احاطة مقر الفيلد مارشال (ڤون رونشتد) Von Rundstedt علماً بامره ـ هذا ما تؤكده الدراسة التحليلية التي قام بهـا الاستاذ (كـامبل) Po fessor Campbell احـد اساتذة جـامعة (مـاكماسـتـر)* Mc Master University لوثائق القـوات المسلحة الالمـانية (الڤيرماخت).

ويوحي الانعدام التام لوجود اي برقية الى الفيلد مارشال (ڤون رونشتد) تتعلق بالتعرض الوشيك بان القوات المسلحة الالمانية (الڤيـرماخت) لم يكن لهـا علم مسبق بالامر. بالاضافة الى ذلك فان الوثائق تؤيد الفرضية التي تشير الى ان تحذيراً مسبقاً لم يرسل بالمرة، ولكن الا يحتمل تفسير ذلك على اساس كونه اهمال من قبل الاستخبارات العسكرية الالمانية في ذكر امر الهجوم الوشيك الى هيئة أركان الفيلد مـارشال (ڤـون رونشتد)؟ فلو كان مثل هذا التقصير قد حدث فعلاً لترتب عليه تحقيق واسع فيما بعد. ولكن لا اثر هناك لمثل هذا التحقيق.

إلا ان الامر الذي يبقىٰ واضحاً هو النجاح الذي احرزه نشاط تجفير النصوص الالماني في تحليل، بعض الجفر ذات الصنف الواطئ للقوة البحرية الملكية البريطانية الامر الذي مكن الجهات الالمانية المختصة من مراقبة التحشد الواضح للقطعات البحرية البريطانية في (السولينت). كما تمكن الالمان من الانتباه الى الصمت اللاسلكي المشدد الذي سبق ابتداء العملية والذي ادركوا من خلاله التغيير الذي طرأ على نظام المخابرة الاعتيادي. كما التقط الالمان نصوص الرسائل التي كانت تبث عن طريق هيئة الاذاعة البريطانية والتي تم بموجبها تحذير المدنيين الفرنسيين في المناطق الساحلية المحتلة من العمليات الحليفة المستقبلية. وبطبيعة الحال كانت هذه الرسائل ذات طابع عام كما انها لم تحدد مواعيد التعرضات المخطط لها ولكن فحواها كان كافياً لانـذار الالمان. ولكن بالرغم من هذه النتف الاستخبارية لم يكن لدى القوات المسلحة الالمـانية علم مسبق

* جامعة كندي تقد في مدينة (هاملتون) في مقاطعة (ارنتاريو) المترجم

محدد بالهدف الحقيقي. لقد فرض الالمان اجراءات الحيطة والحذر على امتداد الساحل الفرنسي المحاذي لبحر المانش دون ان يحظى ميناء (دييب) باهتمام خاص من خلال ذلك. وبهذا الصدد توصل كتاب «الاستخبارات البريطانية في الحرب العالمية الثانية» British In-telligence in The Secondworld War الذي كتبه الأستاذ (هنسلي) Professor Hinsley الى الاستنتاج التالي: «من خلال رد الفعل البطيء للقوة الجوية الالمانية يمكن الحكم بان الغارة قد حققت المباغتة من الناحيتين التعبوية والسوقية.»[٣٣]

تم في هذا الفصل تمحيص القصص المختلفة التي تحيط بالغارة المنكوبة التي شنت على ميناء (دييپ) في عام ١٩٤٢. وقد اعتقد كثير من الناس في وقت حدوث هذه الكارثة، التي كلفت الكثير من ارواح افراد القوات الحليفة، بان معلومات تخص العملية كانت قد تسربت ووجدت طريقها الى الجهات الالمانية، (وهكذا القي الشك على جدوى الاجراءات الامنية الخاصة بعملية (جوبلي) والتي ادعي بانها كانت محكمة. ومع ذلك فان الوثائق الخاصة بالاستخبارات العسكرية الالمانية،) والتفاصيل التي وجدت في السجل الذي احتفظت به الحامية الألمانية في (دييپ)، تؤيد جميعها وجهة النظر التي تنفي وجود اي خرق للسرية التي احاطت بالعملية

وبطبيعة الحال فقد توفر لدى الالمان الكثير من المعلومات الاستخبارية التي مكنتهم من تنبؤ قيام الحلفاء بانزال كبير على الساحل الفرنسي لبحر المانش. ان ما اعتمده الحلفاء من نظام مخابرة غير وافي بالاساس كان بحد ذاته كفيلاً بدفع الألمان الى اتخاذ اقصى اجراءات اليقظة والحذر، ولكن مقر قيادة (ڤون رونشتد) لم يكن على اهبة الاستعداد عندما فوجئ بحدوث الغارة. وبالرغم من ان عملاء (لجنة العشرين) المزدوجين يبدون، ظاهرياً على الاقل، اكباش فداء لفشل عملية (جوبلي) ليست هناك ادلة تؤيد اي ادعاء يشير الى الخيانة او عدم الكفاءة.

الهوامش

١ - تيرنس روبرتسون: دبيب - الصفحة (٤٠٢ - ٤٠٣).
٢ - جيمس ليسور: الساحل الاخضر - الصفحة (١٠١)
٣ - تيرنس روبرتسون: (المصدر نفسه) - الصفحة (٢٠٦).
٤ - تيرنس روبرتسون: (المصدر نفسه) - الصفحة (٣٨٧)
٥ - ستانلي لوفيل: ما يتعلق بالجواسيس والخدع السوقية - الصفحة (١٥٣).
٦ - (المصدر نفسه) - الصفحة (١٥٤).
٧ - السيرجون ماسترمان: جهاز الخداع في حرب (١٩٣٩ - ١٩٤٥) - الصفحة (١٠٨).
٨ - غونتربيس: مراة الخداع الصفحة (١٢٢).
٩ - المصدر نفسه - الصفحة (١٢٣).
١٠ - المصدر نفسه - الصفحة (١٢٤)
١١ - ليونارد موسلي: الدرويد - الصفحة (١١٦).
١٢ - (المصدر نفسه) - الصفحة (١٠٤).
١٣ - (المصدر نفسه) - الصفحة (١٦).
١٤ - (المصدر نفسه) - الصفحة (١٧)
١٥ - (المصدر نفسه) - الصفحة (٤٣)
١٦ - (المصدر نفسه) - الصفحة (٧٦).
١٧ - (المصدر نفسه) - الصفحة (١١٨).
١٨ - (المصدر نفسه) - الصفحة (٩٧)
١٩ - ستانلي لوفيل: (المصدر نفسه) - الصفحة (١٥٧).
٢٠ - اف. اتش. هنزلي: الاستخبارات البريطانية في الحرب العالمية الثانية - المجلد الاول - صفحة (٦٩٥)
٢١ - السيرجون ماسترمان: (المصدر نفسه) - الصفحة (١٠٨).
٢٢ - إف - إتش. هنزلي - (المصدر نفسه) - الصفحة (٦٩٧).
٢٣ - (المصدر نفسه) - الصفحة (٧٠٢).

الفصل السابع

شيشرون: خدعة سوقية

CICERO: A Stratagem of Deception

«اعتقدت اصلاً بـان (شيشرون) CICFRO كان بالتأكيد جاسوساً بريطانياً مـدسوسـاً. فمن خلال عملي الوجيز في جو التآمر والتجسس، مـع (القـوة A 1) ومع ضبـاط منـظومتي الخـدمـات الاستخبـاريـة السـريـة والخـدمـات الامنيـة البريطانيتين من وزن (مايكل ايونيـدس) Michael Ionides، لم اصدق ان بامكان البريطانيين الوصول الى درجة من عدم الكفاءة بحيث يفسحون المجال لشخص مثل (بازنا) Bazna ليقوم فعلاً بالتجسس علينا بنجاح. ولكن في ضوء الاحداث التي دارت في انكلترا فاني لست واثقاً من ذلك الآن.

دافيد ميور في كتابه أستاذ الخداع

David Mure

Master of Deception

في الثامن عشر من شهر تشرين الاول من عام ١٩٥٠ صرح وزير خارجية بريطانيا (ايرنست بيڤن) Ernest Bevin باعتراف جدير بالملاحظة وذلك بخصوص السلوك الوظيفي خلال فترة الحرب لـ (السير هيوناتشبل ـ هيجسين) Sir Hughe Knatchbull Hugessen سفير بريطانيا لدى تركيا للفترة من عام ١٩٤٠ وحتى عام ١٩٤٥. لقد تسبب اجراءاته الامنية الضعيفة في فقدان العديد من الوثائق الحساسة للغاية ووقوعها بيد الالمان.

ان قصة الجاسوس المعروف بـ (شيشرون) موثقة بشكل جيد. فعندما تم استخدامه بصفة خادم خاص من قبل (السيرهيو) فانه كان في الحين ذاته قد وظف من قبل الالمان بهدف قيامه بتصوير محتويات صندوق الرسائل الرسمية والخزانة الخاصين بالسفير. وقد شاعت تفاصيل هذا الامر في عام ١٩٥٠ من خلال ما اورده (لودڤيج موبجيش) Ludwig Moyzisch في كتابه «عملية شيشرون» Operation Cicero. فلقد ادعى الكاتب بانه كان ممثلاً للخدمات الأمنية الالمانية Sicher heitsdienst في أنقرة خلال فترة الحرب وبانه كان مسؤولاً عن نشاطات (شيشرون) بصفة الاخير هذا جاسوساً وذلك خلال الفترة من شهر تشرين الاول عام ١٩٤٣ حتى شهر آذار من عام ١٩٤٤. وقد تأيد سرد (موبچيش) من قبل سفير المانيا الاسبق لدى تركيا (فرانز ڤون پاپن) ولكن لم يكشف اي منهما عن الاسم الحقيقي لـ (شيشرون). بالاضافة لما كان لهذا الكتاب من وقع مثير فانه تسبب بما عاناه (السير هيو) من انزعاج وقلق بعد ان كان قد تقاعد عن عمله في السلك الدبلوماسي ليستقر في منزله الريفي الكائن في مقاطعة (كينت) Kent. ومن المؤكد ان دار النشر التي تولت نشر كتاب (موبجيش)، وهم السادة شركة (ألان وينغيت) Allan Wingate، كانت تشعر بقلق إزاء جدارة المؤلف بالثقة لانها قد اضافت ملاحظة غير اعتيادية:

«ان دقة تفاصيل عملية شيشرون التي يتم سردها هنا هي بقدر ما يمكن تأكيده في الوقت الحاضر. وبما انها قد كتبت من وجهة النظر الالمانية فهي بذلك تعكس الجانب الالماني من الصورة. ولربما ستنتشر اخيراً وثائق الحلفاء المتعلقة بالموضوع والتي سيحقق نشرها استكمال كافة جوانب القصة دون شك اما بقدر تعلق الامر بنا فاننا غير مترددين في نشر المخطوطة كما كتبت وذلك لما تنطوي عليه من اثارة ومتعة واهتمام تأريخي»

وقد اعقب ظهور رواية (مويجيش) فيلم سينمائي روائي بعنوان «الاصابع الخمسة» The Five Fingers الذي مثل فيه النجم البريطاني المعروف (جيمس ميسن)

James Mason الدور الرئيس بقى شيشرون مختفياً حتى عام ١٩٦٢ حين ظهر في مدينة (ميونخ) ليكتب، بالاشتراك مع مؤلف الماني كتاباً بعنوان «كنت شيشرون IWAS CICERO». وقد تبين بان شيشرون هذا كان البانياً وان اسمه الحقيقي هو (إليسا بازنـا) Elyesa Bazna. كما تبين بان الهدف الاساس من قيامه بالاعلان عن نفسه هو اجبار الحكومة الالمانية على منحه راتباً تقاعدياً. وكان (مويجيش) قد دفع الى (شيشرون) لقاء ما زوده به من معلومات بعملة بريطانية مزورة بلغت قيمتها الوجهية ٣٠٠ر٠٠٠ باوناً استرلينياً وقد ادى ذلك الى سجن (بازنا) في تركيا لفترة من الزمن بسبب قيامه بترويج عملة مزورة. وقد شعر (بازنا) بانه يستحق بعض التعويض إلا ان الحكومة الالمانية ردت كافة مطالبه.

ولربما كانت القصة ستبقى على وضعها، بصفتها سرداً حقيقياً لنشاط تجسسي اثناء الحرب، لولا نسفها نتيجة ما تكشف من معلومات جديدة، وقد جاءت المساهمة الاولى عام ١٩٦٣ من قبل (ألن دالاس) Allen Dulles الذي تسببت ملاحظته الوجيزة عن (شيشـرون) والتي وردت في كتابـه (حرفـة الاستخبارات) The Craft of Intelligence في التشكيك بقيمة المعلومات التي اعطاها (بازنا). ويقول (دالاس) بهذا الخصوص:

«على العكس من الانطباع العام السائد، لا يوجد دليل يؤيد بان النازيين كانوا قد كسبوا اية معلومات من (شيشرون) حول الغزو المبيت على اوربا اللهم إلا باستثناء اسم العملية الجفري (اوفيرلورد) OVerlord»[1] كما اشار (دالاس) كذلك الى حقيقة اوضحها (مـويجيش) ولكن اهملها (بـازنـا) وهي ان «في قضيـة (شيشـرون) خـامـر الشـك (ربنتروب)(*) RibbenTrop والمسؤولين في وزارة الخارجية الالمانية بوجود خدعة.»

وبعد ثلاثة اعوام، اي في عام ١٩٦٦، كشف (دالاس) النقاب عن دوره في قضية (شيشرون) وذلك من خلال كتاب آخر نشر بعنوان (الاستسلام السـري) The Secret Surrender واحتوى على سرد مفصل للاحداث التي ادت الى استسلام القوات النازية في ايطاليا في نيسان من عام ١٩٤٥. كان (دالاس) في الفترة الاخيرة من الحرب كبير ممثلي (دائرة الخدمات الستراتيجية) في سويسرا حيث بدأت اعماله في شهر تشرين الثاني من عام ١٩٤٢. وكان احد عملائه، وهو (فرتز كولبي) Fritz 2 Kolbe قد زوده بوثائق من وزارة الخارجية الالمانية احتوت على وصف لنشاطات (شيشرون).

بدأ (كولبي) ـ الذي اكتفى (دالاس) بالاشارة اليه باسمه الرمزي (جورج وود)

---

* روبنتروب : (١٨٩٧ ـ ١٩٤٦) ـ وزير خارجية المانيا النازية للفترة ١٩٣٨ ـ ١٩٤٥. اعدم بعد الحرب بصفته احد مجرمي الحرب وذلك اثر محاكمته في (نيورنبورغ) ـ المترجم.

GEORGE W00d) فقط ـ بتزويد (دالاس) بنسخ من البرقيات الالمانية في شهر آب من عام ١٩٤٣. وقد قام بتزويد المجموعة الثانية من البرقيات في السابع من تشرين الاول من العام نفسه. وقام (جورج وود) خلال فترة الستة عشر شهراً التي تلت بزيارة (دالاس) في بيرن في ثلاث مناسبات اضافية. وعند انتهاء الحرب كان قد زود (دالاس) بما مجموعه (١٦٠٠) وثيقة سرية. ويقول (دالاس) معلقاً:

«ومما له قيمة عملية مباشرة وثمينة للغاية، وذلك من بين ما قدمه (وود) من مساهمات، كانت هناك نسخة من برقية يبلغ فيها سفير المانيا في تركيا (فون بابن) في تشرين الثاني من عام ١٩٤٣ برلين بفخر عن خبر الحصول على وثائق سرية للغاية من السفارة البريطانية في انقرة وذلك بواسطة عميل الماني مهم جداً.»

وقد ادرك (دالاس) خطورة الموقف الذي ترتب على تسرب هذه المعلومات فقام، على حد تعبيره،

«مباشرة باعلام زملائه البريطانيين بالامر. وسرعان ما وصل الى السفارة البريطانية في انقرة اثنان من مفتشي الامن البريطانيين اللذان قام على الفور بتبديل كافة اقفال الخزانات وتوافقية كل منها واضعان بذلك حداً لنشاطات (شيشرون)[٢]

ان السياق الدقيق للاحداث واضح جداً ـ فقد انظم (شيشرون) الى مجموعة العاملين لدى (السيرهيو) في شهر ايلول من عام ١٩٤٣، كما تطوع للعمل تحت اشراف (مويجيش) في الشهر التالي.

وفي شهر تشرين الثاني بث (فون بابن) رسالة لاسلكية الى برلين وصلت (دالاس) فيما بعد عن طريق (كولبي). ولكن هناك ثمة سؤال يجب طرحه هنا: في اي تاريخ بالضبط اصبح (دالاس) على علم، للمرة الاولى، بوجود (شيشرون)؟ ان تحديد التأريخ هذا من الجانب السويسري لامر مستحيل بسبب عدم اطلاق اي وثيقة لحد الآن من شأنها بيان تواريخ زيارات (كولبي). وقد جاء في التقرير الحربي لـ (دائرة الخدمات الستراتيجية)، الذي رُفع الحظر عنه عام ١٩٧٦، ما يلي: «لقد تمكن (وود) خلال عدة اشهر من زيارة سويسرا كل بضعة اسابيع»[٣] بالاضافة الى ذلك كانت العملية قد تعرضت للتأخير لأن «مهمة الترجمة والترميز استهلكت وقت كافة العاملين في (بيرن) لاسابيع وذلك بعد كل استلام لمجموعة من البرقيات....».

ومما يجعل استذكار (دالاس) مثيراً للاهتمام هو ان (موبجيش) كان قد استطاع تحديد تأريخ الابتداء بتطبيق الاجراءات الامنية الجديدة التي فرضت على السفارة

البريطانية. ويقول (موبجيش) بهذا الخصوص:

«في وقت مبكر يعود الى منتصف شهر كانون الثاني أخبرني (شيشرون) بان بضعة رجال قد قدموا من لندن الى السفارة البريطانية لامر يتعلق على ما يبدو بمهمة غامضة. اما بالنسبة لي فقد بدا بديهياً بانهم يقومون بالتحقيق من سلامة الاجراءات الامنية المعتمدة إذ خامر الشك السلطات البريطانية، على ما اظن، بوجود تسرب للمعلومات من جانب معين في سفارتهم. كما اخبرني (شيشرون) بان الخزانات الحديدية قد زودت باجهزة انذار تم ابتكارها خصيصاً لهذا الغرض»[1]

فلو تقبلنا ما يطرحه (دالاس) بكل معنىٰ الكلمة، مراعين في عين الوقت باننا نقر بان تدخله الفوري قد وضع حداً لنشاطات (شيشرون)، فان تأريخ قيام (كولبي) بتسليم الوثائق السرية للغاية من السفارة البريطانية في أنقره لابد ان يكون في غضون شهر كانون الاول من عام ١٩٤٣. ومع ذلك استمر (شيشرون) بالعمل الجاسوسي باشراف (موبجيش) حتىٰ آذار من عام ١٩٤٤. فكيف تمكن (شيشرون) من الاستمرار بالعمل لفترة شهرين بعد ان تم تحذير البريطانيين؟

لقد استغل العديد من المراقبين هذين الشهرين اللذين تعذر تفسير امرهما واللذين انتشرت حولهما الاساطير. فهل كان البريطانيون على علم بأمر (شيشرون) منذ البدء؟ وهل كانت الخدمات السرية البريطانية تقوم باستخدامه لاغراض الغش والخداع؟

بدأت اولى الشكوك تدور حول دور (شيشرون) البسيط كجاسوس بعد افتضاح أمر (الترا). فلو كانت (بليتشلي) حقاً تقوم بقراءة العديد من مفردات البريد الدبلوماسي الالماني فكيف يتسنىٰ لنا ان نعلل عدم انكشاف امر (شيشرون)؟ ولربما انطوت القصة على تفاصيل اكثر مما ظهر للمرة الاولى من خلال سرد (دالاس).

وقد شجع ما أبيح بـه من معلومات عن (الترا) العديـد من ضباط ومسؤولي الاستخبارات المتقاعدين الخروج من صمتهم الطويل بخصوص عملهم في حقل الخداع السوقي اثناء الحرب. ولابد لنا من القول بان بعض العمليات، كعملية «الرجل الذي لم يكن له وجود» The Man Who Never Was الشهيرة، كانت معروفة لسنين عديدة. اما الامور التي لم يتم ادراكها بصورة كاملة فقد تركزت حول الجهود الواسعة النطاق التي بذلها الحلفاء في مجال الغش والخداع وكذلك حول المدى الذي كانت المنظمات الاستخبارية على استعداد للوصول اليه في سبيل تحقيق توافق عملياتها مع اهداف وكالات اخرى. وقد جاءت حقيقة وجود دائرة تنسيق خاصة، عرفت باسم «قسم سيطرة لندن» Lond n Con-trolling Section، مفاجأة لكثير من المحنكين في هذه الامور. اما الشهرة الواسعة النطاق

التي كسبها (شيشرون) و (الترا) وامور الخداع بصورة عامة فقد شجعت على التساؤل عما إذا كان (شيشرون) يعتبر نصراً للنشاطات الاستخبارية البريطانية، ولاساليبها الخداعية الحاذقة، ام مجرد خرق مخجل لابسط الاجراءات الأمنية.

في الواقع هناك وفر من الأدلة الظرفية التي تؤيد فكرة اعتماد اساليب الخداع وقد جاء قسم من هذه الادلة من الالمان انفسهم. وبالرغم من تمكن (موبجيش)، مسؤول (شيشرون) الألماني، من التغلب على شكوكه الأولية إزاء موثوقية انتاج (شيشرون)، فقد اعتبر رؤوسائه هذا الانتاج من الجودة بحيث يصعب ان يكون حقيقياً. وقد وصف (موبجيش) الوثائق بانها «من اكثر الاسرار العسكرية والمدنية على حد سواء، التي دأب العدو على المحافظة عليها بحذر شديد والتي كان لها قيمة عظيمة جداً.»[٥] ومع ذلك فقد بقيت وزارة الخارجية الالمانية نازعة الى الشك: «بقدر تعلق الامر بوثائق (شيشرون) فقد عمد (ربنتروب) الى القيام بتمحيصها شخصياً. وقد بقي مقتنعاً بان الامر لم يكن سوى مكيدة بريطانية»[٦]

وقد تغذت شكوك الالمان حول (شيشرون) بفعل اوجه التباين المختلفة التي تضمنتها قصة هذا الشخص الألباني. فقد اكتشف بانه كان قد كذب بصدد اتقانه اللغة الانكليزية كما ان ظهور ما بدا وكأنه طبعة إبهام لشخص آخر على احدى النسخ الفوتغرافية قد ناقض، ادعاءه العمل بمفرده. بالاضافة الى ذلك كان الالمان مرتابين من الدافع الذي كان قد صرح به هذا الخادم وهو ان عداءه العنيف للبريطانيين كان بسبب قيام احدهم باطلاق النار على أبيه وإردائه قتيلاً، فقد لوحظ ما يطرأ على ظروف هذا الحدث من تغير في كل مرة يلجأ (شيشرون) الى ذكره وفي وقت لاحق استذكر (شيلينبرغ) Schellenberg، احد قادة الخدمات الامنية البريطانية، قائلاً:

«لم أر لكل ذلك أكثر من اهمية ثانوية، إلا ان الامر قد اثار كثيراً من الصعوبات عندما حاولت ان اثبت لكل من (هتلر) و (هملر) احالة المواد التي زودها (شيشرون). وقد اثير المزيد من الشكوك حول صدقه في اواخر شهر كانون الاول...»[٧]

وقد ظهر الخلاف حول موضوع (شيشرون) ثانية في آذار من عام ١٩٧١ عندما توفي (السير هيو) وزال خطر التشهير. فقد ورد في الكلمة التأبينية التي نشرت في جريدة (الديلي تلغراف) بتأريخ ١٩٧١/٣/٢٣ بان (شيشرون) كان قد «صور خطط الغزو الحليف (على نورماندي) التي كان قد حصل عليها من خزانة رب عمله.»

وقد حفز هذا الادعاء اللواء (شارلس سوينرتن) Major — General Charles

Swynnerton، الذي كان قد عمـل ملحقاً عسكـرياً في السفـارة البريـطانية في انقـرة في الخمسينيات، على كتابة ما اطلق عليه «القصة الكاملة» وذلك بتأريخ ١٤/٤/١٩٧١. يقول هذا اللواء: «في عام ١٩٤٣ وصلت الى لندن انباء تفيد بوجود ثغرة في الاجراءات الأمنية في انقرة. وقد تمَّ ارسال (السير ثوكس هيلم) على الفور لسد الثغرة التي كانت المعلومات السرية في السفارة البريطانية تتسرب منها».

وللاسف فان مساهمة (سوينرتن) قد زادت من غموض الامر اذ انـه خلط بين (هيلم) ومفتش آخر من وزارة الخارجية. وقد تطلب الامر بعض التوضيح نتيجة هذا الخلط الامر الذي دفع (السير جون لوماكس) Sir John Lomax، الذي عمل بمعية (السير هيو) بصفة مستشار تجاري، الى الاشتراك في هذه المناظرة المشوشة ليقول:

«لقد اخطأت رواية (سوينرتن) في تفاصيل هامة. فان (هيلم) لم يرسل الى انقره نتيجة لما ساور وزارة الخارجية البريطانية من شكوك عام ١٩٤٣. لقد اوفد (هيلم) في شهر حزيران من عام ١٩٤٢، اي قبل ابتداء تسرب الاسرار، ولاسباب مختلفة.»[٨]

ومن خلال تحمسه للموضوع نجد ان (لوماكس) قد انجرف، للاسف، في اعطاء القارئ معلومات مضللة. فهو يقول:

«لم ينكشف النقاب عن امر تجسس (شيشرون) إلا بعد الحـرب، عندمـا وقع نظيري في السفارة الالمانية، والذي كان جاسوساً خفياً متمرساً، اسيراً لدى الامريكيين وقام بفضح امر (شيشرون) من خلال التحقيق معه.

ولربما انتهى الامر عند هذا الحد لولا قيام المؤرخ، المثير للجدل، (دافيد إرڤنغ) DavidIrving، بالاشارة الى ان الأرشيف الألماني قد احتوى على بعض الاضابير التي ضمت خلاصات عن المعلومات التي كان يرسلها (شيشرون). وقد ذكرت بعض هذه المعلومات الاسم المجفر (اڤيرلورد): وقد سجل الجنرال (يودل) Jodl في دفتر يومياته الملاحظات التالية:» نتائج من (شيشرون): اوڤيرلورد = غزو كبير من بريطانيا.»

وبالرغم من ان تقارير (شيشرون) الأصلية قد فقدت، على ما يبدو، فهناك اشارات عديدة الى معلوماته مما يوضح بانه كان قد حصل على معلومات هـامة بصـدد الغزو الحليف المزمع القيام به وذلك رغماً عن ادعاء (سوينرتن) بان هذا يناقض ما حدث فعلاً. ومن المؤكد ان المجازفة بالتفريط باسم رمزية بالغ الاهمية، كجزء من حملة التضليل التي اعتمدها الحلفاء، لم يكن محتملاً. وقد اشار البعض بان (أوفير لورد) لم تكن سـوى الأسم الرمزي الابتدائي والتي استعيض عنه اخيراً بسلسلة من الكلمات الرمزية مثل

في عام ١٩٧٦ وجه (انطوني كايف براون) اهتمامه الى هذه الشكوك ليكتشف «بان المقدم مونتاغيو ريني شدسن) Muntague Reaney Chidson كان احد العاملين بامرة السفير البريطاني (سيرهيو) بصفة مساعد الملحق العسكري. وكـان (شدسن) هـذا الرئيس السابق لقسم الخدمات السرية في القارة الاوربية التابع لمنظومـة الخدمـات السريـة البريطانية (MI — 6). اما الآن فهو احد كبار العاملين في الخدمات السرية البريطانية في تركيا.»[٩] وبعد ان اخذ (كايف بروان) بنظر الاعتبار طبيعة الدور الحقيقي لـ (شدسن) جره التأمل الى «احتمال ان يكون هذا قـد التقىٰ بـ (بازنـا) ووضعه تحت سيـطرته المباشرة.»[١٠]

ان معالجة (كايف براون) لقضية (شيشرون) جديرة بالملاحظة اذ يبدو بانه قد تمكن من جعل (دالاس) يناقض ما كان قد كتبه شخصياً (اي دالاس نفسه) في وقت مبكر. ففي كتابيه «حرفة الاستخبارات» و «الاستسلام السري»، على سبيل المثال، يقول (دالاس) بان نشاطات (بازنا) قد انتهت على الفور. ومع ذلك يستشهد (كايف براون) بما قاله (دالاس) من خلال مقابلة تمت بينهما بان (الكونت ڤاندين هيوڤيل)، ممثل الخدمات السرية البريطانية في (بيرن» قد عاد بعد ثلاثة ايام من تبلغه بامر نشاطات (شيشرون) «ليلتمس مني، بكل معنىٰ الكلمة، تناسي موضوع البرقيات وعدم اتخاذ اي اجراء بصدد قضية (شيشرون) لا سيما مع (كولبي). وقد قال الكونت (ڤاندين هيوڤيل) بان لندن كانت على علم بالقضية. وبالرغم من ان (ڤاندين هيوڤيل) لم يخبرني حقيقة الامر فقد اتضح لي بان البريطانيين كانوا يدبرون مكيدة مع (شيشرون).»[١١] وهكذا نرى بـان (دالاس) كان، على ما يبدو، قد غير تفاصيل روايته خلال الثلاث سنوات التي اعقبت صدور كتابه «الاستسلام السري» عام ١٩٦٦ وسبقت وفاته عام ١٩٦٩. وفي الواقع فان المقابلة التي ادعىٰ (كايف براون) حدوثها لابد وان تمت قبل صدور كتابه «غطاء من الاكاذيب». ولربما قد تمت هذه المقابلة في الواقع إلا اننا لا نجد ثمة مبرر لقيام (دالاس) بمناقضة ما كان قد رواه قبل تحقق هذه المقابلة.

وينهي (كايف براون) روايته بالاشارة الى «نجاح خدعة (شيشرون) بالقول:
«كان الثمن الذي دفع لقاء خدعة (شيشرون) السوقية ثمناً اسمياً، إذ لم يعط البريطانيون الالمان معلومات يتعذر على هؤلاء الاخيـرين الحصول عليهـا من مصادر

اخرى او من استخلاصها من صحف الدول الحليفة والمحايدة. وعلى الذين ما فتئـوا يصرون على ان (شيشرون) يمثل غلطة بريطانية فادحة بالاستماع الى ما قاله (منزيس)، باعتباره صاحب القول الفصل، الذي انبرى بعد مضي فترة طويلة على زوال اهمية ما كان (شيشرون) قد قام به او لم يقم به بالمرة، قائلاً: بطبيعة الحال كان (شيشرون) تحت سيطرتنا.» ويعتبر الاستشهاد بما قاله (منزيس) امراً مثيراً وجديراً بالملاحظة اذ لابد وان يكون (منزيس) قد خرج عن نطاق ما اعتاد عليه طيلة ايامه من تجنب التحدث الى الصحفيين. وفي كل الاحوال يجب ان نذكر بان نشر ما ادعاه (كايف براون) بهذا الصدد قد تم بعد ان كان (منزيس)، مثل (دالاس) قد توفي هو الآخر وعليه يتعذر قيامه بتأييد هذا الادعاء.

لقد رحب آخرون، امثال المؤلف الأمريكي (قسطنطين فتزجبون) Consfantine Fit s Gibbon، ما ظهر من تأييد (منزيس) لنظرية (كايف براون) التي انصرفت الى اعتبار عملية (شيشرون) جزءاً من مؤامرة حليفة ذكية. وقد اتفق ان يكون (فتزجبون) هذا قد ساهم في ترجمة كتاب (موبجيش) قبل ربع قرن من الزمن. وقد اعترف (فتزجبون) في كتابه «الاستخبارات السرية في القرن العشرين» Secret Intelligence In The 20 Centurry الذي نشر عام ١٩٧٦ قائلاً: «كلما توغلت في العمل ضمن اطار هذا الموضوع كلما ازدادت شكوكي لا بصدد اصالة ما رواه (موبجيش) بل بصدد ما كمن خلف هذه الرواية من امور».[١٣] وبعد اعادة سرد قصة (شيشرون) استخلص (فتزجبون) قائلاً: «لابد للفرد ان يصل الى نتيجة مفادها بان الامر برمته كان خدعة متقنة قامت بها الخدمات السرية البريطانية لتضليل الالمان....»[١٤]

وبعد عامين من نشر ما جاء به (فتزجبون)، استعرض (السير فتزروي ماكلين) Sir Fitzroy Maclean وقائع القضية في كتابه «قصص تسعة من الجواسيس» Take Nine Spies واضاف هامشاً مبهماً:

«لقد اوحي، طبعاً، بان (شيشرون) كان يخضع للسيطرة البريطانية طوال الوقت. إلا ان ذلك لا يبدو محتملاً في ضوء الأدلة المتوفرة. ولكن استناداً الى ما اورده الأستاذ (هيو تريفور ـ روبر) Prflessor Hvgh Trevor — Roper الذي يكتب بسلطة من تتوفر لديه المعرفة والاطلاع التام على المعلومات السرية فان تشخيص (شيشرون) كان قد تم قبل تركه السفارة البريطانية وكان خلال الفترة الاخيرة من عمله قد استخدم من قبل البريطانيين للتمويه لا لتزويد المعلومات.»[١٥]

لقد عمقت مثل هذه الآراء جذور اسطورة (شيشرون) بـالرغم من ان صانعي الاساطير قد عزوا للخدمات السرية البريطانية، ولمرة واحدة، فضل امر لم تكن قد قامت به اساساً.

ولكن حقيقة الامور قد اختلفت في الواقع كلياً ـ تلك الامور التي اكدها لي اثنان من منتسبي مركز الخدمات السرية البريطانية في اسطنبول واللذان كانا من منتسبي القسم الخامس، اي القسم المسؤول عن مقارعة الجاسوسية، كما اكـدتها لي عـائلة العقيد (شدسن) Calonel Chidson. كان (شيشرون) جاسوساً حقيقياً استغل ما اخفق السفير البريطاني في اتخاذه من اجراءات امنية لما كان بحوزته شخصياً من معلومات سرية. ولم يكن (دالاس) الشخص الوحيد الذي كان قد اعلم بوجود جاسوس في السفارة البريطانية في انقرة من خلال نسخ البرقيات التي زوده بها (فرتز كولبي) المعروف باسمه الرمزي (جورج وود)، فقد اعلمت الجهات البريطانية بالأمر كذلك. وبما ان الحدود السويسرية الاسبانية بقيت مغلقة في وجه سير البريد الحليف حتىٰ شهر ايلول من عام ١٩٤٤ فلم يتم ارسال او استلام اي رسائل قبل هذا التأريخ. وعليه كانت المعلومات التي تتطلب ارسالها خارج الحدود تجفر لكي يتم بثها لاسلكياً. ولغرض تأمين الحفاظ على سلامة المعلومات اثناء البث من (جنيف) فقد تم تقسيم ما كان يسمى بـ «اوراق جورج وود» الى نصفين متساويين بين الجانبين الامريكي والبريطاني وبذلك كان نصفها يرسل الى (واشنطون) بينما ارسل النصف الآخر الى (لندن).

ومن الجدير بالذكر ان البرقيات الالمانية لم تكشف في الواقع عن الهوية الحقيقية للجاسوس بل اكتفت بذكر اسمه الرمزي. فبالرغم من ان البريطانيين كانوا قد نبهوا الى وجـود جاسـوس في سفـارتهم في انقـرة عن طريق (دالاس) وعن طريق نصيبهم من المعلومات المستنبطة من اوراق (جورج وود) إلا انهم لم يعلموا من كان هذا الجاسوس ولذلك تعين عليهم القيام بتحقيق واسع لغرض تشخيص الجاسوس.

وكان المسؤول الامني الاول في وزارة الخـارجية البـريطانيـة آنذاك هـو (وليم كودرنفتون) William Codrington الذي قام بارسال مساعده (السير جون داشوود) Sir John Dashwood بصحبة احد مخبري الشعبة الخاصة وهو رئيس المفتشين (كوكران) Chief In spector Cochrane، لغرض التوصل الى سد مصدر تسرب المعلومات. ولكن استفساراتهم قد نبهت (شيشرون) كما انها نبهت (موبجيش) على نحو ما اسلفنا اعلاه. ومع ذلك فقد استمر (شيشرون) في سرقة اسرار السفارة وذلك لان جهود (داشوود) و (كوكران) قد

تركزت على السفارة لا على دار السفير حيث عمل (شيشرون). وفي الواقع فقد اخفق هذان المخبران في تشخيص (بازنا) حتى الوقت الذي تمّ فيه قيامه بالاستقالة من عمله والاختفاء عن الأنظار وبذلك فات الاوان لاتخاذ اي اجراء ضده. وقد وجد (داشوود) نفسه مضطراً للاكتفاء بكتابة تقرير مطول الى وزير الخارجية شجب فيه ما لمسه من توان لدى السفير. وكما هو ديدن وزارة الخارجية البريطانية فان سيرة (السير هيو) الوظيفية لم تصب، على ما بدا، باي اذى اذ استمر في عمله الدبلوماسي وشغل عدداً من المناصب الحساسة بعد انتهاء الحرب. كان هذا بحد ذاته كافياً لكي يظن البعض بـان انعدام التوبيخ العلني لم يكن سوى مؤشر. الى مساهمة (السير هيو) في عملية خداع واسعة النطاق. إلا ان الامر في الواقع لم يكن سوى مثال على نهج وزارة الخارجية في حماية منتسبيها.

فكيف لنا، اذاً، ان نفسر الوجود الغامض لـ (شدسن) في انقره؟ لم يكن (شدسن) هذا في الواقع، على حد تعبير (كايف) براون)، «الرئيس السابق لقسم الخدمات السرية في القارة الاوربية التابع لمنظومة الخدمات السرية البريطانية (ml6)» بل كان في الحقيقة يقضي فترة نقاهة اثر شفائه من انهيار عصبي كان قد ألم به، ولذلك فقد تم تعيينه في سفارة انقره بدون منصب، ومن باب تغطية هذا الجانب فقد وجد بان عنوان وظيفـة مسؤول أمن السفارة كان الغطاء الوحيد لدوره الخفي. اما القيام بنشاطات المخابرات السرية فقد ترك لزملاء (شدسن) الذين كانوا يعملون في مركز الخـدمات السـرية في (اسطنبول). وكما حدث فعلاً، فقد ثبت بان وجود (شدسن) في سفارة انقره بدون منصب كان امراً في غاية الصعوبة ادى بالنتيجة الى خلق اسطورة.

الهوامش

١ ـ الن دالاس: حرفة الاستخبارات ـ الصفحة (١٥٣).
٢ ـ الن دالاس: الاستسلام السري ـ الصفحة (٢٤).
٣ ـ كيرميت روزفيلت: التقرير الحربي لدائرة الخدمات السوقية ـ الصفحة (٢٧٨).
٤ ـ لودفينج موبجيش: عملية شيشرون ـ الصفحة (١٢٩).
٥ ـ (المصدر نفسه) ـ الصفحة (٤٤).
٦ ـ (المصدر نفسه) ـ الصفحة (٨١).
٧ ـ والتر شيلينبرغ ـ المتاهة ـ الصفحة (٣٩٢).
٨ ـ رسالة الى رئيس تحرير صحيفة (الدايلي تليغراف) بتاريخ ٢٦/٤/١٩٧١
٩ ـ انطوني كايف براون ـ غطاء من الاكاذيب ـ الصفحة (٣٩٩).
١٠ ـ (المصدر نفسه) ـ الصفحة (٤٠٢)
١١ ـ (المصدر نفسه) ـ الصفحة (٤٠٢).
١٢ ـ (المصدر نفسه) ـ الصفحة (٤٠٣).
١٣ ـ قسطنطين فتزجبون: الاستخبارات السرية في القرن العشرين ـ الصفحة (٢٦١).
١٤ ـ (المصدر نفسه) ـ الصفحة (٢٦٣).
١٥ ـ السير فتزروي ماكلين ـ قصة تسعة من الجواسيس ـ الصفحة (٢٢١).

الفصل الثامن

وحش ارنيم

king Kong of Arnhem

«إعتقـد بعض مـواطني (لنـدمـان) Lindeman الهولنديين بانه كان عضواً مخلصاً في حـركة المقاومة السرية الهولندية. ولكن الالمان عرفوه بصفة اخرى ـ لقد عرفوه جاسوساً. كان (كنغ كونغ) عميلاً مزدوجـاً. ففي عام ١٩٤٣ كـان (لندمان) قد انقلب خائناً.»

كورنيليوس رايان
في كتابه «جسر أبعد من اللازم»
Cornelious Ryan: A Bridge Too Far

في غضون الاربعين عاماً المنصرمة تم التوصل الى ايجاد الحلول لكثير من الاسرار الكبيرة الغامضة للحرب العالمية الثانية. فمن خلال النشر التدريجي للوثائق الرسمية، ورفع الحظر عن بعض وثائق فترة ما بعد الحرب، تمكن المؤرخون من ربط الكثير من الجوانب الغامضة التي لم يكن من الممكن الاجهار بها خلال الفترة التي اعقبت نهاية الحرب مباشرة وذلك لاسباب امنية واسباب اخرى غيرها. كما ان قيام العميد الطيار (فريد ونتر باثم) في عام ١٩٧٤ بالكشف عن حجم عملية الحلفاء لفك الجفر قد حفز انصراف الجهود الى القيام باعادة تقييم شاملة لانجازات قادة بريطانيين وامريكيين معينين الامر الذي كان من شأنه تسليط اضواءٍ جديدة على احداث معينة كما لاحظنا من الفصول السابقة.

ومنذ عام ١٩٤٧ ظهر العديد من الكتب التي عالجت المساهمات التي قدمها محللو الالغاز المجفرة في بليتشلي للمجهود الحربي للحلفاء. وبعد نشر كتاب العميد (ونتر باثم) أذنت (دائرة الوثائق العامة) بنشر اعداد كبيرة من خلاصات المعلومات الاستخبارية السرية بعد ان رُفع الحظر عنها. كما قامت (وكالة الامن القومي) National Security Agency في الولايات المتحدة برفع الحظر عن كميات كبيرة من المعلومات ذات الاهمية التأريخية. وقد يبدو ان ما بقي مخفياً من الاسرار الحربية هو قليل جداً اذا ما اخذنا بعين الاعتبار الاتفاق العام بصدد الرأي القائل بان وثائق فترة الحرب قد فقدت، في الوقت الراهن، قيمتها العملياتية.

ومع ذلك هناك عدد قليل من الاحداث والعمليات التي تغيض المؤرخين وتتسبب في قيام البعض منهم بتوجيه رسائل الى الصحف تعبيراً عن سخطهم. وتظهر بين الاونة والاخرى مثل هذه الامور عندما يقوم احد الكتاب بدور صانع الاساطير. وهناك عدد كافٍ من الاشخاص الذين لا يزالون على قيد الحياة ممن لا يتوانون في زج انفسهم في خضم الخلافات التي تثيرها هذه الامور لما لهم فيها من اهتمام.

ويتعلق احد هذه الخلافات، الذي لا يزال قائماً منذ انتهاء الاعمال العدوانية في عام ١٩٤٥، بالعمليات الاستخبارية السرية التي قام بها البريطانيون، او اشرفوا على سيرها، في هولندا ابان الاحتلال النازي. وقبل فترة طويلة من قيام (ماسترمان) بنشر كتابه «جهاز الغش» كان بعض منتسبي الاستخبارات العسكرية الالمانية (الآبفير) السابقين قد وصفوا بدقة نشاطاتهم في مجال مقاومة الجاسوسية في هولندا ـ تلك النشاطات التي مكنت الألمان من السيطرة على الشبكات التجسسية الحليفة وتسخيرها

لمشيئتهم. وقد شكل استئناف البث المدسوس في بعض الاجهزة اللاسلكية الحليفة التي تم الاستيلاء عليها من قبل الالمان الاساس لهذه الضربة الاستخبارية الموفقة التي تعتبر بحق عملاً رائعاً ادى بدوره الى هلاك اكثر من مئة عميل من عملاء الحلفاء.

وقد زعزعت هذه الكارثة ثقة الحكومة الهولندية في المنفى بقابلية بريطانيا على ادارة العمليات الاستخبارية السرية. وشكلت بعد الحرب في هولندا هيئة تحقيق برلمانية برئاسة الدكتور (دونكر) Dr. L. A. Donker لتحديد الخطأ الذي كان قد حصل. فهل كان هناك ثمة اهمال ام خيانة او كلاهما؟ وقد دونت هذه الهيئة افادات كافة الذين لهم علاقة بالامر بما في ذلك منتسبي الدوائر الاستخبارية من الالمان والهولنديين والبريطانيين. وبالرغم من ان تقرير الهيئة النهائي قد برأ ساحة اشخاص معينين من بعض ما نسب لهم من تهم طائشة، لم يتم وضع حد للاتهامات. وقد استمر التخمين والاشاعات الى يومنا هذا، كما يستأنف الجدل في كل مرة بكشف النقاب فيها عن معلومات تبدو لها علاقة بالموضوع. فبعد فترة قصيرة من قيام (انتوني بلانت) Anthony Blunt في عام ١٩٧٩ بالاعتراف بنشاطه التجسسي لحساب السوفيت، على سبيل المثال، نشرت صحيفة (الصنداي تيليغراف) قصة غريبة صورت صلته بعملية إلقاء القبض على، ومن ثم اعدام، مايقرب من خمسين من العملاء الذين كان القسم الهولندي في هيئة العمليات الخاصة)* Special Operations Executive قد ارسلهم الى هولندا. وقد تبين في وقت لاحق بان الصحيفة المذكورة كانت قد خلطت بين شخصين لا علاقة لا حدهما بالآخر وهما: (انتوني بلانت) الذي كان يعمل بامرة الخدمات الأمنية البريطانية (MI5) اثناء الحرب وشخص آخر كان يعمل في القسم الهولندي لـ (هيئة العمليات الخاصة) تحت الأسم الرمزي (بلانت). وقد وجهت اتهامات لا اساس لها ضد (بلانت) الثاني هذا (وبعض من زملائه). اما الكشف عن النشاط التجسسي السوفياتي لضابط استخبارات آخر يحمل نفس الاسم فقد جاء عن طريق الصدفة الامر الذي يشير الى ان ثمة شخص ما قد اخطأ في الاستنتاج. ومهما كان من امر جرائم (انتوني بلانت) فان اشتراكه في قضية (هيئة العمليات الخاصة) لم يشكل واحدة منها. وقد اعترفت صحيفة (الصنداي تلغراف) بخطئها في وقت لاحق.

* هي احد التشكيلات الفرعية للخدمات السرية البريطانية (MI6) التي استخدمت عام ١٩٤٠ لتوسيع رقعة حروب العصابات ضد هتلر ومعهم مقاتليها. وقد وصف (تشرشل) هذا التشكيل بعبارة شعرية: ليشعل اوربا ناراً ـ المترجم.

ان الخلاف الذي ولده النجاح الالماني في هولندا اثناء الحرب قد اصبح اسطورياً. ويستذكر(بيير دي سلفا) Peer De Silva في كتابه «صَبْ روزا: وكالة الاستخبارات المركزية واستخدامات المعلومات الاستخبارية» Sub Rosa: The ciA And The uses of Intelligence حادثاً غريباً وقع، حسب ادعاء المؤلف، في ربيع عام ١٩٥٣ عندما زارت الهيئة البرلمانية الهولندية مدينة لندن بهدف مراجعة الاضابير البريطانية: ـ

تم استقبال الوفد (الهولندي) من قبل ممثلين بريطانيين. وقد أعلم الممثلون البريطانيون هؤلاء اعضاء الوفد الهولندي ببرود ملحوظ بان غرفة حفظ الاضابير الخاصة بالخدمات السرية البريطانية (ml6) قد تعرضت لحريق خطير وقد شاء سوء الطالع ان تلتهم النيران كافة الوثائق المتعلقة بحركة المقاومة السرية الهولندية. وعند سماعهم هذا الخبر المذهل عاد اعضاء الوفد الهولندي مباشرة الى مدينة (لاهاي). وسرعان ما قامت الحكومة الهولندية بعد ذلك بطرد ممثل الخدمات السرية البريطانية ومساعديه واغلاق مركز الاستخبارات البريطانية في (لاهاي).»[1]

ان هذا الامر عجيب حقاً ولكنه لم يعد كونه محض اختلاق. كانت الهيئة البرلمانية الهولندية، في الواقع، قد زارت لندن في شهر تشرين الاول من عام ١٩٤٩ وتم لها الاطلاع على الوثائق ومقابلة كافة الافراد المعنيين. وقد اجاب على الأسئلة التي طرحتها الهيئة تسعة من كبار منتسبي الخدمات السرية البريطانية وهيئة العمليات الخاصة. وبعد مضي شهرين على ذلك، وفي ١٩٤٩/١٢/١٤ على وجه التحديد، اطلقت وزارة الخارجية البريطانية تصريحاً اكدت فيه:

«بان الايحاء الذي افاد بان ارواح بعض الوطنيين الهولنديين قد ذهبت ضحية تحقيق اهداف معينة لا يشكل امراً تستنكره حكومة صاحب الجلالة وجموع الشعب البريطاني فحسب بل انه موضوع لا اساس له بالمرة»

ومن الجدير بالذكر ان الخدمات السرية والخدمات الامنية البريطانيتين لا تسمحان، تقليدياً، لأية جهة كانت بالاطلاع على اسرارهما وتقوم كل من هاتين الجهتين بتسيير اعمالها في ضوء توجيهات وزارية عامة وتكتفي بتعميم خلاصات استخبارية، او ابداء المشورة حول امور معينة، عندما يطلب منها القيام بذلك من قبل جهة معينة او عندما تستدعي الظروف قيامها بذلك. اما افراد القلة القليلة من المؤرخين الذين سمح لهم الاطلاع على المعلومات الاستخبارية الخاصة بالخدمات السرية فانهم كانوا قد شاركوا شخصياً في النشاط الاستخباري. وعلى سبيل المثال فان الاستاذ (فوت) -Profes

sor M.R.D. Foot، الاكاديمي المشهور الذي كلفته الحكومة البريطانية بتدوين تاريخ نشاطات (هيئة العمليات الخاصة) في فرنسا، كان شخصياً احد ضباط استخبارات القوة الجوية البريطانية وقد عمل خلف الخطوط الالمانية في فرنسا عشية يوم الغزو الحليف على (نورماندي). وبالرغم من خلفيته هذه فقد طلب منه التوقيع على تعهد قضىٰ بعدم قيامه بالكشف عن موقع مركز حفظ السجلات والقيود التابع للخدمات السرية البريطانية وذلك قبل السماح له بالدخول الى المركز المذكور في (سينتوري هاوس) Century House حيث تحفظ الوثائق الخاصة بـ (هيئة العمليات الخاصة). كما كان كل من المؤلفين المشاركين الثلاثة الذين شكلوا فريق العمل التابع للاستاذ (هنسلي) ضابط استخبارات سابق. ولعل القارئ يذكر بان هذا الفريق كان قد كلف من قبل الحكومة البريطانية بالقيام بتدوين التأريخ الرسمي للاستخبارات العسكرية البريطانية في الحرب العالمية الثانية. وكان الاستاذ (هنسلي) نفسه احد محللي الجفرة في (بليتشلي).

ويرجع تأريخ عدم الثقة المتبادلة بين الجهات الاستخبارية في كل من بريطانيا وهولندا الى الدقائق الاولى التي اخذ يخامر هذه الجهات فيها شعور بان الالمان كانوا قد تمكنوا من اختراق الجدار الامني لشبكات حركة المقاومة السرية في هولندا ابان الاحتلال النازي لهذا القطر. وكانت هناك احداث اخرى وقعت في اعقاب الكارثة المعروفة في حلقات الاستخبارات العسكرية الالمانية (الابفير) باسم عملية (لعبة انكلترا) England Spiel والتي انتهت في شهر آذار من عام ١٩٤٤ ببرقية مضحكة ارسلتها (الابفير) من جهاز لاسلكي يعود لاحدى شبكات (هيئة العمليات الخاصة) التي كان الالمان قد تمكنوا من السيطرة عليها، اما القضية التي زادت من حدة الخلاف بين الخدمات الاستخبارية لكل من البريطانيين والهولنديين، وادامت شعور عدم الثقة بينهما، فقد تركزت حول شخص (كريستيان لنديمانز) Christian Lindemans أحد قادة المقاومة السرية الهولندية الذي لقب بـ (كنغ كونغ) King Kong او (الوحش) لضخامة مظهره وقوته البدنية.

وقد القي القبض على (لنديمانز) هذا في ٢٨/ ١٠/ ١٩٤٤ بعد ما قيل زعماً بانه على العكس من كونه بطل المقاومة فانه كان في الواقع جاسوساً المانياً وقد افشىٰ بمخططات الحلفاء للانزال الجوي الضخم على (آرنيم). وقد تم التحقيق مع (لنديمانز) من قبل الخدمات الامنية البريطانية (MIS) في المقر العام (لمركز الاستنطاق المفصل للخدمات المشتركة) Combined Services Detailed Interrogation Centre في (لاتشمير هاوس) Latchmere House الواقع في منطقة (هام كومون) Ham Common وذلك لفترة اسبوعين اعيد بعدها ليحجز

من قبل السلطات الهولندية. وقد بقي موقوفاً حتىٰ شهر تموز من عام ١٩٤٦ عندما انتحر اثناء وجوده في المستشفىٰ التابع للسجن. ولم يكن (لنديمانز) قد واجه اية تهمة ولم تتم ادانته باية جريمة. وقد اصبحت قصته، الموغلة في جو الدسائس الذي ميز طابع العلاقات الانكليزية ـ الهولندية بعد نيسان من عام ١٩٤٤، اسطورة اساسيـة من الاساطير الاستخبارية للحرب ومن بين القلائل منـ١٠ التي لا يحتمل ان تجد لها حلاً كاملاً.

كان (لنديمانز) قد ظهر في عام ١٩٤٤ في مدينة (انتويرب) ليعرض خدماته على العقيد (لانغلي) J.m Langley الممثل المحلي لمنظمة (mI9) المسؤولة عن تدبير خطوط الهروب لمنتسبي القوات المسلحة الحليفة الذي كانوا يحاولون تفادي إلقاء القبض عليهم من قبل القوات الالمانيـة والعودة الى خـطوطهم. وكان (لنـديمانـز) قد زكي للقيـام بواجبـات الاستخبارات العملياتية من قبل قيادة الجيش الحادي والعشرين بعد تدرعه بتوصيات مثيرة للاعجاب بصفته قائد لمجموعة مقاومة سرية هولندية. وقبل تنفيذ (عملية ماركيت جاردن) Operation Market GARDEN في ١٧/ ٩/ ١٩٤٤ باربعة ايام منح (لنديمانز) الموافقة على عبور خطوط الاعداء للاتصال بمجموعة من افراد القوات الحليفة الذين كانوا قد تفادوا القاء القبض عليهم من قبل الالمان والذين اعتقد بانهم كانوا بمعية فصائل المقاومة في مدينة (ايندهوفين) Eindhoven. وقد تمكن (لنديمانز) من البقاء على قيد الحياة بعد مروره بهذه التجربة ولكنه اتهم بالخيانة والقي القبض عليه بعد تحرير (ايندهوفـين) بفترة قصيرة.

وبالرغم مما دار في الصحف البريطانية من حدس وتخمين في عام ١٩٤٦ حول هوية الخائن الهولندي الذي قيل زعماً بانه كان قد اوقف في (برج لندن) لم يذكر الكثير من التفاصيل المتعلقـة بقضية (لنـديمانـز) بصورة علنيـة حتىٰ عام ١٩٥٠ عنـدما كتب (اوريستي بنتو) مقالاً عن المـوضوع نشـرته صحيفـة (الصنداي دسبـاتش) Sunday Dispatch. وبعد ذلك بعامين نشر كتاب (بنتو) الذي حمل عنوان «صياد الجـواسيس» Spycatcher والذي وردت في احد فصوله الذي كان بعنوان «خائن آرنيم» The Traitor Of ARNHEM تفاصيل «ما يمكن اعتباره أهم قضية جاسوسية في تاريخ التجسس»[٢]

ويستذكر (بنتو) كيف التقىٰ للمرة الاولى بـ (لنديمانز)، المصارع السابق الذي كان في السابعة والعشرين من عمره، في احدى معسكرات الاعتقال الحليفة قرب مدينة (انتويرب) في عام ١٩٤٤. وكان (بنتو) ضابط أمن المعسكر هذا وقد وبخ (لنديمـانز) بسبب قيام هذا الاخير باطلاق سراح امرأتين قبل استكمال الاجراءات الاصولية لاطلاق سراحيهما. وقد حفز هذا الحادث، على ما يبدو قيام (بنتو) بالتحري عن خلفية قـائد

المقاومة هذا! وقد ارسل (بنتو) كتاباً الى العقيد (لانغلي) عبر فيه عن شكوكه في امر (لنديمانز). وبالرغم من ذلك فقد وافق (لانغلي) على قيام (لنديمانز) بمهمته وهذا ما حصل فعلاً على نحو ما بيناه اعلاه.

واستناداً الى ما يرويه كتاب (صياد الجواسيس) فان (بنتو) قد استدعى (لنديمانز) للتحقيق قبل موعد تنفيذ عملية (ماركيت جاردن) بوقت قصير إلا ان (لنديمانز) لم يلب الاستدعاء بسبب ارتباطه بالقوات الكندية للقيام بواجبات خاصة. ويوحي (بنتو)، بدرجة غير قليلة من الادراك المتأخر، بان ارسال (لنديمانز) عبر خطوط الاعداء كان يعادل في مغزاه «اعلان خبر الانزال المظلي الحليف عن طريق نشرة اخبار هيئة الاذاعة البريطانية»[٣]

لقد أغفل امر تحذيرات (بنتو) كلية ولكن بعد مضي ستة اسابيع على كارثة (آرنيم) تقدم احد عملاء الاستخبارات العسكرية الالمانية (الابفير) المدعو (كورنيليس فيرلووب) Cornelis Verloop ليعترف طوعاً وليتهم (لنديمانز) بقيامه بتحذير ضابط استخبارات الماني بامر الهجوم الحليف الوشيك. ويستذكر (بنتو) تفاصيل التحقيق مع هذا العميل على النحو التالي:

«سألت: هل افشى (كنغ كونغ) بعملية (آرنيم) الى الالمان؟ اومأ العميل براسه ايجاباً وقال: نعم لقد اخبر العقيد (كيز فيتر) Kieswetter بالامر وذلك في الخامس عشر من شهر ايلول عندما جاء الى مقر (الآبفير). وقد اضاف بانه من المزمع انزال قوات بريطانية وامريكية. ثم سألته: هل حدد مكان الانزال؟

اجاب: نعم. وأن ثمة فرقة بريطانية محمولة جواً سيتم انزالها صباح الاحد خلف مدينة (أيندهوفين)»

ويوحي (بنتو) بان هذا الدليل كان اثباتاً كافياً يقضي بضرورة توقيف (لنديمانز) كما يوحي كذلك بان (لنديمانز) هذا قد كتب افادة اعترف فيها بتعاونه مع الابفير) وبانه قد (التقى بالعقيد (كيزويتر) في (درايبيرجن) Driebergen بتأريخ ١٥/٩/١٩٤٤، اي قبل موعد تنفيذ الانزال بيومين واخبره بتفاصيل الاسرار التي كان قد ائتمن عليها.

ولكن عندما حاول (بنتو) المضي في ملاحقة (لنديمانز) لم يلق تشجيعاً، كما اختفى، لدهشته، الملف الخاص بالقضية. ويقول بهذا الصدد:

«.... وعندما ذهبت لجلب الاضبارة لم اجدها في المكان المخصص لها. وقد حاولت التفتيش عنها بدقة في الرفوف المجاورة وفي خزانات حفظ الاضابير القريبة

خشية ان تكون قد وضعت سهواً في غير مكانها. لكن محاولاتي باءت بالفشل اذ لم يكن لها وجود بالمرة.»(*)

بعد ذلك نقل (بنتو) للعمل خارج نطاق الخدمات الامنية الهولندية وقد نسب للقيام بمهام جديدة في المانيا. وقد ولدت هذه الاحداث الغريبة شعوراً لدى (بنتو) بان الحكومة الهولندية كانت تسعىٰ جادة لكتم امرٍ كان يتبلور بسرعة ليأخذ شكل فضيحة تتعلق بقضية (لنديمانز).

والى جانب شهادة (بنتو) فقد شكل فشل عملية (ماركيت جاردن) بحد ذاته السبب الرئيس في الاعتقاد بان امرها كان قد أفشي. لقد ذهبت الخطة الاصلية ادراج الرياح منذ اللحظة الاولى لوصول المظليين الاوائل أرض (آرنيم) ليجدوا امامهم ما لا يقل عن فرقتين ممتازتين من فرق الـ (S — S) المدرعة وقد انتشرت قواتيهما في منطقة الهبوط والمناطق المحيطة بها. فهل كان وجود فرقتي (البانزر) التاسعة والعاشرة دليلاً على ان كميناً محكماً كان قد اعد مسبقاً ام مؤشراً يثبت اخفاق الحلفاء في تحقيق استطلاع شامل ودقيق قبلْ تنفيذ العملية؟ وبذلك بدت نظرية الخيانة امراً محتملاً بكل وضوح لا سيما اذا اخذنا بعين الاعتبار ما اورده (بنتو) من سرد بهذا الخصوص.

ولكن في عام ١٩٥٣ نشر (هيرمان جيسكيس) Herman Giskes، احد ضباط الاستخبارات العسكرية الالمانية المسؤولين عن توجيه عملية (لعبة انكلترا)، سرداً لتفاصيل هذه العملية وذلك في كتاب بعنوان «لندن تنادي القطب الشمالي» London Calling North Pole. وقد كشف (جيسكيس) في هذا الكتاب النقاب عن دوره بصفته الشخص الذي كان مسؤولاً عن تجنيد (لنديمانز) كعميل الماني. وقد بين هـذا الكتاب بان (لنديمانز) لم يكن على علم بالمنطقة التي كان الحلفاء قد اختاروها لانزال قواتهم بالرغم من علمه بان هذه القوات كانت على اهبة الاستعداد لتنفيذ عملية انزال جوية واسعة النطاق. ويسترسل (جيسكيس) في سرده هذا قائلاً بانه:

«لم يكتشف ابداً ما نقله (كنغ كونغ) من معلومات الى الضابط المسؤول في القيادة الالمانية في مدينة (ڤوجت) Vught وذلك عندما اقتيد الى مقر القيادة المذكورة عصر يوم الرابع عشر من ايلول. ولكنه بالتأكيد نقل ما لديه من معلومات الى الرائد (ڤيسكوتير) Major Wieskotter في مدينة (درايبرغن) وذلك في الخامس عشر من ايلول. وفي كل الاحوال لم يكن هناك اي ذكر لـ (آرنيم). ولعل احجام (كنغ كونغ) عن ذكر (آرنيم) يعود الى عدم

معرفته بالمنطقة التي كان الحلفاء قد اختاروها للانزال المرتقب»[٦]

ويوضح (جيسكيس) انه بالرغم من قناعته الشخصية بان (لنديمانز) كان جديراً بالثقة فان هذا الاخير لم يكن بالنسبة لرئيس هيئة الاركان العامة للقوات الالمانية في هولندا سوى اجنبي مشبوهٍ من المحتمل ان ارساله كان قد تم لاغراض الغش والخداع» كما يبين (جيسكيس) كذلك بان افتراض القوات المسلحة الالمانية قيام الحلفاء بانزال جوي وشيك كان يعود لاسباب اخرى. وقد شكلت المعلومات المستنبطة من مضمون البرقيات اللاسلكية: «لقد كان سيل البرقيات المرسلة في الخامس عشر من ايلول، والتي تم الانصات اليها من قبل الالمان، دليلاً واضحاً على قرب قيام العدو بعملية جوية واسعة النطاق.»[٧] ويستنتج (جيسكيس) في النهاية قائلاً بأن «(لنديمانز) لم يفش بعملية (آرنيم) لانه بكل بساطة لم يكن في موقع يسمح له القيام بذلك!»

ولكن في حالة افتراضنا صحة ما يقوله (بنتو)من أن هناك احتمال مفاده ان (لنديمانز) كان قد اعتبر تحذيره بقرب وقوع الانزال الجوي بحد ذاته افشاءً كافياً بالعملية الامر الذي يفسر اعترافه لاحقاً.

وفي عام ١٩٦٩ قامت (آن لورينس) Anne Laurens بنشر كتاب حول الموضوع بعنوان «قضية لنديمانز» The Lindemans Affair وقد تضمن هذا العمل دراسة متحيزة ومثيرة للجدل توصلت الكاتبة من خلالها الى استنتاج مثير مفاده ان (كنغ كونغ) لم يكن عميلاً بريطانياً مزدوجاً فحسب بل كان كذلك قناة اتصال لعملية غش حليفة كانت غاية في التعقيد. وقد وجدت منظومة الخدمات السرية البريطانية الخؤونة بان المصلحة السياسية قد اقتضت قيامها بنبذ (كريستيان لنديمانز) وتركه لمواجهة مصيره بمفرده بعد ان كانت قد جندته للعمل ضمن اطار عملية استخبارات مضادة في غاية التعقيد واستنفذت ما توخت تحقيقه من خلال عمله. وتقول الكاتبة بهذا الصدد:

«لقد تمكن القائمون على امور الاستخبارات العسكرية الالمانية من التغلغل في كيان عدد كبير من الشبكات التجسسية وافسادها بحيث لم يعودوا يعرفون مكانهم بالضبط. وقد وجدت الخدمات السرية البريطانية ضرورة القيام بمقابلة الاذى بمثله وذلك عن طريق زرع عميل لها في منظمة العقيد (جيسكيس) ـ عميل يقوم باخبار الالمان بتفاصيل قصة تبدو معقولة للغاية بحيث ينخدعون كلياً بها، اما الضربة الاخيرة والاكثر شراً فقد تطلبت ايجاد عميل مزدوج.، يمكن التضحية به عند الضرورة في حالة حدوث خطأ ما غير متوقع او في حالة انتفاء الحاجة لخدماته، لتنفيذ ما يطلب منه القيام به شريطة ان لا يتمتع بعلائق مؤثره.»[٨] وبالرغم من عدم تمكن (لورينس) من تشخيص الضباط الحلفاء

المسؤولين عن تجنيد (لنديمانز) بصفة عميل مزدوج إلا انها كانت على يقين تام بالدور الذي كانوا قد لعبوه. ثم تضيف قائلة: «لقد نسي هؤلاء القادة المكيافيليين امرأ واحداً هو تحذير (لنديمانز) بان في حالة قيام احد من الجانب الذي يعمل لمصلحته باتهامه بالخيانة فلن يلقى هوناً من احد، لا بل انهم سيعمدون الى دفعه الى اعماق الهاوية اذا ما وجدوا ان في ذلك خدمة لاغراضهم.»[٩]

وفي نفس الوقت لم يكن لـ (لورينس) هذه رأياً ايجابياً فيما اورده (بنتو) بهذا الخصوص بل انها زعمت بان الخلاف بينه وبين (لنديمانز) لم يكن لسبب امني بل انما لامور تتعلق بالنساء. ومن خلال كتابه «صياد الجواسيس» اشار (بنتو) عدة مرات الى «مغامرات (لنديمانز) العاطفية وعلاقاته الغرامية التي لا تحصىٰ»[١٠] كما اشار الى ما «اشتهر به من براعة في الامور الجنسية»[١١] وكان (ليندمانز) على ما يبدو «رياضياً مفتول العضل عرف بتمكنه على اسر قلوب النساء.»[١٢] وقد فسرت (لورينس) هذه الملاحظات بانها كانت دليلاً واضحاً على رياء (بنتو) المفرط، كما انتقدت شجبه لمغامرات (لنديمانز) العاطفية. وبهذا الصدد تقول هذه الكاتبة:

«انه لحكم اخلاقي غريب يصدر عن رجل كانت حياته الخاصة اقل ما يقال عنها انها عاصفة. وقد اتهم شخصياً من قبل رؤسائه بتورطه بعلاقات جنسية مع نساء كان يفقد بحضورهن تحفظه وحذره بالرغم من انهن كن، دون ادنىٰ شك، عميلات للعدو.»[١٣]

لم يكن هناك ثمة خطر من قيام بنتو باللجوء الى الاجراءات القانونية إزاء مثل هذا التشهير العلني اذ انه كان قد توفي في شهر ايلول من عام ١٩٦١. ومع ذلك لم تظهر اية ادلة من شأنها تأييد هذا الادعاء اللهم إلا باستثناء ما كان مجرد اشاعات:

«كان هناك ثمة همس يشير الى أن هذين الرجلين قد اضافا الى الحقد والعداوة المستحكمة بينهما قدراً لا ريب فيه من التنافس بسبب النساء اللائي ارتبطا بهن بعلاقات عاطفية مما زاد في تعقيد الامور

وكانت (لورينس) على ثقة بان ثمة دافع خفي كان يكمن خلف محاولة (بنتو) التشكيك باخلاص (ليندیمانز) وولائه. وبهذا الصدد نجدها تقول: «لقد اقسم (بنتو) بانه سوف لن يهدأ له بال إلا بعد تمكنه من اثبات ما وجهه لـ (لنديمانز) من اتهامات ـ تلك الاتهامات العشوائية التي جاءت اساساً بدافع من الحسد.»[١٤]

ومهما يكن من امر تحفظات (لورينس) بصدد (بنتو) ودوافعه فقد وجدت نفسها مضطرة مع ذلك للاتفاق معه بشأن اعتراف (لنديمانز). وكان (بنتو) قد وصف ما صرح

به (لنديمانز) بانه «اعتراف كامل غطت تفاصيله اربعاً وعشرين صفحة من ورق القطع الكبير. وقد كتبت هذه التفاصيل بالآلة الكاتبة»[15] ويتذكر الخبير الهولندي في شؤون مكافحة التجسس بانه كان قد جلب «هذا الاعتراف السري للغاية الى مكتبي وجلس لتمحيصه. وكان هذا الاعتراف اكثر إثارة من تفاصيل اية رواية بوليسية. وانه لمن المرضي جداً ان يقوم المرء بقراءة ما جاء تأكيداً لكثير من الحدس والاستنتاج».

اما (لورينس) فكان لها رواية مغايره:

«استناداً الى ما اورده العقيد (بنتو) قام كريستيان لنديمانز) بعد ذلك بتقديم اعتراف مفصل فيه اربعاً وعشرين صفحة من ورق القطع الكبير. وقد وقع المتهم كل صفحة منها بالاحرف الاولى من اسمه. وقد رفض البريطانيون تسليم اضبارة (لنديمانز) مكتفين بتزويد مكتب الامن الهولندي بمقتطفات مما احتوت عليه من معلومات»[16]

ان الفرق بين الروايتين واضح جداً ولكن الامر الذي يثير الاهتمام بدرجة اكبر هو تحيز كل من العقيد (بنتو) و (لورينس). لقد ظن الاول بان الحكومة الهولندية كانت وراء المؤامرة في محاولة منها لاخفاء قضية (لنديمانز). اما (لورينس) فقد عالجت الحقائق بطريقة حاولت من خلالها اظهار موقف البريطانيين غير المشرف من القضية. ومع ذلك نجدها تفقد الحذر في مناسبة معينة لتوحي ما مفاده ان القرار الذي اتخذ اثر قيام بعض الخلافات السياسية الداخلية بين مختلف مجموعات حركة المقاومة السرية الهولندية قد قضى «بالتضحية بـ (كريستيان لنديمانز) بسبب اطلاعه الواسع على تفصيل (لعبة انجلترا). ولم يتطلب الامر سوى الانتظار حتى يحين الوقت المناسب.

بمجرد قبولها بان (لنديمانز) كان قد قدم اعترافاً يتعلق بـ (آرنيم) وجدت (لورينس) نفسها مجبرة على اعطاء تفسيراً معقداً للامر. وكان (لنديمانز) في الواقع قد وشي، على ما يبدو، بتفاصيل عملية (ماركيت جاردن) ولكنه لم يقم بذلك إلا تلبيه لاوامر صدرت له بهذا الخصوص: «استجابة لاوامر رؤوسائه قام (لنديمانز) باعطاء (كايزفيتر) معلومات تخص عملية (ماركيت جاردن) وقد اعدت هذه المعلومات من قبل الحلفاء لاستهلاك الاستخبارات العسكرية الالمانية (الابفير) وذلك قبل يومين من تأريخ تنفيذ العملية المذكورة»[18]

وللمرة الثانية يتجلى الخلاف المركزي مع (جيسكيس) بوضوح. لقد اصر (جيسكيس)، كما نعلم، على عدم استلامه اية معلومات من (لنديمانز) تتعلق بـ (آرنيم). فكيف تمكنت (لورينس)، اذاً، لامن الاصرار على ان (جيسكيس) كان في الواقع قد استلم هذه المعلومات فحسب بل ان الامر قد تم بتوجيه من البريطانيين؟. ولم يخف امر هذا

التباين عن (لورينس) التي وجدت التعليل له في الغرور المزعوم لـ (جيسكيس):

«ليس من المهم ان يعترف (جيسكيس) بان الذي كان موضع ثقته قد خانه في الواقع. وكما يتضح من سياق مذكراته فانه كان يحب المبالغة في عدد ما نجح في تحقيقه من اعمال وبذلك لم يرغب الاعتراف طوعاً بانه قد خدع اللهم إلا في الحالات التي يستحيل فيها تفادي مثل هذا الاعتراف من جانبه»

فلو كان (جيسكيس) يعاني حقاً من مثل هذا الغرور (وليس هناك ثمة دليل واحد يؤيد ذلك) الم يكن من الاولى به سلك مضمار اسهل وهو الادعاء بتمكنه من الحصول على هذه المعلومات الهامة من (لنديمانز)؟ ان الاعتراف باخفاق عميله في نقل هذه المعلومات الهامة لا يعكس نجاحاً باي حال من الاحوال او مع ذلك نجد تمسك الكاتبة (آن لورينس) بهذا الراي.

والى جانب ذكريات (جيسكيس) هناك ادلة اخرى تؤيد الرأي القائل بان (لنديمانز) لم يكن قادراً على الافشاء بعملية (آرنيم). فهناك، على سبيل المثال، الاستشهاد بما قاله الجنرال (كورت ستيودنت) Kurt Student الذي كان موجوداً على مسرح الاحداث آنذاك: «لم يعلم احد من افراد القيادة الالمانية بامر الهجوم حتى الوقت الذي تم فيه تنفيذه.» وفي كل الاحوال كان تحشد فرقتي البانزر التابعتين لقوات الـ (SS)، واللتين كانتا تعيدان تجمعهما في الوقت الذي بدأ فيه تنفيذ عملية (ماركيت جاردن)، قد بدأ في (آرنيم) حتى قبل قيام الحلفاء بوضع خططهم. بالاضافة الى ذلك فان الانتهاء من وضع التفاصيل النهائية للهجوم لم يتم بصورة كاملة إلا بعد ان كان (لنديمانز) قد مضى لتنفيذ مهمته في المنطقة التي كان يسيطر عليها العدو.

اما في عام ١٩٦٦ فقد قام الكاتب (جون بولوك) John Bulloch على ما يبدو بالتوسع في النهج الذي سلكه (بنتو) في هذا المجال وذلك في كتابه «اعمال تنتسب الى الخيانة» Akin To Treason اذ يقول:

«لقد ادرك الالمان من التقارير الاستخبارية الاخرى وكذلك من مراقبتهم للنشاطات التي كانت تجري خلف الخطوط البريطانية بان هجوماً ما قد بات وشيكاً. ولكنهم لم يتوقعوا لجوء الحلفاء الى استخدام القوات المحمولة جواً كما لم يتصوروا في الحين ذاته بان الهدف كان (آرنيم). وبذلك لابد لـ (لنديمانز).ان يتحمل مسؤولية الخسائر الفادحة التي منيت بها في (آرنيم) الفرق البريطانية المحمولة جواً»[٢٠]

ففي ضوء مثل هذه التقارير ليس من المستغرب ان نجد بان مسؤولي (لنديمانز) البريطانيين بدأوا يعتقدون نتيجة ذلك باحتمال مساهمته في الكارثة التي حدثت في

(آرنيم). وفي عام ١٩٧٤ تذكر العقيد (لانغلي)، الذي كان قد خول (لنديمانـز) القيام بمهمته خلف خطوط الاعداء، معرفته الوجيزة بهذا العميل الهولندي وذلك من خلال كتابه «حارب في يوم آخر» Fight Another Day:

لقد طلب ان يُرسل عبر خطوط الاعداء القريبة من مدينة (ايندهوفين) لكي يتمكن من جمع افراد القوات المسلحة الحليفة الذين كانوا يتفادون قيام القوات الالمانية بالقاء القبض عليهم والذين كان (لنديمانز) على ثقة بانهم كانوا مختبئين بمعية زملائه رجال المقاومة السرية في تلك المنطقة. وقـد قام قسم الاستخبـارات التابـع للجيش الحادي والعشرين البريطاني بالتأكد من سلامة سيرة (لنديمانز) أمنياً وقد اعلمنا بدوره بعدم وجود ما يتعارض مع استخدامه في المهمة المزمع ارساله لتنفيذها. كما وافق على قيامه بالمهمة كذلك القائد الهولندي. اما رئيس قسم مقـاومة الجـاسوسيـة التابـع للقوات الهولندية، العقيد (اوريستوبنتو)، فقد ارسل لي تحـذيراً شخصيـاً يتضمن اعتقاده باحتمال كون (كنغ كونغ) عميلاً المانياً ولكنه (اي العقيد بنتو) لم يكن قد حصل بعد على ما يثبت ذلك بصورة اكيدة. وبذلك اجد نفسي مسؤولاً عما قام به (كنغ كونغ) في النهاية من اعمال»[٢١]

وقد بين العقيد (لانغلي) بانه قد استدعي للمثول امام مجلس تحقيقي إلا ان براءته قد ثبتت بفضل التقرير الامني الذي صدر من قيادة الجيش الحادي والعشرين. ومع ذلك فقد شعر المجلس التحقيقي بانه كان ينبغي على لانغلي أن يأخذ تحذير (بنتو) بدرجة اكبر من الجدية.» كما ثبت لهذا المجلس التحقيقي كذلك بان (لنديمانز) «كان عـلى اتصال بافراد كانوا شخصياً على اطلاع بامر الخطط التي اقتضت استخدام الفرق الامريكية والبريطانية المحمولة جواً ولكنه من غير المحتمل ان يكون قد ادرك مواقع هبـوط هذه القوات.»[٢٢]

وقد بين (لانغلي) بصورة صحيحة بان التقارير الاستخبارية التي تم جمعها في وقت لاحق قد اكدت وجهة النظر التي ترى بان (لنديمانز) لم يكن قد (اوشىٰ) بعملية (ماركيت جاردن). وعلى كل حال فقد ظهرت نتيجة زيارة (لنديمانز) السيئة الصيت الى مقر :الابفير) بتأريخ الخامس عشر من ايلول من خلال التقرير الذي نص على «صرف النظر عن المعلومات لعدم اهميتها.»

ومما لا ريب فيه ان استذكار (لانغلي) لقضية (لنديمانز) قد تم بضمير مرتـاح بالرغم من اعترافه بانها كانت مهـرباً ضيقـاً واذا ما صدقرأي(لانغـلي) فلابـد لقصة

الاعتراف التي اوردها (بنتو) ان تكون على خطأ. وبما ان (آن لورنيس) تسلم بامر قيام (لنديمانز) باعطاء معلومات تخص عملية (ماركيت جاردن) - وان يكن قد قام بذلك بدوافع وطنية) - ينبغي ان تصنف روايتها على انها من باب التخمين. هذا واننا نعلم ممّا قاله (جيسكيس) بان (كنغ كونغ) كان عميلاً (للآبفير) منذ ان تم تجنيده لهذا العمل في عام ١٩٤٣. كما نعلم كذلك بانه لم يكن في موقع يمكنه من الوشاية بـ (آرنيم) حتىٰ اذا كان قد رغب القيام بذلك، أو حتىٰ اذا ظن بانه كان قد قام بذلك فعلاً. ولكن اذا ما اخذنا بعين الاعتبار شعور العداء وعدم الثقة المتبادلة الذي اتسمت به على ما يبدو العلاقة، بين الحلفاء ومجموعات المقاومة السرية الهولندية في خريف عام ١٩٤٤. فلابد للقضية ان تبقىٰ باكملها مرتعاً خصباً لعلماء الاساطير.

الهوامش

١ - بيردي سلفا: صَبُّ روزا: وكالة الاستخبارات المركزية واستخدامات المعلومات الاستخبارية - الصفحة (٧٩).

٢ - اوريستو پنتو: صياد الجواسيس - الصفحة (١١١).

٣ - (المصدر نفسه) - الصفحة (١٢٧).

٤ - (المصدر نفسه) - الصفحة (١٣٩).

٥ - (المصدر نفسه) - الصفحة (١٤٢).

٦ - هيرمان جسكيس: لندن تنادي القطب الشمالي - لصفحة (١٧١).

٧ - (المصدر نفسه) - الصفحة (١٧٢).

٨ - آني لورينس: قضية لنديمانز - الصفحة (١١٩).

٩ - (المصدر نفسه) - الصفحة (١٣٤).

١٠ - اوريستوبنتو - (المصدر نفسه) - صفحة (١٢٢).

١١ - (المصدر نفسه) - الصفحة (١٤٤).

١٢ - (المصدر نفسه) - الصفحة (١٤٥)

١٣ - آني لورينس - (المصدر نفسه) - الصفحة (١٦٩).

١٤ - (المصدر نفسه) - نفس الصفحة.

١٥ - اوريستو پنتو - (المصدر نفسه) - الصفحة (١٣٥).

١٦ - آني لورينس - (المصدر نفسه) - الصفحة (١٨٣)

١٧ - المصدر نفسه - الصفحة (١٧٠).

١٨ - المصدر نفسه - الصفحة (١٨٣).

١٩ - المصدر نفسه - الصفحة (١٤٦).

٢٠ - جون بولوش: اعمال تنتسب الى الخيانة - الصفحة (١٠١)

٢١ - العقيد جي. إم. لانغلي: حارب في يوم آخر - الصفحة (٢٢٧).

٢٢ - (المصدر نفسه) - الصفحة (٢٨٨).

الفصل التاسع

نورمبرغ: الخيانة

Nuremberg: The Double Cross

«لم يشخص الالمان الهدف إلا بعد فترة طويلة من التماس المباشر مع سيل القاصفات، وهي حقيقة من شأنها نبذ الاشاعة القائلة بان معلومات كانت قد تسربت اليهم. واذا كـانت الغارة قد انقلبت نكبة على (قيادة القاصفات) Bumber Command فان ذلك يعود لعدم اعطاء القيمة الحقيقية لخطر اعتـراض سبيل الغـارة من قبل الطائرات (الالمانية) المقاتلة.»

إف. اچ. هينسلي في كتابه: «الاستخبارات البريطانية في الحرب العالمية الثانية» [1]

F.H. Hinsly: British Intelligence In The Second World War

لقد تم توثيق تفاصيل الغارة التي قامت بها القوة الجوية الملكية البريطانية على (نورمبرغ) في ليلة ٣٠/ ٣١ من شهر آذار من عام ١٩٤٤ ونتائجها المروعة، بشكل جيد. فقد تكبد الحلفاء خسارة بالرجال بلغ مجموعها (٧٤٥) قتيلاً من بين افراد طوائف قاصفاتهم، اضافة الى (١٥٠) آخرين وقعوا بين جريح واسير. ولا يزال عدد الطائرات التي خسرها الحلفاء غير معلوم بالضبط وذلك لعدم تمكن الكثير منها، التي سُجلت ضمن الاعداد التي عادت الى قواعدها، من الهبوط بشكل جيد نتيجة اصابتها بنيران مقاومات الطائرات الامر الذي اقتضىٰ شطبها كلياً في وقت لاحق. ومع ذلك فمن المحتمل ان يكون عدد الطائرات التي دمرت (١٧٠) طائرة وهو عدد هائل مقارنة بخسارة القوة الجوية الالمانية التي بلغت اقل من عشر طائرات. ومما لا ريب فيه ان هذه الكارثة كانت اسوأ ما حل بالقوة الجوية الملكية خلال فترة الحرب اذ تكبدت القوة الجوية المذكورة من جراء هذه الغارة بالذات خسائر اكثر فداحة مما كانت قد تكبدته خلال فترة (معركة بريطانيا) الجوية The Batle of Britain باكملها.

وفي الوقت الذي تبقىٰ فيه هذه الاحصائيات المخيفة مجرد مسألة قيودٍ تاريخية، لابد لنا ان نتساءل كيف أمكن لهذه الكارثة ان تحدث؟ لقد كان الدمار الذي اوقعته الدفاعات الارضية الالمانية ومقاتلات (اللفتواف) الليلية بالقوة القاصفة مهلكاً الى درجة ادت بالطيارين الذين بقوا على قيد الحياة إلى التصريح بغضب، وذلك اثناء عملية استخلاص المعلومات منهم: «لابد ان الالمان كانوا على علم بقدومنا». ولابد ان هذا المشهد يعيد الى الاذهان التحقيق الذي اجراه (مونتباتن) اثر كارثة (جوبلي).

وعند استعادة هذه الاحداث والتأمل فيها يمكن التصور بوضوح كيف ان هذه الممارسة لم تكن سوى فشلاً مأساوياً اذا ما كان الهدف من الغارة هو اغواء القوة الجوية الالمانية وجرها الى معركة جوية طاحنة توخياً لدحرها. وبالرغم من احتمال استمرار الجدل حول الاهداف السوقية التي توخت (قيادة القاصفات) البريطانية تحقيقها ليلة الغارة لسنين قادمة فلابد من تمحيص وجهة النظر الاستخبارية بشيء من التفصيل.

وفي عام ١٩٦٧ جاء الكاتب (انطوني كايف براون) في كتابه «غطاء من الاكاذيب» بتفسير مثير للجدل لم يكتف فيه بالادعاء بان الالمان كانوا، وبطريقة يمكن اثباتها، على علم مسبق بامر العملية فحسب، بل ان معلومات كانت قد تسربت اليهم على نحو متعمد وذلك، على حد تعبيره، «من اجل اثبات جدارة الثقة بعميل مزدوج، وهو امر لا يجوز اهمال اخذه بعين الاعتبار»[٢]

وقد قال (كايف براون) مدعياً بان هناك عدداً كبيراً من المكاسب العملياتية التي كان بالامكان تحقيقها من خدعة سوقية كهذه اذا ما اخذنا بعين الاعتبار بان «الغارة كانت بطبيعتها قربانية.» فاللجوء الى عميل يعمل تحت سيطرة وتوجيه الحلفاء واستخدامه كقناة اتصال كان من شأنه تغذية الالمان بتفاصيل تتعلق بالاهداف المستقبلية للقوة الجوية الملكية مما يظهر هذا العميل بمظهر الشخص الواسع الاطلاع والجدير بالثقة في آن واحد. ومن خلال ذلك كله يمكن لهذا العميل ان يكون اداة قيمة لتنفيذ عمليات الخداع البريطانية.

لقد مثلت عملية (فورتتيود) Operation FORTITUDE خطة الحلفاء الرئيسة التي اريد بتنفيذها خداع العدو بغية صرف انتباهه عن المناطق الساحلية التي كان قد تم اختيارها لتنفيذ الانزال على (نورماندي). وكانت خطة (فورتتيود) اجراءاً شاملاً تضمن تنفيذه استخدام مختلف انواع الأسلحة وهي: سفن انزال زائفة جمعت قرب الساحل الشرقي استعداداً، على ما يبدو، للقيام بتعرض برمائي عبر (بحر الشمال) North Sea وتجمعات للقوات والدروع في منطقة (ايست آنجليا) East Anglia تعمد عدم التمويه عنها بشكل جيد واجراءات امنية غير متقنة بخصوص الاتصالات اللاسلكية في المنطقة الجنوبية الشرقية من انجلترا مما مكن محطات الالتقاط الالمانية من تحديد المعسكرات الوقتية التي تم انشاؤها بصورة مستعجلة. وقد تمثلت احدى سبل الخداع الرئيسة التي اعتمدتها عملية (فورتتيود) بالاتصالات اللاسلكية المباشرة بالعدو عبر بحر المانش) وذلك من قبل مجموعة من العملاء المزدوجين الذين كانوا يعملون تحت الاشراف المباشر للخدمات الامنية البريطانية (MI5) .

ولا غرابة في عدم وجود ادلة كثيرة لدى الجهات الرسمية من شأنها تأييد الفكرة التي تشير الى ان (تشرشل) كان قد اوعز الى احد العملاء المزدوجين بالوشاية باحد. اهداف القوة الجوية الملكية البريطانية. ويستشهد (كايف براون) بعبارة (ماسترمان) التي تنص على ان «مقدار المغامرة التمهيدية يتناسب طردياً مع حجم الهدف المتوخى تحقيقه» وذلك كبرهان على ما كان للخدمات الامنية البريطانية (MI6) من استعداد للمخاطرة على نطاق واسع من اجل تحقيق هدف مهم. كما يشّخص (كايف براون) عميلين مزدوجين كانا على اكثر احتمال يمثلان الاداة التي تم من خلالها نقل المعلومات الخاصة بغارة (نورمبرغ). وبهذا الصدد يقول هذا الكاتب: واذا ما تم فعلاً استخدام عميل مزدوج لتحذير الالمان بامر غارة (نورمبرغ) فمن المنطق ان يكون (غاربو) GARBO او

(بروتس) BRUTUS ضمن الاختيارات.» وبسبب تشخيص هذين المرشحين بالذات من قبل (كايف براون) يتعين علينا النظر بامعان بتفاصيل نشاطاتهما.

لقد بدأ (غاربو) و (بروتس) عملهما كعميلين مزدوجين للخدمات الامنية البريطانية في نفس العام، اي في عام ١٩٤٢. وكان (بروتس) معروفاً من قبل السلطات البريطانية وذلك من خلال ادارته لشبكة تجسس ناجحة عرفت بحلقة (إنتييرالي) INTERALLIE وقد عملت هذه الشبكة في (باريس) وذلك بعد الاحتلال النازي لفرنسا عام ١٩٤٠ ان اسم (بروتس) الحقيقي هو (رومان غاربي - زيرينياڤيسكي) Roman garby — Czerniawski وقد كان ضابطاً في القوة الجوية البولونية. وعندما نشبت الحرب، اتفق ان يكون في باريس حيث كان يحضر دورة تدريبية. وقد وشى به احد اعضاء شبكته في شهر تشرين الثاني من عام ١٩٤١ الامر الذي ادى الى اعتقاله من قبل الالمان. وقد كتب في وقت لاحق وصفاً دقيقاً لتجاربه تضمنه كتابه «الشبكة الكبيرة» The Big Network. وبعد سجنه فترة من الزمن في (فريزنيه) Fresnes عرضت عليه الاستخبارات الالمانية (الابڤير) السفر الى انكلترا للتجسس لحسابها مقابل قيامها بانقاذ اعضاء شبكته من الاعدام واعتبارهم اسرى حرب. اثر موافقة (غاربي - زيرينياڤيسكي) على العرض الالماني تقدم في شهر تشرين الاول من عام ١٩٤٢ الى السفارة البريطانية في (مدريد) بهدف اعادته الى بريطانيا متظاهراً بانه من الهاربين. وعند وصوله الى (لندن) تم التحقيق معه إلا ان شهزته كأحد قواد المقاومة السرية كانت قد سبقته الى العاصمة المذكورة. ولم يكشف النقاب، امام مدير الاستخبارات العسكرية البولوني، عن سر الاتفاق الذي كان قد توصل اليه مع (الابڤير) إلا بعد ان تمت تزكيته للاضطلاع بمهام جديدة في مقر القيادة البولونية في (لندن). وبعد ان تداولت الجهة البولونية المذكورة مع الخدمات الامنية البريطانية (MI5) بشأن الموضوع، وافق (غاربي - زيرينيافسكي) على تشغيل جهاز لاسلكي تحت سيطرة واشراف الجهة البريطانية المختصة شريطة ان لا يكون لتعاونه هذا اية خطورة على اعضاء شبكته الذين كانوا لا يزالوا مسجونين في فرنسا. وبعد اعطائه الاسم الرمزي (بروتس) من قبل الخدمات الامنية البريطانية انيطت مسؤوليته بـ (هيو آستور) Hugh Astor. وقد حافظ هذان الاثنان سوياً على جدول زمني منتظم للاتصال اللاسلكي مع (الآبڤير) استمر حتى شهر كانون الثاني من عام ١٩٤٥ عندما تمكنت السلطات الفرنسية من تعقب المسؤولين عن الوشاية بشبكة (انتيرالي) وعكست نواياها بصدد سوقهم للقضاء بغية محاكمتهم علنياً لتعاونهم مع الاعداء. وقد اعتقدت

الخدمات الامنية البريطانية باحتمال إنطواء هذه المحاكمة على خطر استدعاء (بروتس) للادلاء بافادته. وكان من الممكن لهذا التطور في الامر ان يؤدي الى تشويه سمعة (بروتس) واضعاف مركزه امام مسؤوليه الالمان الذين كانوا لا يزالون واثقين تماماً من ولاء جاسوسهم حتى في تلك المرحلة المتأخرة من الحرب. وكان (غاربي - زيرينيافيسكي) ومسؤولة البريطاني لا يزالان على اتصال بـ (الابفير) في عام ١٩٤٤ عندما تم تنفيذ الغارة على (نورمبرغ) كما يوحي (كايف براون).

اما (خوان بوخول) Juan Pujol - اي (غاربو) - فقد وقع تحت انظار السلطات البريطانية في ظروف مختلفة تماماً. كان (غاربو) احد المؤمنين بمبدأ الفلسفة المثالية وقد سبق له عرض خدماته للعمل لمصلحة الخدمات السرية البريطانية (mI6) في مناسبتين كانت الاولى منهما من خلال السفارة البريطانية في مدريد. اما الثانية فكانت من خلال الملحق البحري الامريكي في (لشبونة). ونتيجة رفضه في كلتي المناسبتين عمل لكي يتم تجنيده عوضاً عن ذلك من قبل الالمان. وقد تمكنت الاستخبارات العسكرية الالمانية من الحصول على تأكيد من السلطات الاسبانية بان (بوخول) كان قد تخلى عن (الجمهوريين) Republicans للأنضمام الى قوات الجنرال (فرانكو) الامر الذي تم من خلاله اقتناع الاستخبارات الالمانية بانه من المتعاطفين مع النازية. وبعد تدريبه بعض الشئ على احدث اساليب التجسس ارسل الى (البرتغال) بطريقة بدت وكانه ذاهب الى انجلترا. وبالرغم من قيامه في تموز من عام ١٩٤١ باعلام مسؤوله الالماني عن وصوله بسلام فانه في الواقع لم يكن قد وصل الى ابعد من (كاسيكياس) Cascais وهي قرية لصيد الاسماك تقع قرب العاصمة البرتغالية (لشبونة). ومع ذلك فان تقاريره التي بدأ يرسلها قد تم قبولها من قبل الالمان على علاتها معتقدين - على ما يبدو بانه كان قد بدأ بتطوير شبكة من العملاء الثانويين في مناطق سوقية مختلفة في ارجاء بريطانيا. وبدون علم (بوخول) ومسؤوله الالماني فقد تم التقاط ما جاء في هذه التقارير من قبل البريطانيين الذين كانوا يراقبون سير المراسلات اللاسلكية المتبادلة بين (مدريد) و (برلين) بصورة منتظمة وقد انطلق تحقيق واسع النطاق من اجل اكتشاف حلقة التجسس الجديدة التابعة للاستخبارات العسكرية الالمانية. ولا غرابة في عدم تمكن الخدمات السرية البريطانية من العثور على هذه الحلقة. وقد ثبتت الخدمات المذكورة في النهاية بان معلومات هذه الشبكة لم تكن سوى اخبار مختلقة ومع ذلك فقد بقي هناك ثمة خطر يهدد الامن البريطاني بسبب اقتراب هذه الاخبار المختلقة في بعض الاحيان من الحقيقة. كما اصبح الحلفاء في قلق متزايد ازاء احتمال قيام الالمان - في مرحلة ما - باكتشاف الخداع وادراك سرعة

وقوعهم فريسة للخداع. ولذلك فقد عمدت الخدمات الامنية البريطانية الى استحصال الموافقات الاصولية على تجنيد (بوخول) للعمل بامرتها كعميل. وقد تم لها ذلك. وهكذا قام احد ضباط الخدمات السرية البريطانية بتهريب (بوخول) بصحبة زوجته وولده الى (جبل طارق) حيث تم تسفيرهم جواً من هناك الى ميناء (بليموث) Plymouth وذلك في اواخر شهر نيسان من عام ١٩٤٢. وقد استقبلوا عند وصولهم الى انجلترا من قبل (توماس هاريس) Tomas Harris احد ضباط القسم الاسباني التابع للخدمات الامنية البريطانية الذي اصطحبهم الى (لندن) حيث اسكنهم في احدى الدور التابعة للخدمات الامنية المذكورة والواقعة في (شارع كريسبني) Crespigny Road في منطقة (هيندون) Hendon.

وقد نشأت بين (بوخول) و (هاريس) علاقة رائعة حقاً تبنىٰ ضابط الامن هذا من خلالها شخصيات الكثير من العملاء الثانويين الذين ادعى العميل المزدوج الاسباني وجودهم. وقد تظاهر (غاربو) شخصياً بالعمل لدى (هيئة الاذاعة البريطانية) بصفة مترجم. أما (هاريس) فقد عمد الى مساعدته في اعداد تقارير مطوله وتفصيلية بهدف بث مضمونها الى (الابفير). وقد تم بناء محطة ارسال لاسلكية خاصة لهذا الغرض وذلك في سطح مقر الخدمات الامنية في (لندن). كما قام (تشارلس هينز) Charles Haines احد مشغلي الاجهزة اللاسلكية في قسم الخدمات اللاسلكية، باتصال منتظم مع (مدريد) وفق جدول زمني محدد.

ومرة اخرى يبرز ادعاء مفاده ان (هاريس) قد تعاون مع الالمان وذلك من خلال قيامه ببث تحذير الى الاستخبارات العسكرية الالمانية بخصوص الغارة على (نورمبرغ).

ان عدد الذين لهم علم مباشر بقضية (غاربو) قليل جداً لا سيما بعد وفاة (هاريس) ورئيسه المباشر (دك بروومان ـ وايت) Dick Brooman White اما (غاربو) فهو لا يزال حياً ويسكن حالياً في امريكا الجنوبية بعد تقاعده عن العمل. وبالرغم من مضي الوقت فهو لا يزال يذكر الكثير من الرسائل التي كان قد بثها كما ويصر في الحين ذاته اصراراً ثابتاً على عدم معرفته اثناء فترة الحرب بـاي مصدر كـان له اطلاع على الاهـداف العملياتيـة لـ (قيادة القاصفات). أما (غاربي ـ زيرينيافيسكي) اي (بروتس) فقد كان في مـوقع افضل من حيث تمكنه من الاطلاع على مثل هذه المعلومات وذلك بسبب كونه ضابط ركن بولوني ولكنه يصر هو الآخر بانه لم يكن مطلعاً على هذه المعلومات كما يصر عـلى ذلك مسؤوله البريطاني. فهل يمكننا ان نثق بهم؟

وتتعلق احدى المشاكل التي اشار اليها (كايف براون) اشارة عابرة بالصعوبات

العملية التي كان يواجهها العميل المزدوج عند قيامه بنقل المعلومات الاستخبارية الى الاستخبارات العسكرية الالمانية. وبقدر تعلق الامر بغارة (نورمبرغ) فان الهدف لم يُعلن من قبل المهيب الطيار (هاريس) Air Chief Marshal Harris إلا صباح يوم الغارة. وحتىٰ اذا ما كان باستطاعة العميل التوصل الى معرفة الهدف المتوخىٰ تحقيقه في تلك الليلة، بالرغم من الصعوبات، فانه لم يكن قادراً اساساً على الشروع ببث الخبر من جهازه اللاسلكي متىٰ ما شاء ذلك. فقد كان لكل عميل يعمل على جهاز ارسال لاسلكي (وكان كل من بروتس وغاربو ضمن هذه المجموعة من العملاء) جدول عمل اعد مسبقاً لهذا الغرض. ولم يتطلب هذا الجدول بالضرورة قيام العميل المعني بالبث يومياً. وكان هـذا شأن (بـروتس) و (غاربو) اللذين لم يقوما ببث المعلومات على اساس يومي، اذ لربما كان عليهما الانتظار فترة من الزمن تصل احيـاناً الى اسبـوعين قبـل ان يحين مـوعد اتصـالهما اللاحق بـ (الآبفير).

ومن المتوقع بهذا الصدد ان يقوم (بروتس) ومسؤوله البريطاني بتقديم انكـار ساخط، كما يتوقع كذلك تنصل (روجر هيسكيث) Roger Hesketh ـ احد المخططين لعملية (فورتتيود) ـ من المسـؤولية بـالاضافـة الى ذلك ليس لأي عضو من اعضـاء (لجنة العشرين) ـ ممن لا يزال على قيد الحياة ـ الاستعداد لتأييد الايحاء الذي يشير الى وجود تضحية متعمدة من اجل زيادة الثقة بالعميلين المذكورين وتعزيز مكانتيهما. وعلينا ان نتذكر بان استحداث (لجنة العشرين) كان قد تم خصيصاً لغرض تنسيق المعلومات الاستخبارية المطلوب ارسالها الى العدو. ويبين اعضاء اللجنة المذكورة الاخطار العملية التي تترتب على مثل هذه السابقة الخطرة. فلوبين احد العملاء الموثوق بهم تمكنه من الاطلاع على اسرار القوة الجوية الملكية في مناسبة ما الم يكن من المحتمل انذاك ان تقوم (الابفير) بطلب المزيد؟ وعلى مثل هذه الاسس غير الثابتة فان احتمال تعرض النظام الى المخاطر كان امراً وارداً. ولكن، ألم ينصرف (كايف براون) في الواقع الى الاستشهاد بما قاله (ماسترمان) بصدد ضرورة المغامرة باكثر ما يمكن من اجل الحصول على افضل النتائج؟ لقد مارس (كايف براون) في الحقيقة بعض التفضيل في انتقاء العبارات عندما اختار هذا الجزء بالذات من قول (ماسترمان). ان النص الكامل لما قاله (ماسترمان) قد اوضح المعنىٰ الذي توخىٰ عكسه كما يبين في الحين ذاته بانه كان يناقش المبادئ الكامنة خلف استخدام العملاء المزدوجين وصعوبة تطويرهم ـ ذلك التـطوير الذي استغـرق احياناً سنيناً لكي يثمر ولكي يصبح العميل نتيجة ذلك مكسباً بعد ان كان تبعة خطيرة.

وبهذا الصدد يقول (ماسترمان):

«يبين تمحيص الفصول السابقة كيف تم اعتماد هذه الطريقة في مختلف الحالات. ونكتفي في الوقت الحاضر بالتركيز على الحقيقة الواضحة وهي ان مقدار المغامرة التمهيدية يتناسب طردياً مع حجم الهدف المتوخىٰ تحقيقه. ولكن الواقع يشير الى ان ما سبق دفعه من ثمن لم يكن باهضاً بالمرة بعد كل هذا. فلقد تم تحقيق العديد من الاهداف دون اعطاء العدو (بالمقابل) ايه معلومات سرية او هامة على وجه الخصوص»[٣]

وعلى العكس من تصريحه بان الحصول على عميل مناسب كان يتطلب دفع ثمن باهض، كما يوحي المقطع الذي استشهد به (كايف براون)، فأن (ماسترمان) يعطي القارىء رأياً مختلفاً اذ انه يقول في الواقع بان عميلاً ما. يمكن أن يصبح شخصاً ذا فائدة عظيمة دون ان يقتضي ذلك تزويد العدو باسرار حيوية. وتبرز هنا قضية منزلة العميل لدى مسؤوليه الالمان: فهل كانت ثمة حاجة لاتخاذ ما يلزم بهدف تعزيز سمعته؟ كان جواب (لجنة العشرين) على هذا السؤال بالنفي، اذ انها كانت قد تدارست هذا الموضوع بالذات عندما كانت بصدد اختيار العملاء المزدوجين المناسبين الذين اريد عن طريقهم اقناع الالمان بصحة خطط الخداع التي تطلبها تنفيذ عملية (فورتتيود). وبهذا الخصوص يقول (ماسترمان) عن غاربو:

«خلال الاشهر الاولى من عام ١٩٤٤ بينت المصادر السرية بوضوح بان (غاربو) و (ترايسكيل) كانا الاكثر جدارة بالثقة. ولربما لم يعتمد تراوح مقدار ما كان لهما من اهمية نسبية على المعلومات التي كانا يقومان بتزويدها فحسب بل انه اعتمد كذلك على ما قام به مسؤولهما من ادعاءات بشأنهما»[٤]

ان «المصادر السرية» التي يشير اليها (ماسترمان) هي عمليتي الالتقاط الناجح لسيل المراسلات اللاسلكية لـ (للآبفير) الصادر من ماكنة (انيجما) للتجفير وتحليل مضمون هذه المراسلات. وكان مضمون هذه المراسلات يُصمم على مختلف اقسام وشعب الخدمات الأمنية البريطانية (mI5) وذلك على هيئة نشرات موجزة تحمل الاسم الرمزي (إسوس) Isos. وقد بقي وجود (اسوس) سراً حتىٰ عام ١٩٨١ اي بعد فترة طويلة من ما كُتب من معلومات عن الترا ومن نشر كتاب «غطاء من الأكاذيب». ومن خلال معلومات (إسوس) علم (ماسترمان) بعدم وجود الحاجة لتعزيز مكانة (غاربو) وذلك بسبب تمكن الخدمات الامنية البريطانية من مراقبة سير تقدمه من خلال وجهة النظر الالمانية. اما بالنسبة لـ (بروتس) في عام ١٩٤٤ فان (ماسترمان) يقول:

«في شهر كانون الثاني، وبعد الكثير من التردد، تقرر وجوب استخدام (بروتس) لنفس الغرض ـ اي الخداع السوقي ـ بسبب ما كشفت عنه المصادر السرية من ان مخاوفنا من عدم ثقة الالمان لم يكن لها اساس»[٥]

وهكذا لم تكن سمعة (بروتس) هي الاخرى بحاجة الى تعزيز مصطنع في ذلك الوقت. فاذا لم يلعب العملاء المزدوجون اي دور في الغارة على نورمبرغ) فما الذي تسبب في الكارثة؟ لقد عرض الاستاذ (جونز) Professor R.V. jones، المستشار العلمي لخدمات الاستخبارات السرية البريطانية، رأيه حول الموضوع في كتابه «الحرب السرية للغاية» Most Secret War حيث بين بان البث اللاسلكي الصادر عن القاصفات كان بحد ذاته كفيلاً بتحذير الالمان بصدد الموعد المحتمل لقيام الغارة الجوية وبذلك، على حد تعبيره، «فان ما تم تكبده من خسائر كان امراً متوقعاً في النهاية بسبب اخفاق اية محاولة فاعلة لصرف انظار العدو عن العملية الرئيسة وبسبب الظروف التي سادت في تلك الليلة»[٦]

وقد بحث الكاتب (مارتن مديلبرووك) Martin Middle brook في اسباب الكارثة في كتابة «غارة نورمبرغ». ويتفق هذا الكاتب مع الاستاذ (جونز) بان هناك عدداً من العوامل ـ بما في ذلك حالة الطقس ـ التي لربما حذرت الالمان. كانت ليلة الغارة ليلة صافية وملائمة جداً لعمليات مقاتلات (اللفتواف) الجوية ونار مقاومة الطائرات من بطريات المدفعية الموجودة على الارض. ولابد ان الهلال كان قد أضاء الآثار المكثفة التي تركتها الطائرات الامر الذي جعل من هذه الطائرات اهدافاً سهلة. ولربما لعب بث الرسائل الاستخبارية دوراً هاماً. كما ان قيام الالمان بالتقاط اشارات (قيادة القاصفات) اللاسلكية، اثناء الفحص الروتيني لاجهزة لوحة القيادة في الطائرات، كان بحد ذاته كافياً للتحذير من تجمع تشكيلة كبيرة من الطائرات. وكان هذا الفحص يتم اعتيادياً قبل تزويد الطائرات بالوقود كما كان عرضة لمراقبة شاملة من قبل الالمان

وكما اوضح الاستاذ (جونز) فقد اخفقت الخطط التعبوية في صرف انظار العدو عن العملية الرئيسة اخفاقاً بائساً في ليلة الغارة. وكان قد تم ارسال مجموعتين مستقلتين من الطائرات الى المانيا شكلت احداهما طعماً اريد به تضليل دفاعات العدو. وتتوفر في الوقت الحاضر ادلة تشير الى ان الالمان سرعان ما استطاعوا كشف أي المجموعتين كانت تستخدم رادار توجيه القصف النقطوي الدقيق (H^2S) وبالتالي التوصل الى تشخيص من هي قوة الهجوم الرئيسة منهما. وما أن تخلصت الدفاعات الارضية الالمانية من الطعم حتى انصرفت بعد ذلك الى اعداد خطة استقبال للقوة الضاربة وهي تتوغل بطائراتها

المغيرة في اعماق المجال الجوي الالماني.

ان مثل هذا الشرح يعطي صورة اقل اثارة من تلك التي تعكس خيانة مباشرة وصريحة، كما انه من غير المحتمل ان يساهم في خلق اسطورة، ولكنه يبقى في كل الاحوال التفسير الاكثر جدارة بالتصديق ان علم تحليل المعلومات الاستخبارية هو فن ربط مختلف اجزاء ومفردات المعلومات لا الاعتماد كلياً على مصدر واحد. ويتم الحصول على الصورة الاجمالية عن طريق تشابك سلسلة من الاجزاء الصغيرة بعضها بالبعض الآخر الى حد ما يتسنى من خلاله للوحدات المتفرقة ان تتداخل فيما بينها لتشكل الصورة الاستخبارية الكاملة للحقيقة لا للاسطورة.

الهوامش

١ ـ إف. إتش. هنزلي: الاستخبارات البريطانية في الحرب العالمية الثانية ـ المجلد الثالث ـ صفحة (٥٦٦).

٢ ـ انطوني كايف براون: غطاء من الاكاذيب ـ الصفحة (١٥١).

٣ ـ السيرجون ماسترمان: نظام الخداع في حرب (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) ـ الصفحة (٩).

٤ ـ (المصدر نفسه) ـ الصفحة (١٤٨).

٥ ـ المصدر نفسه) ـ (نفس الصفحة)

٦ ـ آر. في جونز: حرب سرية للغاية ـ الصفحة (٣٩٣)

الفصل العاشر

رجل يدعى الجسور

A Man Called Intrepid

«لابد لي ان أقر بان حيرتي لا تقل عن دهشتك ازاء ما ضمن به السيد (ستيفنسون) كتابه من استشهاد بقولنا بان في حوزتنا وثائق تعود لمكتب (التنسيق الامني البريطاني) British Security Coordination اذ لا وجود لاية وثيقة منها ضمن ما استلمناه لحد الآن من مواد.»

هذا مقطع من الرسالة التي وجهها امين الاراشيف في جامعة (ريجينا) الى المؤلف بتاريخ ٢٢/ ٣ / ١٩٨٤ وذلك بخصوص كتاب «القضية الاخيرة للجسور» (لمؤلفه وليام ستيفنسون).

قول (للسير وليام ستيفانسون) يستشهد به (وليام ستيفنسون) في كتابه «اخوة بورمان»

في اعقاب الحرب العالمية الثانية دعي بعض ضباط الاستخبارات البـريطانيـين لكتابة سرد موجز لاعمالهم اثناء الحرب لكي تسجل هذه المعلومات للتأريخ. ولم تكن هناك اية نية بالمرة لنشر هذه التواريخ الداخلية بالرغم من قيام بعض المـؤلفين بـالاحتفاظ بنسخهم الشخصية التي وجدت طريقها الى الظهور في بعض الاحيان. وقد اعطى (روجر هيسكيث) ـ احـد مخـططي الخـداع البـارزين في عمـليـة الانـزال الحليـف في (نورماندي) ـ لتأريخه السري عنـوان (فورتتيـود) وذلك تيمناً بـاسم حملة الخداع الحليفة التي تم تنفيذها في غضون الاسابيع التي سبقت الانزال الحليف على سواحل (نورماندي). وقد قامت وزارة الخارجية البريطانية بطبع عـدد محدود من نسـخ هذا الكتاب ثم ختمت كل نسخة بعبارة «سري للغاية.» وفي عام ١٩٦٨ ظهر جزء كبير من المعلومات التي تضمنها هذا العمل في كتاب لـ (سيفتون ديلمار) Sefton dlelmar بعنوان «الجاسوس المزيف» The Counter Feitspy ولم يكن (هيسكيث) قد استشـير بامـر كتاب (ديلمار)، وعندما اعترض عـلى نشره اكتشف بـان حقوق الطبـع والنشر تعود للتـاج البريطاني. وبعد نزاع قانوني طويل كان من شأنه الاخفاق في منع نشر طبعةٍ انكليزية تم سحب كتاب (ديلمار) من الاسواق في الولايات المتحدة.

وقد ظهر في عام ١٩٧٢ عمل آخر تناول التأريخ السري للحرب ـ كتب خصيصاً للخدمات السرية البريطانية ـ وذلك من قيام (ماسترمان) بنشر كتاب بعنـوان «جهاز الغش في حرب ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥». وكان (ماسترمان) قد دعي لتوثيق نشاطات (لجنـة العشرين) وذلك بعد فترة قصيرة من انتهاء العمليات العسكرية وقد احتفظ بنسخة من عمله هـذا الذي عمل عـلى نشره بعـد ذلك في الولايات المتحـدة. وقد أغضب اجـراء (مـاسترمـان) هذا الخـدمات الامنيـة (MIs) التي حاولت ايقـاف نشر الكتاب إلا ان (ماسترمان) استطاع الفوز بما يريد وذلك جراء حصوله عـلى موافقـة رئيس الوزراء البريطاني (إدوارد هيث).

وبعد مرور اربع سنوات، اي في عام ١٩٧٦، ظهر سرد آخر تناول الجانب السري من تاريخ الحرب وتضمن في عين الوقت اعلاناً عن كتاب وشيك للمؤلف الكندي (وليام ستيفنسـون) William Stevenson بعنوان «رجـل يدعى الجسـور». وقـد استنـد عمـل (ستيفنسون) هذا على ما اسماه بـ «اوراق مكتب التنسيق الأمني البريـطاني» وهي عبارة عن مجموعة الوثائق الرسمية التي يتم من خلالها تتبع نشاطات المكتب المذكور في (نيويورك) للفترة من عام ١٩٤٠ الى عـام ١٩٤٥. واستناداً الى مـاقاله (السر وليـام

ستيفـانسون) Sir William Stephenson ،الرئيس السـابق للمكتب آنف الذكر فـأن هـذه الاوراق «قد تألفت من عدد كبير من المجلدات الضخمة والوثائق التي غطت تفاصيل خمسة اعوام من النشاطات المكثفة وآلاف العمليات عبر العالم» (١).

ومن المعروف ان (دك إلس) Dick Ellis ،نائب (ستيفانسون) إبان الحرب، كان حقاً قد ساهم مباشرة بعد الحرب في اعداد مثل هذا الموجز بالضبط لدائرة القيود التابعة للخـدمات السـرية البـريطانيـة (MI6). وقد ادى تـرقب المزيـد من افشاء المعلومـات السرية - على غرار ما قام به (ماسترمان)- الى اشاعة الرعب في قلب الجهات الرسمية في لندن. وبالفعل فقد سعى (السير دك وايت) Sir Dick White، منسق المعلومات الاستخبارية في مجلس الوزراء البريطاني، جاداً الى تحديد مصدر «هذا المقدار الضخم من الوثائق» التي اعتمدها الكاتب (ستيفنسون) ولكن بدون جدوى على ما يبدو.

لقد (توفي دك ألس) في الخامس من تموز من عام ١٩٧٥. اما كتاب «رجل يدعى الجسور» فقد ظهر بمقدمة جذابة كتبها (الس) ووّثق فيها ماجاء فيه من نص، كما اكد في عين الوقت بانه كان قد وضع مجمـوعته الخـاصة من الاوراق تحت تصـرف الكاتب (ستيفنسون).

وهناك عدد من النقاط المربكة في المقدمة التي كتبها (إلس) والتي احتوت على بعض الاخطاء التي تثير الدهشة لا سيما وأن العديد منها كان يتعلق بمهنته. اما التناقض الاكثر وضوحاً فهو ادعاء (الس و) بأن كتاب (مونتغمري هايد الاول) عن سيرة - السير وليام ستيفانسون الذي نشر تحت عنوان «الكندي الهادئ» The Quiet Canadian - قد لقي تأييداً من الاوساط الرسمية بسبب تلهفهـا للتعويض عن هـروب (كيم فلبي). وبهذا الصدد يقول (الس) في المقدمة: «بامكاني الآن القول بان السبب في رفع الجظر عن امر (الارتباط الامني البريـطاني) في عام ١٩٦٢ يعـود الى هرب (كيم فلبي) الى الاتحـاد السوفياتي» (٢). ويبدو هذا القول غريباً بشكل خاص اذا ما اخذنا بعين الاعتبار بان نشر كتاب (مونتغمري هايد) قد تم في شهر تشرين الثاني من عام ١٩٦٢ اي قبل شهرين من هرب (فلبي) الى الاتحاد السوفياتي والذي حدث في شهر كانون الثاني من عام ١٩٦٣.

كان(دك الس) قد التحق اصلاً بالخدمة القنصلية لصاحب الجلالة في عام ١٩٢١ حين عمل في اسطنبول. ولكنه نُقل الى العمل لدى خدمات الاستخبارات السرية (MI6) في عام ١٩٢٣ اثر توصية رفعها بهذا الخصوص الرائد (لانغتن) Major T. M.Langton ، رئيس مركز الخدمات السرية (MI6) في باريس. اما تعيينه بوظيفة مساعد ضابط الجوازات في

السفارة البريطانية في برلين وهي وظيفة مخصصة لمنتسبي الأستخبارات السرية ـ تأيد بموجب كتاب صدر بتأريخ ٢٤/١٠/١٩٢٣ من المقر العام لخدمات الاستخبارية السرية البريطانية في لندن الى وزارة الخارجية. وبالرغم من ذلك نجد ان (الس) قد صرح في مقدمته بانه كان قد امضى على حد تعبيره «عشرين عاماً في مهنة الخدمات السرية البريطانية عندما قامت لندن عام ١٩٤٠ بتعيني للعمل في مكتب (التنسيق الامني البريطاني) في (نيويورك)». ولكنه في الحقيقة كان قد امضى ما يقرب من سبعة عشر عاماً فقط في تلك الخدمة آنذاك. ولربما في الامكان تفسير هذا الخطأ بالرجوع الى «دليل الأشخاص» Whos Who الذي يشير الى «مختلف الوظائف القنصلية منذ عام ١٩٢١». وقد يوحي مثل هذا الوصف لمن له اطلاع على ما يعطي لضابط الخدمات السرية من غطاء دبلوماسي تقليدي بان (إلس) كان حقاً قد التحق بالعمل لدى الخدمات السرية البريطانية في عام ١٩٢١. اما الحقيقة فهي ان (الس) قد امضى عامين في العمل الفعلي بصفة وكيل نائب القنصل قبل نقله للعمل لدى الخدمات السرية .وانه لامر ملفت للنظر، على ما يبدو، ان يكون (إلس) على استعداد للخروج على العرف المعمول به والذي يتفادى بموجبه ضباط الخدمات السرية ـ سواء كانوا عاملين فعلاً ام متقاعدين ـ من الاقرار بدورهم السري. ويثير هذا القرار من جانب (إلس) دهشة بصورة خاصة اذا ما اخذنا بعين الاعتبار اعترافه عام ١٩٦٧ بانه كان قبل الحرب قد باع الى الالمان اسراراً تعود للخدمات السرية. وبالرغم من ذلك لم يتخذ بحقه اي اجراء كما لم يتوقف دفع راتبه التقاعدي الذي كان قد بدأ باستلامه منذ عام ١٩٥٣. ومن المؤكد ان قيامه باقرار كتاب يتناول موضوع التجسس كان يعني المجازفة براتبه التقاعدي ولربما المجازفة كذلك برضا السلطات عنه ـ ذلك الرضا الذي اعتمدت عليه حريته بالاساس.

ان جدوى ظهور اسم (دك إلس) على مقدمة كتاب «رجل يدعى الجسور» هو اعطاء هذا العمل علامة الموافقة على النشر في ظل رقابه رسمية. ولكن الكتاب بحد ذاته قد احتوى على تناقض لايمكن تفسيره الامر الذي يعني احد امرين: اما عدم تمكن الكاتب من الاطلاع بسهولة على تأريخ زمن الحرب الذي كتبه (إلس) او لربما أن هذا الأخير قد توفي قبل ان يتيسر له قراءة التجربة الطباعية الاخير للكتاب. وتكفي المقدمة التي كتبها (إلس) بحد ذاتها للتأكيد على ان الاحداث التي يتناولها الكتاب تشكل خطراً باعتبارها حقائق لا تقبل النقض الامر الذي يتسبب في ظهور المزيد من الاساطير. وتتعلق الاسطورة الاولى بالاسم الرمزي لـ (السير وليام ستيفانسون) ـ اول رئيس (لمكتب التنسيق الامني البريطاني) ـ وبالعنوان البرقي لمؤسسته هذه، اذ قد حصل، على مايبدو، بعض الاختلاط

بشأنهما. ففي شهر تموز من عام ١٩٤٠ تم ارسال الخبير المالي ليرأس مركز الخدمات السرية البريطانية في (مانهاتن) وذلك خلفاً للنقيب البحري (السيرجميس باجييت). Cap-tain sir james paget,K.N. الذي تم استدعاءه الى لندن. وكان (باجييت) الامريكي من جهة الأم يقترب من الخمسين من عمره آنذاك. اما (ستيفانسون) فكان يصغره بستة اعوام وقد طُلب منه تعزيز العلاقات الانجلو ـ امريكية. وكان احد الطيارين المتفوقين في الحرب العالمية الاولى وقد استطاع بعد ذلك ان يكون ثروات طائلة من جراء عمله كرجل صناعة ناجح. وكان في الثلاثينات مسؤولاً عن الحصول على العديد من التقارير الهامة المتعلقة بصناعة الحديد الصلب الالمانية وذلك لحساب (مركز ديزموند مورتون للاستخبارات الصناعية) Desmond Mortonss Industrial Intelligence Centre في لندن. والى حد عام ١٩٣٥ كان (مركز الاستخبارات الصناعية) مكتب شخصي يعمل على ارسال المعلومات السوقية (الاستراتيجية) الى (مجلس تنظيم التجارة الخارجية) البريطاني Board of Overseas Trade والى قسم الاستخبارات الاقتصادية التابع للخدمات السرية البريطانية. وكان من بين زبائن هذا المركز عدد من الساسة البارزين بما فيهم (ونستون تشرشل).

وبالرغم من ان ستيفانسون لم يكن من ضباط الخدمات السرية البريطانية فقد تم اختياره لتولي مهام وشؤون الخدمات السرية في الولايات المتحدة. وقد نمى مركز (مانهاتن) في ظل رئاسة (ستيفانسون) ليضم خمسة اقسام إنفرد كل منها بنشاط استخباري مستقل. وقد ترأس (دك إلس) نائب (ستيفانسون) قسم الاستخبارات السرية. اما الاقسام الأربعة الاخرى فكانت: قسم العمليات الخاصة (المسؤول عن التنسيق مع هيئة العمليات الخاصة في لندن) الذي ترأسه (انغرام فريزر) Ingram Fraser وقسم الحرب الاقتصادية الذي ترأس (جون بيبر) Jchn Pepper احد رجال الاعمال السابقين في لندن وقسم الحرب السياسية الذي ترأسه سيدرايك بيلفريج Cedric Belfrage وقسم الامن الدفاعي الذي ترأسه (دبليو. تي رين)W.T.Wren .

ومن الناحية السياسية كان التنسيق مع حكومة الولايات المتحدة ادق جانب لمهمة (ستيفانسون) لاسيما ان القطر المذكور كان محايداً في ذلك الوقت وقد ساد في لندن آنذاك اعتقاد مفاده احتمال تمتع مواطن كندي معروف كـ (ستيفانسون) بنصيب اوفر من الحظ ضمن اطار «التفاهم» مع الامريكيين الامر الذي يؤدي الى كسب ثقتهم. وقد تمكن (ستيفانسون) من إقامة صداقه ابدية مع (وليام دونوفان) ـ الشخص الذي اختاره الرئيس الامريكي (روز فيلت) من اجل استحداث مؤسسة استخبارية امريكية ـ كما

اسس معسكر تدريبياً يقع في الجانب الكندي من الحدود الامريكية ـ الكندية بهدف تدريب الامريكيين على الاساليب الاستخبارية البريطانية. ومن خلال ممارسة نفوذه الشخصي على منظمة (دونوفان) الفنية ـ التي عرفت فيما بعد بـ (دائرة الخدمات الاستراتيجية) Office of Strategic Services ـ تمكن (ستيفانسون) من ان يضع نفسه في موقع متميزاً كما استطاع ان يحقق مساهمة بارزة في الحرب الاستخبارية التي كانت تديرها الدول الحليفة. وقد منح بعد الحرب لقب «فارس من قبل الحكومة البريطانية لقاء ماقدمه من خدمات كما انعمت عليه حكومة الولايات المتحدة الامريكية بوسام الاستحقاق.

ينطوي كتاب «رجل يدعى الجسور» على ايحاء مفاده ان الخبير المالي الكندي ـ اي (ستيفانسون) ـ كان قد اعطي الاسم الرمزي (انتريبيد) intrepid (اي الجسور) عندما ارسل لترأس مركز الخدمات السرية في (نيويورك). وبهذا الصدد يقول الكاتب (ستيڤنسون) في معرض تدوينه اللحظة التي وقع فيها اختيار رئيس وزراء بريطانيا على (ستيفانسون): «كان (تشرشل) يؤمن ايماناً راسخاً باستخدام الاسماء المجفرة.» وضمن هذا السياق يسترسل الكاتب ليقول عن (تشرشل): «ثم اضاف قائلاً ـ لابد لمن سيكتب له جرامريكا الى الحرب ان يكون جريئاً. ثم توقف وهلة ليضيف: او لربما مقداماً؟ ثم اخذ يبحث عن العبارة الملائمة بينما وقف (ستيفانسون) منتظراً. وفجأة قال (تشرشل). عليك ان تكون جسوراً».[٣] لا يبدو الكلام هذا محتملاً اذا ما ادركنا بان عبارة «الجسور» كانت في الواقع العنوان البرقي لـ (مكتب التنسيق الامني) الذي كان احد المكاتب التي ضمها (مركز روكفلر) The Rockefeller Centre وهو المبنى المرقم (٦٣٠) والواقع في الشارع الخامس في مدينة (نيويورك). وقد سجل المكتب المذكور بهذا الاسم بالذات لدى شركة (ويستيرن يونيون) Western Union وكان (ستيفانسون) شخصياً قد اعطي الرقم الرمزي (٤٨١٠٠) الذي اذا ما تضمنته نصوص البرقيات ادرك المقر العام للخدمات السرية البريطانية في لندن بان هذه البرقيات قد صدرت من رئيس مركزها في (نيويورك). وقد شُخص كل مركز من مراكز الخدمات السرية البريطانية التي انتشرت في ارجاء العالم بعدد ذي خمس مراتب كانت اول مرتبتين فيه تشيران الى القطر الذي يقع المركز فيه بينما شخصت المرتبتان التاليتان هوية المسؤول في ذلك المركز. وبذلك كان العدد (٢٠٠) يعني نائب رئيس المركز (اي دك إلس في هذه الحالة) اما العدد (٥٠٠) فكان يعني ممثل (القسم الخامس) في المركز ذاته. اما العملاء الذين كانوا

يعملون بامرة الضباط هؤلاء فقد اشارت اليهم المراسلات بالمرتبتين الاخيرتين من الرقم الرمزي. فعند استلام (لندن) رسالة موقعة من قبل (٤٨٩٠٠) تذكر لقاءاً حديث العهد مع (٤٨٩٠٣) الذي كان من المزمع توجهه بحراً الى (ثيرتي سكس لاند) (THIRTYSIXLAND) يكون المعنىٰ واضحاً لمن له اطلاع شامل على دقائق هذا النظام المعتمد اذ بهذا الصدد تكون الرسالة هذه قد ارسلت من قبل (بل روس ـ سمث) BILL Ross — Smith ـ احد المسؤولين العاملين بامرة (ستيفانسون) ـ الذي يقول فيها بان (٤٨٩٠٣) كان على وشك التوجه لزيارة (السويد).

وبسبب ما تطلبه القانون الامريكي من وجوب قيام كافة العاملين لحساب حكومات اجنبية بتسجيل اسماءهم لدىٰ وزارة الخارجية الامريكية لم يكن امر وجود (مكتب التنسيق الامني) البريطاني في (نيويورك) سراً مغلقاً اذ كان قد سجل في الوثائق العامة في (واشنطن). كما كان العنوان البرقي «إنتريپيد ـ نيويورك» موجوداً لدى كافة مكاتب البريد. إلا ان النقطة الرئيسة التي يجب ابرازها هي ان عبارة «انتريپيد» كانت تشير الى المركز لا الى رئيسه. وبعبارة اخرى فقد استمر ارسال البرقيات الخاصة بـ (مكتب التنسيق الامني) الى «انتريپيد» حتىٰ عندما يكون (٤٨١٠٠) في لندن اثناء زياراته الى هذه العاصمة.

وثمة سوء فهم آخر نتج، على ما يبدو، من اختيار (الترا) كأسم رمزي لمحللي النصوص المرمزة في (بليتشلي). وكما هو معروف فقد نجع خبراء حل النصوص المرمزة في (بليتشلي) إبان الحرب في فك عدد من الجفرات الالمانية وذلك باستعمال ماكنة جفرة (انيغما). ويوحي كتاب «رجل يدعى الجسور»، على حد تعبير مؤلفه، بان هناك «جهاز آلي ادى استخدامه الى تخفيض حجم عمل المتخصصين بعلم الرياضيات. ولم يكن قد تم آنذاك الكشف ـ بصورة منتظمة ـ عن فحوى اسرار العدو من إلتقاط اوامر القيادة الالمانية العليا. ومع ذلك كان هناك شعور بتحقيق تقدم كان بحد ذاته كافياً لكي يقوم (ستيفانسون) برفع اقتراح بتصنيف المعلومات الاستخبارية المستخلصة من هذا المصدر على انها (الترا سرية للغاية).»[1]

ولكن هذا التصنيف لم يتم إلا في شهر حزيران من عام ١٩٤١، اي بعد مرور اكثر من اثني عشر شهراً. كما احيطت اولى نصوص (بليتشلي) السرية بغطاء من الخداع صورها على انها معلومات كانت ترسل من عميل للخدمات السرية يعمل تحت الاسم الرمزي (بوني فيِّس) BONIFACE. وقد توقف العمل باسلوب الخداع هذا بعد ان اتضح

قيام كل من مدير الاستخبارات العسكرية ومدير الاستخبارات الجوية باهمال المعلومات الواردة من (المقر العام للاتصالات الحكومية) (GCHQ) الامر الذي ادى الى اعتماد البادئة CX. وهكذا اخذت كافة نصوص (المقر العام للاتصالات الحكومية) المرمزة المعنونة الى وزارتي الحرب والطيران تصل هاتين الوزارتين من خلال الخدمات السرية البريطانية كما أخذت جميع هذه النصوص تحمل التصنيف (cx / سري للغاية) . CX/Top SECRET. وكان لقسم الاستخبارات البحرية Naval Intelligence Division قبل حزيران من عام ١٩٤١ اتصالات مباشرة بـ (المقر العام للاتصالات الحكومية) كما كان القسم المذكور يشير الى المعلومات الاستخبارية الملتقطة بالاسم الرمزي (هايدرو) HYDRO. اما بعد حزيران من عام ١٩٤١ فقد حذف القسم المذكور عبارة (هايدرو) واعتمد عبارة «سرالترا»[٥]

وقد ادى الكشف عن انجازات (المقر العام للاتصالات الحكومية) الى قيام العديد من الناس باعادة تفسير بعض الاحداث الهامة التي وقعت اثناء فترة الحرب. وقد حاولت من خلال الفصل الاول من كتابي هذا دحض مزاعم الاسطورة التي نجدها تظهر ثانية في كتاب «رجل يدعى الجسور» والتي تبين بان مكسري الجفرات في (المقر العام للاتصالات الحكومية) كانوا قد التقطوا مضمون الأمر الذي شخص مدينة (كوفنتري) بصفته الهدف الذي سعت.قاصفات القوة الجوية الالمانية الى قصفه ليلة ١٤/١١/١٩٤٠. وقد أوحي كذلك بان (ستيفانسون) كان قد اخبر الرئيس الامريكي - من خلال (بليتشلي) - بتفاصيل الموقف الالماني بعد الاخلاء البريطاني من (دانكيرك) ولو ان الامر هذا لم يكن ممكناً اذ كانت امكانية (المقر العام للاتصالات الحكومية) قد اقتصرت آنذاك فقط على حل مفاتيح جفرة (انيغما) الخاصة بالقوة الجوية الالمانية. اما نصوص (انيغما) الخاصة بالقيادة العليا للقوات المسلحة الالمانية فلم يتم التوصل الى تحليل كسرها (حلها) حتى عام ١٩٤٢ كما هو موضح بالتأريخ الرسمي الذي ينص على: «.... ولم يكن ممكناً قراءة نصوص (انيغما) المرمزة الخاصة بالبحرية الالمانية، وتلك الخاصة بالجيش الالماني، بصورة عامة وعلى نطاق واسع إلا بعد انقضاء اشهر عديدة.»[٦] كما يلمح (ستيفنسون) كذلك الى ان نجاح محللي الانظمة (البريطانيين) قد وصل حداً في اوائل صيف عام ١٩٤٠ مكنّ لـ «(الترا) من استعادة تفاصيل خطط الغزو الهتلري واسم هذه الخطط الرمزي (سي لايون)»[٧] SEALION وذلك بالرغم من موقف البروفسور (هنسلي) إزاء هذه النقطة بالذات اذ يقول: «وبتأريخ الحادي والعشرين من شهر ايلول جادت ماكنة (انيغما) بالاسم الرمزي (سي لايون) للمرة الاولى.»[٨]

اما تحديد ما اذا كان مؤلف كتاب «رجل يدعى الجسور» قد اخطأ فهم مـواد مصدره ـ او انه اعتمد على معلومات غير تلك التي زوده بها (دك إلس) ـ فيكاد يكون امراً مستحيلاً. فمن خلال وجوده في (نيويورك) كان (إلس) على اتصال اسبوعي بممثل (ادغار هوفـر) المحلي (پيـرسي فوكسـوورث) percy foxworth، ومع ذلك نجـد ان كتاب (ستيفنسون) يشير الى ضابط (مكتب التحريات الفدرالي) هذا باسم (سام فوكسوورث). ولعل هذا التباين لا يشكل سوى هفوة صغيرة من جانب الكاتب إلا ان تعدد الهفوات لابد ان يعمل على اضعاف مكانة الكتاب ويبعث على التشكيك في صحة ما يقدمه من معلومات.

اما الصور الفوتوغرافية فتعطي هي الاخرى انطباعـاً خاطئـاً ـ فقد زعُم بـان اربعين من مجموع ثلاث واربعين صورة قد جاءت «من اوراق مكتب (التنسيق الأمني البريطاني) المحفوظة في اراشيف المركز (M). وفي الواقع فان اربع عشرة صورة منها هي مشـاهـد سينمـائيـة من فيلم «مـدرسـة الأخـطار» School For Danger الذي انتـج في استوديوهات (پاينوود) Pinewood Studios (البريطانية) بعد الحرب. كما كان قد تم نشر اربع صور منها في كتابي (مونتغمري هايد) «الكندي الهادئ» و «سنشيا» Cynthia وهما من كتب السيرة. وكانت واحدة من هذه المجموعة هي صورة لخريطة كان الاستاذ (فوت) قد علق الحواشي عليها عام ١٩٦٢ ليتضمنها كتابه الموسوم «هيئة العمليات الخاصة في فرنسا» الذي نشر عام ١٩٦٦. اما الصورة الفوتوغرافية لـ (نور عناية خان) ـ عميلة (هـيئـة العمـليـات الخـاصـة) التـي اطلق عـليـهـا الاسـم الرمـزي (مـادلين) MADELEINE ـ فتشبه الصورة الايضاحية التي تضمنها كتاب «مادلين» للكاتبة (جين أوڤيـرتون فـولير) Jean Overton Fuller الذي نشر عام ١٩٥٢. واخيـراً هنـالك صـورة فوتوغرافية مكبرة لـ (كيم فلبي) اثناء حضوره مأدبة عشاء كانت قد اقامتها جمعيـة الصداقة الانجليزية ـ الالمانية THE Anglo — German Fellowship قبل الحرب. وكانت هذه الصورة قد نشرت في كتاب «مؤامرة فلبي» لمؤلفيه (بروس پيج) Bruce Page و (فيليب نايتلي) Philip Knightley. اما في كتاب (ستيفنسون) فقد اضيفت اليها بعض الرتوش على ما يبدو.

اما التفاصيل التي بدت اكثر تشويشاً فكانت تلك التي تعلقت باغتيال (راينهارد هايدريش) Reinhard Heydrich الذي كـان (الرايخ) الالمـاني قد عينـه في منصب حامي مقاطعتي (بوهيميا) و (مولداڤيا) The Reich Protector of Bohemia (في نشيكلوسلوفاكيـا المحتلة) اذ يبدو بان المؤلف قد ظن بان اللذين قد قاما بعملية الاغتيال كانا قد دربا في (كندا) كما ظن المؤلف كذلك بان (السير وليام ستيفانسون) كان له علاقة بهذا الحدث من

الحرب.

في الواقع كان هناك مخططان انصرفا اصلاً الى تنفيذ عملية اغتيال احد كبار المسؤولين النازيين. وقد استهدف المخطط الاول ـ الذي وضعه الرائد (فاكلاف موراڤيك) Major Vaclav Moravek ـ اغتيال (كارل فرانك) Karl Frank. وكان (موراڤيك) احد القادة الاوائل لحركة المقاومة التشيكية السرية وقد بقي في وطنه الام بعد الاحتلال النازي. اما (كارل فرانك) فكان الماني من مقاطعة (السوديت) التشيكية وقد شغل بعد الاحتلال منصب وزير خارجية حكومة «المحمية». وكان (مورافيك) قد «نقل فكرة (الاغتيال) الى الجنرال (بارتيك) General Bartik ـ مدير الاستخبارات العسكرية التشيكية في لندن ـ في وقت مبكر من شهر ايلول من عام ١٩٣٩.»[٩]

وقد اشار سرد كان قد كتبه رئيس (المكتب الثاني) Deuxieme Bureau في الحكومة التشيكية في المنفىٰ (فرانتشيسيك موراڤيتش) Frantisek Moravec الى أن الرئيس التشيكي (بينيش) Bene˘s كان قد سعى لوضع هذه الفكرة في حيز التنفيذ» في اواخر عام ١٩٤١» ويستذكر (موراڤيتش) من خلال سرده هذا قائلاً:.. وقد اتضح من جراء مناقشة فكرة الرئيس (بنيش) وجود هدفين محتملين للاغتيال كان اولهما الخائن التشيكي عما نوئيل مورافيتش Emanuel Moravec اما الثاني فكان (هايدريش) نفسه. ويصف (فرانتشيسك موراڤيتش) كيف انه قام بفرض اجراءات امنية مشددة حول المخطط. وبهذا الصدد نجده يقول: «وكان نائبا، المقدم (سترانكميولير) Strankmueller والنقيب (فرايتج)، احد ضباط الركن العاملين بامرتي، هما الوحيدان ـ اضافة الى الرئيس (بنيش) ولي شخصياً ـ اللذان كان قد اجيز لهما الاطلاع على تفاصيل المخطط.»[١٠] وكان عدد الذين اجيز لهم الاطلاع على المخطط محدوداً جداً بحيث بقي الامر سراً حتىٰ عن الضابط التشيكي الاقدم الذي كان وزيراً للدفاع الوطني ـ وهو «الجنرال (انغر) General Ingr ـ الذي كان على علم بكافة مهماتنا الخاصة».

وبالرغم من هذه الاجراءات الامنية المشددة يسلم (موراڤيتش) بالمتطلبات العملياتية التي فرضت وجوب التشاور مع السلطات البريطانية والتعاون معها حول اوجه فنية معينة للمهمة. وبهذا الصدد يبين (موراڤيتش) بأن «الضرورة قد اقتضت إشراك العديد من مسؤولي الخدمات السرية البريطانية (MI6) ـ الذين عملوا معنا في الجانب الفني لهذه العملية وغيرها من العمليات الخاصة ـ في الأطلاع على هذه المعلومات.»

وكان الشخصان اللذان اختيرا اصلاً لتنفيذ الاغتيال هما (يوزيف غابچك) Josef

Gabcik و (يان كوبش) Jan Kubis وقد جاء كلاهما من نفس مخيم اللاجئين في بولونيا عندما نشبت الحرب في ايلول من عام ١٩٤٠ (كذا)* وذلك بعد هربهما من تشيكوسلوفاكيا المحتلة من قبل الالمان وبهذا فانهما كانا تواقين لمحاربة النازيين. وقد انضما الى (الفرقة الاجنبية) الفرنسية The French Foreign Legion واشتركا في الحرب على الجبهة الغربية في شهري أيار وحزيران من عام ١٩٤٠. وبعد ان تم اجلاء منتسبي (الفرقة الاجنبية) الى انجلترا تطوعا للعمل في اللواء التشيكي الأول الذى كان مقره آنذاك في قلعة (تشولموندلي) Cholmondeley Castle الواقعة قرب مدينة (وتشرش) Whitchurch في مقاطعة (تشيشير) Cheshire. وهنا تم تزويد كل منهما بدفتر رواتب من الدفاتر الخاصة بالجيش البريطاني فكان رقم دفتر (غابجك) هو (١٢٢١) بينما كان رقم دفتر (كوبش) هو (١٢٧٣).

ولم تحصل موافقة وزارة الحربية البريطانية على قيام تسعة من المقاتلين التشيكيين (أربعة ضباط وخمسة ضباط صف) بالدخول في دورة لتدريب المظليين ـ وذلك في (مدرسة التدريب الخاص) Special Training School التابعة لـ (هيئة العمليات الخاصة) والتي كان مقرها في منطقة (رنغواي) Ringway في ضواحي مدينة (مانشستر) ـ إلا في نيسان من عام ١٩٤١. وتعطي احدى الوثائق الرسمية للحكومة التشيكية في المنفى المؤرخة في ١٩/٥/١٩٤١ مزيداً من التفاصيل المتعلقة بالافراد الذين كانوا قد اختيْروا لحضور الدورة التدريبية في (رنغواي). وكان (موراڤيتش) قد نجح ـ على ما يبدو ـ في زيادة عدد المرشحين لدخول مدرسة التدريب المذكورة الى ستة وثلاثين مرشح كان على كل منهم اكمال برنامج تدريبي امده ثلاثة اسابيع. وكان اسم (يوزيف غابجك) هو السادس والثلاثين وذلك ضمن قائمة الاسماء التي رفعها آمر اللواء التشيكي الاول.

وبعد اكماله الدورة التدريبية في (رنغواي) عاد (غابجك) الى قلعة (تشولموندلي) في اواخر حزيران من عام ١٩٤١. بعد ذلك حضر دورة تدريبية خاصة بنشاطات التخريب وذلك في مدرسة تابعة لـ (هيئة العمليات الخاصة). وكانت هذه المدرسة تقع في(كاموس دوراه) Cammus Durrah قرب (مليج) mallaig في النجاد الاسكوتلندية. بعد الانتهاء من

(*) هذا ماورد في النص واعتقد ان ذلك قد جاء خطئاً اذ ان الحرب العالمية الثانية قد بدات رسمياً في الثالث من ايلول من عام ١٩٣٩ بعد ان اعلنت كل من بريطانيا وفرنسا الحرب على المانيا التي كانت قد شنت هجومها على (بولونيا) في الاول من ايلول من نفس العام فيرجى من القارئ الكريم ملاحظة ذلك ـ المترجم

الدورة الاخيرة هذه عاد يمضي فترة زمنية اخرى في (تشولموندیلي) تم تنسيبه اثرها الى قصر (بيلاسيس) Bellasis وهو قصر ريفي قرب مدينة (دوركنغ) Dorking استخدمته (هيئة العمليات الخاصة) كقاعدة انطلاق لنشاطات العملاء الذين كانوا على وشك التوجه الى المناطق المحتلة. وفي الثالث من شهر تشرين الاول من عام ١٩٤١ حضر (غابجك) مؤتمراً في لندن وذلك بصحبة (موراڤيتش) ورفيقه في المهمة العريف (زڤوبودا) SergeantSvoboda. وبعد ان تم اخبارهما عن الشخص المستهدف في عملية الاغتيال - والذي كان (راينهارد هايدرش) - سئلا ما اذا كانا لا يزالان راغبين بالمضي في تنفيذ المهمة او التراجع عنها. وإثر اعلان رغبتيهما على المضي في تنفيذ المهمة تم تحديد تأريخ الابتداء بها والذي تقرر ان يكون بعد اسبوع. اما تأريخ تنفيذ المهمة فقد تقرر ان يكون في الثامن والعشرين من شهر تشرين الاول وهو ذكرى يوم الاستقلال التشيكي.

وبسبب رداءة الطقس في اليوم الذي كان المقرر للبدء بالعملية، اوقف العمل بها. كما تم تأجيل محاولتين اخريتين للقيام بها في السابع من تشرين الثاني وفي الثلاثين منه على التوالي بسبب العواصف الثلجية التي حجبت المناطق التي تقرر ان يتم فيها انزال العميلين. وفي غضون ذلك قام القاتلان بممارسة المزيد من التدريبات وقد اصيب العريف (سڤوبودا) باذى من جراء اشتراكه في احد التمارين الامر الذي اعاقه عن الاستمرار في القيام بتنفيذ المهمة الرئيسة. وقد حل محله (يان كوبش) الذي كـان قد اجتـاز نفس البرنامج التدريبي. وخلال الاسابيع التي سبقت رحلتهما النهائية الى (تانغمير) Tangmere ارتبط (غابچك) و (كوبش) بعلاقة صداقة بفتـاتين مـراهقتين همـا الاختان (لورنـا) و (إدنا إليسون) Lorna and Edna Ellison اللتان كانتا تسكنان في مدينة (إغتفيلد) Ightfield التي تبعد عن (تشولموندیلي) مسافة اربعة كيلو مترات. ونتيجة هذه الصداقة فقد قضىٰ (غابجك) (كوبش) معظم وقت فراغهما، وكذلك عطل نهاية الاسبوع، مع عائلة الفتاتين في بيتهم الصغير المتكون من طابقين. ولا يوجد هناك اي دليل يشير الى ذهاب اي من العميلين المذكورين الى كندا. كما يؤكد دليل حضورهما العديد من مدارس التـدريب التابعة لـ (هيئة العمليات الخاصة) بانه لم يكن هناك وقتاً كافياً لقيامهما بزيارة المعسكر (×) في كندا خلال الفترة الواقعة بين قبول اشتراك (غابچـك) في دورة المظليـين في (رنغواي) في حزيران من عام ١٩٤١ (وهي الدورة التي استمرت مدة ثلاثة اسابيع) واشتراكه المثبت في محضر المؤتمر الذي عقد في لندن والذي حضره بصحبة (موراڤيتش) في الثالث من شهر تشرين الاول. اما في الوقت المتداخل بين الفترتين فقد عرف عنه بان

كان موجوداً في (إنفيرنيسشاير) Inverness — Shire وقلعة (تشولوندلي).

ولم يكن بامكان (غابچك) و (كوبش) ان يوفرا الوقت الكافي لاضافة رحلة عبر الاطلنطي الى جدولهما المزدحم، لذا فمن غير المحتمل ان يكونا قد التقيا بـ (وليم ستيفانسون) رئيس مكتب (التنسيق الامني البريطاني) في نيويورك.

كما يبدو من غير المحتمل كذلك ان تكون (نور عناية خان) ـ عميلة (هيئة العمليات الخاصة) والتي كان اسمها الرمزي (مادلين) ـ قد التقت هي الاخرى بـ (وليام ستيفانسون) سواء كان ذلك «من خلال احدى عودات عائلتها الى الهند عام ١٩٣٤» او «من خلال رحلة لصيد النمور» اذ كانت (مادلين) في عام ١٩٣٤ تلميذه في (دار المعلمين للموسيقىٰ في پاريس) Ecole Normale de Musigue de Paris وقد قضت اجازتها لذلك العام في رحلة سياحية في ربوع القطر الاسباني. وفي الحقيقة فانها قد زارت وطنها (الهند) مرة واحدة فقط في حياتها وكان ذلك في خريف عام ١٩٢٨ عندما ذهبت في رحلة عائلية لزيارة ضريح والدها. وكانت آنذاك في الخامسة عشر من عمرها. كما لا يتمكن اخوها، او اختها، اللذان رافقاها في تلك الرحلة، ان يتذكرا المشاركة في رحلة لصيد النمور، ويؤكد كلاهما بان هذا الحدث كان خيالاً كما يشيران الى ان حواراً سياسياً بين فتاة في سن الخامسة عشر من العمر ورجل صناعة ناجح هو امر ضعيف الاحتمال جداً.

ولم يتم تجنيد (مادلين) من قبل (وليام ستيفانسون). لقد انضمت (نور عناية خان) هذه الى القوة الجوية النسائية المساعدة Womans Auxiliary Air Force في التاسع عشر من تشرين الثاني من عام ١٩٤٠. وقد عمدت الى ذلك اسوة باخيها (ولاية) Vilayat الذي كان قد انضم حديثاً الى القوة الجوية الملكية البريطانية. ويبدو من غير المحتمل آنذاك ان يكون ثمة من صب اهتمامه على تجنيدها للعمل ضمن نطاق النشاطات السرية. وعندما حاولت الانضمام للمرة الاولى الى (القوة الجوية النسائية المساعدة) رفض طلبها على اساس انها لم تكن من الرعايا البريطانيين الامر الذي اجبرها على رفع مذكرة بهذا الشأن الى الضابط المسؤول عن مكتب التجنيد وقد ايد هذا الاخير بان الشخص الذي يتمتع بالحماية البريطانية مؤهل للانضمام الى (القوة الجوية النسائية المساعدة) وبذلك فقد قام هذا الضابط بما يلزم لتمشية معاملة انضمامها. اما نقلها الى (هيئة العمليات الخاصة) فقد تم خلال شهر تشرين الاول من عام ١٩٤٢ (وليس في شهر نيسان كما اوحىٰ ستيفنسن) بعد ان اكملت تدريبها كمخابرة في صنف القوة الجوية النسائية المساعدة). وقد رفضت (لجنة منح الرتب العسكرية) The Commissions Board الاستجابة

الى طلبها الهادف الى منحها رتبة ضابطة، إلا ان إلمامها باللغة الفرنسية قد اهلها لاشغال وظيفة لدى احدى دوائر الاستخبارات وعليه فقد تم مقابلتها من قبل (سيلوين جيبسون) Selwyn Jepson وقبولها للتدريب بصفة عميلة ومخابرة. واستناداً لما افاد به كل من (سيلوين جيبسون) و (ڤيرا آتكنس) Vera Atkins (التي لم تكن بالمناسبة الضابطة المسؤولة عن (مادلين) كما يوحي ستيڤنسون) فان (وليام ستيفانسون) لم يكن له اي دور في تجنيد (مادلين).

وعندما قرأت الكاتبة (جين او ڤيرتون فولير) - صديقة (مادلين) وكاتبة سيرتها الشخصية - كتاب «رجل يدعى الجسور» للمرة الاولى فقد حيرها تركيز الكاتب على قصة (مادلين) كما لاحظت - عندما اعادت قراءة الكتاب ذاته - عدد كبير من الاشارات التي لابد ان تكون قد جاءت من كتابها الذي كان قد نشر في عام ١٩٥٢ من قبل دار نشر (غولانسيز) Gollancz. وعندما قارنت روايتها برواية (ستيڤنسون) لاحظت الكثير من التشابه. وعلى سبيل المثال يقول (ستيڤنسون) في الصفحة (٣٣٨) من كتابه «لقد وافق (جيبسون) على ابتدائها بالتدريب وقد داهمه «شيٌ من الحزن الكئيب الذي لم اخفق قط في الاحساس به في هذا المجال اثناء هذه المقابلات.» ويوحي استخدام علامتي الاقتباس من قبل (ستيڤنسون) بان هذا الكلام كان قد جاء عن لسان (جبپسون) في حديثه مع الكاتب نفسه. ولكن (جيبسون) لم يذكر ذلك، إلا أنه فرد لكتاب الانسة (فولير جزءاً من ذكرياته. ففي الصفحة.(١١١) من كتاب الانسة (فولير) يذكر (جيبسون) بان (نور عناية خان): «كانت ترغب المحاولة لكي تصبح عميلة لنا في حالة اقتناعي بامكانيتها على القيام بذلك. ولم يكن لدي ادنىٰ شك من امكانها القيام بذلك - وهذا ما قلته - وقد وافقت على تجنيدها للعمل بشيء من الحزن الكئيب الذي لم اخفق قط في الاحساس به في مثل هذا المجال اثناء هذه المقابلات.» كما وجدت الانسة (فولير) كذلك العديد من المعلومات الاخرى التي لابد ان تكون قد جاءت من بحث لها عن الموضوع. كما لاحظت كذلك مدى الامانة التي اعتمدها (ستيڤنسون) في روايته والتي وصلت الى الحد الذي جعله ينقل حتى اخطاءها الاملائية!!

وقد اتصلت الانسة (فولير) بدار النشر البريطانية التي تولت نشر كتاب (ستيڤنسون) في بريطانيا - وهي دار (ماكملان) للنشر - وقدمت لهم ما لديها من ادلة. وسرعان ما وافقت دار النشر هذه على شطب كل الاشارات الى (مادلين) من النسخ ذات الغلاف الورقي Paper Back بالرغم من ان ذلك لم يتم بالنسبة للنسخ المنشورة في الولايات المتحدة.

لقد انصب اهتمامي الخاص على الخدمات الامنية البريطانية (MI5) التي قمت عبر السنين بدراسة تفاصيل عملياتها. وقد وجدت انحرافاً في رواية الكثير من التفاصيل قليلة الشأن والمتعلقة بهذه المنظمة وذلك من خلال ما جاء في كتاب «رجل يدعى الجسور». وعلى سبيل المثال نجد ان اسم (جورج جونسون آرمسترونغ) George Johnson Armstrong ـ اول بريطاني اعدم بسبب خيانته بعد اندلاع الحرب ـ قد ورد في نص الكتاب آنف الذكر بصيغة (جورح توماس آرمسترونج) اما في الفهرست فقد ورد بصيغة (جورج آر. آرمسترونغ(.

لقد تم إلقاء القبض على (آرمسترونغ) هذا في مدينة (بوسطن) Boston وذلك من قبل السلطات الامريكية إثر اكتشاف قيامه بعرض خدماته على دبلوماسي الماني بهدف التجسس لصالح المانيا. وبعد اعتقاله تم تسفيره الى بريطانيا على ظهر الباخرة (إس. إس. لابريه) SS La Brea التي نقلته عبر الأطلسي بعد ان وضعت القيود الحديدية في رجليه. وقد رست السفينة في ميناء (كارديف) في مقاطعة (ويلز) حيث تم استلامه من قبل المفتش ـ المخبر (لودين روبرتس) Detective Inspector Louden Roberts من شرطة مدينة (كارديف). وقد اعدم (آرمسترونغ) شنقاً في العاشر من تموز من عام ١٩٤١.

ومن المؤسف ان يقع كتاب «رجل يدعى الجسور» في خطأ في هذا المجال اذ يذكر بان (آرمسترونغ) كان قد أبحر عائداً الى انجلترا حيث القي القبض عليه من قبل شرطة (سكوتلاند يارد) وقد اعدم في التاسع من تموز من عام ١٩٤١. وبالرغم من عدم اهمية هذه التفاصيل فان التسليم بها كحقيقة ـ في وقت لاحق ـ ليتم من خلالها البرهان على معلومات اخرى لابد ان يؤدي عندئذ الى ارباك احداث التأريخ.

ان الوقوع في الاخطاء والهفوات والمتاهات امر لا مفر منه في مجال وصف عالم النشاطات السرية الذي يلتزم المسؤولون من اصحاب العلاقة فيه بالصمت بحكم القسم الذي اقسموه. وكنتيجة لابتعاد الحرب بفعل مرور الزمن يظهر الآن ما يكفي من الوثائق التي من شأنها تحديد الحقائق بشكل راسخ. ففي فترة الحرب كان هناك عدد كبير من النشاطات الشاذة وغير القويمة والتي ينطوي الاطلاع على تفاصيلها والسعي الى كشف اسرارها على درجة كبيرة من الفتنة والاثارة. وفي اغلب الاحيان تظهر الرواية الحقيقية اكثر غرابة من تلك المحرفة كما تكشف بدورها وبوضوح اكثر حقيقة الشخصيات التي كانت لها علاقة بالاحداث. وينطبق ذلك بصورة خاصة على (السير وليام ستيفانسون) الذي كانت سيرته العملية الفريدة من نوعها جديرة بالاعتبار والتي لم تكن بحاجة الى المبالغة لكي تتعزز مكانتها.

الهوامش

١ ـ وليام ستيفنسون: رجل يدعى الجسور ـ الصفحة (١٤).
٢ ـ (المصدر نفسه) ـ الصفحة (١٥).
٣ ـ (المصدر نفسه) ـ الصفحة (١١٢).
٤ ـ (المصدر نفسه) ـ الصفحة (٩٢).
٥ ـ اف. إتش. هنسلي: الاستخبارات البريطانية في الحرب العالمية الثانية ـ المجلد الاول ـ صفحة (١٣٩).
٦ ـ (المصدر نفسه) ـ الصفحة (١٦٣).
٧ ـ وليام ستيفنسون ـ (المصدر نفسه) الصفحة (١٤١).
٨ ـ ف ـ اتش هنسلي ـ (المصدر نفسه) الصفحة (١٠٨).
٩ ـ يان وينير: اغتيال هايدريش ـ الصفحة (٤٢).
١٠ ـ فرانتشيج مورافيتش: سيد الجواسيس ـ الصفحة (٢١٠).
١١ ـ (المصدر نفسه) ـ الصفحة (٢١).
١٢ ـ وليام ستيفنسون ـ (المصدر نفسه) ـ الصفحة (٢٤٣).

الملحق

جسور اخر؟

Another Intrepid?

«ليس ثمة ما يخدع كالوثيقة

هل ستستمر الميثولوجيا الاستخبارية لزمن الحرب كصناعة نامية؟ تشير كافة الادلة الى هذا الاتجاه. فقد وجد في السنوات الاخيرة ازدياد ملحوظ في عدد الاشخاص الذين اما ادعوا الاشتراك في منظمات، او عمليات مجهولة، او اكتشفوا ثمة انجاز عظيم ما كان في السابق قد بقي سراً.

وفي امكاننا ان نجد مثالاً على الفئة الاولى من خلال الاطلاع على كتاب السيرة الذاتية المثير للفضول والذي نشر تحت عنوان «العميلة السرية لـ (تشرشل». وقد ادعى هذا العمل سرد تجارب حقيقية وموثوق بها كانت قد خاضتها الدكتورة (جوزفين بتلر) Dr Josephine Butler في زمن الحرب. وكانت هذه العميلة ـ على حد تعبيرها ـ قد:

«جندت للعمل من قبل (ونستون تشرشل) بصفتها الأمرأة الوحيدة من بين اعضاء (حلقته السرية) المصطفاة التي لم تكن حتىٰ وزارة الحربية او الخدمات الأمنية على معرفة بوجودها اذ انها كانت من حلقات عملاء الاستخبارات الاكثر قرباً من (تشرشل) والتي كان شخصياً مسؤولاً عنها مسؤولية مباشرة. وكان لهذه الحلقة دوراً بارزاً في الحصول على المعلومات اللازمة لتحرير اوربا بنجاح تام. ولم يكن اي من الاعضاء الاثني عشر على علم بهوية الاعضاء الآخرين»

وتبين الدكتورة (بتلر) بان رئيس الوزراء لم يكن راغباً في زج اي من منتسبيه ـ ممن عملوا بامرته في زمن الحرب ـ في مثل هذه الامور اذ ان نشاطاتها (اي نشاطات الدكتورة المذكورة) كانت من السرية بحيث لم يسمح (تشرشل) لهؤلاء المنتسبين بالاطلاع عليها. ثم تدعي الدكتورة (جوزفين بتلر) كذلك بانها كانت قد كلفت بالقيام باكثر من خمسين مهمة تم من خلالها جميعاً نقلها جواً بطائرات من نوع (ليساندر) Lysander الى مناطق العدو من مطار (تيميسفورد) Tempspord التابع للقوة الجوية الملكية البريطانية.

ومع ذلك لا توجد هناك اية وثيقة في مطار (تيميسفورد) تشير الى رحلات (بتلر) المزعومة. كما انها قد وقعت في عدد كافي من الاخطاء بخصوص طائرات (ليساندر) مما يؤكد الاحتمال بانها لم تقرب من طائرة واحدة من طراز هذه الطائرات. بالاضافة الى ذلك فقد انكر قصتها ضابط الخدمات السرية البريطانية (بروس بونسي) Bruce Bonsey الذي كان يعمل في المطار المذكور بصفة ضابط ارتباط. وبغض النظر عن مدى سرية المهمة فان واجبات هذا الضابط قد اقتضت قيامه بالموافقة على اي اقلاع كان يتم من هذا المطار. ولا يتذكر (بونسي) هذا ان اقلاعاً ما كان قد تم بهذا الخصوص، ومن قبل هذه العميلة بالذات، ناهيك عن الخمسين مناسبة التي ذكرتها في كتابها.

لم تكن رواية الدكتورة (بتلر) ـ على ما يبدو ـ سوى قصة خيالية. ويعني تبويب الكتاب ضمن الاعمال الواقعية ان جهة، او شخص، ما كان قد خدع. وقد اعتمدت الكاتبة، في الحقيقة على ستة كتب يمكن تحديدها وهي كتب تناولت مغامرات بعض العملاء في فرنسا ابان الاحتلال النازي. وباعتمادها ما جاء في هذه الكتب كأساس فانها راحت تنسج اسطورتها التي اسبغت عليها صفة الحقيقة. وتعتمد مثل هذه الروايات الخيالية على الاشتراك المزعوم لافراد كان قد وافاهم الاجل منذ وقت طويل الامر الذي يجعل من عملية التوصل الى الادلة التي تثبت صحة الادعاء امراً في غاية الصعوبة. وبين الفينة والاخرى يقع احد اخصائي الاساطير في خطأ عندما يفترض ان شخصاً ما يرقد تحت التراب بينما يكون الشخص في الواقع لا يزال حياً وعلى استعداد لكشف النقاب عن ما يحاك من تلفيق. وقد حدث مثل هذا الامر عام ١٩٨٣.

ففي كتاب «آخر قضية للجسور» Intrepid's Last Case يعود الكاتب (وليام ستيفنسون) الى موضوع كتابه السابق (السير وليام ستيفانسون) ويختلق سياقاً يستند الى هروب كاتب جفره شاب من السفارة السوفيتية في (اوتاوا) Ottawa وذلك في شهر ايلول من عام ١٩٤٥. لقد تم فعلاً هروب الشاب (إيغور غوزينكو) Igor Gouzenko كما سافر (السير وليام ستيفانسون) الى كندا عن طريق الجو ـ قادماً اليها من (نيويورك) حيث كانت مهمته كرئيس لمكتب (التنسيق الامني البريطاني) قد انتهت ـ واقنع السلطات الكندية بمنح هذا الهارب حق اللجوء السياسي. فلو لم يتم لـ (ستيفانسون) تحقيق ذلك لكان من المحتمل جداً ان تقوم السلطات الكندية بتسليم (غوزينكو) ـ وما كان في حوزته من اضابير سرية كان قد اختلسها من السفارة المذكورة ـ الى السلطات السوفيتية. لقد شخصت بعض الوثائق التي احتوتها هذه الاضابير هوية عدد من العملاء السوفييت العاملين في شمال القارة الامريكية الامر الذي ترتب عليه عدد من النتائج منها إعتقال وإدانة عالم الفيزياء الذرية الاستاذ (ألن نان ماي) Professor Allan Nunn May في العام التالي.

ويقول (ستيفنسون) في كتابه هذا بانه قد تمكن من التوصل بصورة خاصة الى الاطلاع على تقارير سرية للغاية وعلى بعض «أضابير مكتب (التنسيق الأمني البريطاني) الذي احتوت على معلومات تتعلق بقضية (غوزينكو) والتي كان قد وضع عليها الحظر سابقاً.

ونتيجة استغلاله مضمون هذه الاضابير السرية، يسجل (ستيفنسون) التحقيق

الاول الذي اجراه (وليام سكاردون)، ممثل الخدمات السرية البريطانية، مع (نان ماي). وبهذا الصدد يوحي (ستيفنسون) بان هذا التحقيق قد تم في محل سكنى (نان ماي) الواقع قرب (جامعة لندن) وذلك في الرابع عشر من شهر شباط. وقد نقل (ستيفنسون) حرفياً نص الحوار الذي دار بين المحقق والاستاذ ويصف كيف «بدا (سكاردون) يمسك العالم في الزلات والاخطاء وذلك بعد الزيارة الرابعة».[1] وقد تمكن هذا المحقق الذكي بالنتيجة من اختراق جدار المراوغة. وبهذا الصدد يقول (ستيفنسون):

«كان (سكاردون) قد قام بالقاء محاضرته التقليدية الموجزة على الاستاذ (نان ماي) وذلك حول ضرورة التعاون مع السلطات. فاذا ما اعترف الجاسوس اعترافاً صريحاً وكاملاً فمن المحتمل ان تقف السلطات ازاءه موقفاً متسامحاً. وفي بعض الحالات المعينة تتعهد السلطات بحماية المتهم من الاجراءات القانونية عند قيامه بالادلاء باعترافه طوعاً. اما بالنسبة لـ (نان ماي) فان التعاون كان محدوداً جداً.»

وقد أعطى (ستيفنسون) كذلك وصفاً رائعاً لخلفية (سكاردون) وذلك في قوله بان «(سكاردون) كان قد طور اسلوبه في العمل من خلال ما اجراه من تحقيق مع النازيين والاسرى من القواد الالمان في زمن الحرب. وقد اعجب بطريقة تحقيقه بصورة خاصة قواد الغواصات الالمان الذين لمسوا لطف معاملته واهتمامه بالارتفاع عن اسلوب الاساءة.»[2]

إلا ان ما يجهله (ستيفنسون) ـ على ما يبدو ـ هو ان (سكاردون) لا يزال على قيد الحياة وبانه يتمتع بصحة جيدة ـ فهو يحيا حياة هادئة في مكان ما على الساحل الجنوبي من انجلترا. وقد اخبرني شخصياً بانه لم يلتق ابداً بأي قائد غواصة الماني طيلة حياته كما لم يسبق له بالمرة التحقيق مع (الن نان ماي)، إلا انه قد التقى به لفترة وجيزة بعد ان اطلق سراح هذا الاستاذ من السجن وكان لقاءً يتعلق بمسألة مختلفة تماماً (قضية صحفي فاسد في الواقع).

في الحقيقة لقد اجري اول تحقيق مع الاستاذ (نان ماي) من قبل المحققين (ليوناردبرت) Leonard Burt و (ريجنالد سپوونر) Reginald Spooner. وقد كتب (برت) بعد ان احيل على التقاعد كتاباً نشر عام ١٩٥٩ بعنوان «العقيد (برت) من شرطة سكوتلاند يارد» Commander Burt of the Yard قال فيه:

«لقد استمد موقفنا قوته العظيمة من واقع ان كلينا كان من منتسبي صنف الاستخبارات ـ فقد كان المقدم (برت) والرائد (سپوونر) ضابطين. وقد وجد ذلك

الشخص الذي اعتقدنا بانه كان (الك) ALEK نفسه يواجه هذين الرجلين وذلك عندما طلبت منه سلطات الطاقة الذرية التوجه الى سشيل ميكس هاوس في الخامس عشر من شباط من عام ١٩٤٦»(٣)

وهكذا نجد ان رواية (ستيفنسون) قد اخطأت في توزيع الادوار على الابطال الرئيسيين ـ وذلك استناداً الى ما اورده (برت) ـ كما اخطأت في الحين ذاته في تحديد زمان هذه المواجهة المشؤومة ومكانها. وقد اكد الكاتب (إيان آدمسون) Iain Adamson ـ الذي تناول سيرة (ريجنالد سبوونر) في كتاب نشره عام ١٩٦٦ بعنوان «المخبر العظيم» The Great detective ـ هذه التفاصيل إذ يوضح بان (آلن نان ماي) حضر في الموعد المحدد للقاء (برت) و (سبوونر) في احد مكاتب (سشيل ـ ميكس هاوس) وذلك في ١٥/٢/١٩٤٦»(١)

من المؤكد ان هذه التفاصيل لم تسترع انتباه (ستيفنسون كما فاته الألتفات ـ على ما يبدو ـ الى ما اورده (سكاردون) من تفاصيل عن التحقيق مع (نان ماي). وهناك سر لا يعلمه إلا القلة من الناس وهو ان (سكاردون) كان قد املى على الكاتب (آلن موورهيد) Alan Moorhead في عام ١٩٥٢ تفاصيل تتعلق بقضية (نان ماي) وذلك مباشرة من الاضابير الخاصة بالخدمات الامنية البريطانية (MI5) وبتوجيه من (السير پيرسي سيليتو) Sir Percy Sillitoe ـ مدير عام المنظمة المذكورة آنذاك ـ وذلك في محاولة لابطال مفعول دعاية سيئة كانت قد ظهرت مؤخراً.

وفي كتابه «الخونة» The Traitors ـ الذي نشر عام ١٩٥٢ ـ يكتب (آلن موورهيد) ـ بتوجيه من سكاردون ـ قائلاً: «في لندن تم استجواب (نان ماي) مباشرة للمرة الاولى. وقد قابله عقيد الشرطة (برت) في (سشيل ـ ميكس هاوس)»(٠)

ان رواية (ستيفنسون) خيالية ولكنها اوحت لقرائها بان المخبر الاسطوري (سكاردون) كان قد تمكن من اقناع (نان ماي) بالاعتراف. إلا ان (سكاردون) قد تعامل مع هذه الرواية بشكل سلبي.

إن الهفوات العرضية او الأخطاء المطبعية تغيب احياناً عن انتباه اكثر الكتاب أو المحررين اجتهاداً. ومهما بلغ المؤرخ من شهرة وشأن عظيمين فلابد للاخطاء العفوية ان تجد طريقها الى عمله. وقد يغالي بعض المؤلفين في حماسهم لدرجة انهم يطلقون العنان لمخيلتهم بدون حدود. ولربما يشكل المزج بين الحقيقة والخيال مادة ممتعة ورائجة للغاية إلا ان عدم التمحيص في دقة هذا المزج قد يؤدي الى اعادة كتابة التأريخ. فاذا ما نشأ

خلاف من اسس خاطئة نجد ان آثاره تبقىٰ عالقة. فحالما يشتبه بان الرئيس (روزفيلت) كان قد حذر مسبقاً عن النوايا اليابانية لقصف ميناء (بيرل هاربر)، نجد بان هذا الادعاء يكتسب مظهر الحقيقة كلما تكرر ترديده وذلك حتىٰ الوقت الذي ينبري فيه من يتجشم مشقة نقض الرواية. واذا ما كسبت الاسطورة رواجاً فبامكانها عندئذ توطيد اركانها بحيث يحتمل ان يتم الاخذ بها كحقيقة تأريخية. وتعزىٰ سهولة تأثر عالم الاستخبارات بهذا الداء الى ما يبديه ضباط الاستخبارات السابقين (لا بل حتى الذين في الخدمة منهم) من تحفظ تقليدي لا يصعب فهمه وذلك إزاء «الاجهار عن انفسهم» ونقض ما يظهر من تلفيق. وبالنتيجة، كان بامكان أي مؤلف، اختلاق شخصية جاسوس لا وجود لها اصلاً - وضمان تصنيف كتابه ضمن الاعمال الجادة التي تنصرف الى نقل الحقائق التأريخية - وهو في مأمن من قيام الجهات الرسمية بنقض روايته.

لقد حاول هذا الكتاب ان يبين كيف تنسج تفاصيل الاساطير حول احداث حقيقية. فعندما لا يكتب النجاح لعملية ما يشعر من اشترك في تنفيذها بانهم كانوا ضحية الخيانة. وتنصرف الجهود نتيجة ذلك الى ايجاد اكباش للفداء. وضمن اطار عالم التجسس الكثير التعقيد يسهل التخمين لمعرفة الجهة التي يقع عليها اثم الخيانة. وسرعان ما يجد هذا التخمين قبولاً.

وهناك فرق شاسع بين المتاجرة باسطورة عديمة الضرر نسبياً - كرواية (البرت او برتيل) واغراق السفينة (رويال أوك) والانصراف الى الاتهام الاكثر شراً القائل بان (ونستون تشرشل) كان قد جلس غير آبه في وقت كانت القوة الجوية الالمانية (اللوفتواف) تخطط فيه لتدمير مدينة (كوفنتري). كما لا يمكننا ان نضع التفسيرات المختلفة لنشاطات (شيشرون) في مصاف الاتهامات الخطيرة الموجهة الى عدد معين من العملاء المزدوجين وذلك ضمن اطار ما تكبدته الغارة التي قامت بها القوة الجوية الملكية على (نورمبرغ). ومع ذلك فان من حق العملاء الاجابة على هذه التهم.

لم يتم انجاز هذا العمل إلا بفعل ما لقيه من عون وتوجيه من لدن بعض ضباط الاستخبارات هؤلاء وعملائهم الذين ساهموا في العمليات السرية في زمن الحرب. لقد قام البعض منهم - امثال (رومان غاربي - زيرينيافيسكي) - بنشر مذكراتهم مدركين نتيجة ذلك عدم تمكنهم من الحصول على فرصة ثانية للادلاء بتفاصيل مغايرة. وهناك البعض الآخر - امثال (داسكو بوبوف) - الذين ساهموا فعلاً في نسج تفاصيل اسطورة معينة عن

طريق الافصاح عن جانب واحد للقصة. وان ما يسعىٰ اليه (تيت) هو استمرار العيش في عزلته الهادئة دون ان يجد نفسه مضطراً الى سماع الاتهامات الباطلة التي تشير الى انه كان قد اوشىٰ بتفاصيل غارة (دييپ) وتآمر نتيجة ذلك على قتل المئات من جنود الحلفاء. واذا ما استطاع هذا الكتاب انقاذ سمعة فرد واحد ـ سواء كان شخص ذو مكانة رفيعة مثل (ونستون تشرشل) او صغير الشأن مثل (تيت) ـ فانه يكون قد حقق هدفه.

. الهوامش

١ ـ وليام ستيفنسون: آخر قضية للجسور ـ الصفحة (١٦٢).
٢ ـ (المصدر نفسه) ـ الصفحة (١٦١).
٣ ـ ليونارد برت: العقيد مرت من شرطة سكوتلاند يارد ـ الصفحة (٣٦).
٤ ـ ايان آدمسون: المخبر العظيم ـ الصفحة (١٥٥).
٥ ـ الن موورهيد: الخونة ـ الصفحة (٣٦)

المصادر

(أ)

ابشاجين، كارل هاينز: «كناريس» ـ (الناشر ـ هتشينسون ـ ١٩٥٦) ادامسون، إيان: «المخبر العظيم» ـ (الناشر ـ مولير ـ ١٩٦٦) اكوس، بيير وكويت، بيير: «حلقة لوسي» (الناشر ـ دبليو ـ إتش الن ـ ١٩٦٧) «رجل يدعى لوسي» (الناشر ـ كلاورد ـ ماكان ـ ١٩٦٧) إند. اليسون: «تاريخ التجسس الحديث» (الناشر ـ هودروستوفتون ـ ١٩٦٥) إيفانوف، ميروسلاف: «اغتيال هايدرش» (الناشر ـ هارت دايفس ـ ١٩٧٣) إلس، سي . إتش: «حادثة ماوراء بحر الخزر» (الناشر ـ هتشينسون ـ ١٩٦٣)

(ب)

بانكروفت، ماري: «السيرة الذاتية لجاسوس» (الناشر ـ مارو ـ ١٩٦٦) بازنا، إليسيا: «كنت العميل شيشرون» (الناشر ـ اندريه دويتش ـ ١٩٦٢/ كولنز ١٩٦٢) بوشاردون، بيير: «ذكريات» (الناشر ـ البين ـ ميشيل ـ باريس ـ ١٩٥٣) بوفيري، مارجريت: «الخيانة في القرن العشرين» (الناشر ـ بانتامز ـ ١٩٧٨) برسود، اندريه: «كناريس» (الناشر ـ وايد نفيلد ونكلسون ١٩٧٣) بولوش. جون: منظمة الخدمات الامنية البريطانية MI5 (الناشر ـ آرثر باركر ـ ١٩٦٦): اعمال تنتسب للخيانة (الناشر ـ آرثر باركر ـ ١٩٦٦

برجس، الن: سبعة رجال عند الفجر (الناشر ـ ايفانز ١٩٦٠ / دوتون ١٩٦٠) برت، ليونارد: العقيد برت من شرطة سكوتلاند يارد (الناشر ـ هاينمان ـ ١٩٥٩)

بوش، هارالد: الغواصات الالمانية في الحرب (الناشر بانتام ـ ١٩٥٥)

بتلر، جوزفين: «العميلة السرية لـ تشرشل (الناشر: بلاكتون ـ هول ١٩٨٣) بيج، بروس ونايتلي، فيليب: «الجاسوس الذي خان جيل» (الناشر: اندرية دويتش ١٩٦٨)

بين، لورين: «الأبفير: الاستخبارات العسكرية الالمانية» (الناشر ـ روبرت هيل ١٩٨٤)

بيس، غونتر: مرآة الخداع (الناشر ـ وايدينفيلد ونكلسون ١٩٧٧)

بيروو، جليس: اسرار يوم الانزال الحليف على نورماندي» (الناشر ـ آرثر باركر ١٩٦٥) الفرقة الموسيقية الحمراء (الناشر ـ آرثر باركر ١٩٦٨)

بيسكيت، سانت جون: استخبارات غريبة (الناشر ـ روبرت هيل ١٩٨١)

روائع المغامرات التجسسية الحقيقية (الناشر: آركو ـ لندن ونيويورك ١٩٥٦)

بنتشر، چابمان: الخيانة صناعتهم (الناشر ـ سدجواك وجاكسون ١٩٨١)

بنتو، اوريستو: «صياد الجواسيس» (الناشر ـ ويرنر لوري ١٩٥٢ / بانتام ١٩٥٣) صديق ام عدو؟ (الناشر ـ ويدنر لوري ١٩٥٣ / بانتام ١٩٥٣)

بوبوف، داسكو: الجاسوس ـ الجاسوس المقابل (الناشر ـ وايد نفيلد ونكلسون ١٩٧٤)

(ت)

توماس، جون اورام: «الابطال» (الناشر، مايكل جوزيف ١٩٧٦ / تايلنجر ١٩٧٦)

توميسون، آر. دبليو: «دبيب عند الفجر (الناشر ـ هتشينسون ١٩٥٦)

تومسون، السير بازل: «اناس غريبو الاطوار» (الناشر ـ هودر وستوتون ١٩٢٢)

تولاند، جون: «الخزي» (الناشر ـ ميثوين ـ ١٩٨٢ / دوبلداي ١٩٨٢)
تريفير ـ روبر، السيرهيو. «قضية فلبي ـ تجسس وخيانة وخدمات سرية» (الناشر ـ وليام كمبر ١٩٦٨)
تروي، توماس: دونوفان ودائرة الخدمات السوقية (المنشورات الجامعية الامريكية ١٩٨١) UNIVERSITY Public ATIONS OF America
: «اليوميات الحربية للغواصة الالمانية يو ـ ٤٧» (النشرة البحرية السنوية لـ براسي ١٩٤٨) BRASSEY'S NAVAL ANNUAL
تشرشل، ونستون: «تجمع العاصفة» (الناشر ـ كاسيلز ١٩٨٠)

(ج)
جويت، وليام: «البعض منهم كانوا جواسيساً» (الناشر ـ هودر وستوفتون ـ ١٩٥٤)
جيمس، السير وليام: «عيون البحرية» (الناشر ـ ميثوين ١٩٥٥)
جاكسون، روبرت: الاسراب السرية ـ (الناشر ـ روبسون ـ ١٩٨٣ / هيوكرين بووكس ـ ١٩٨٣)
جاربي ـ زيرينيا فسكي: الشبكة الكبيرة (الناشر ـ جورج رونالد ـ ١٩٦١ / كوب كلارك ـ ١٩٦١)
جالانت، بيير: «عملية فالكيري» ـ (الناشر ـ هاربر ورو ـ ١٩٨١).
جالاجير، ماثيو: التاريخ السوفيتي للحرب العالمية الثانية (الناشر ـ بريجر ـ لندن / نيويورك ١٩٦٣)
جارلنسكي، جوزيف: إلتقط: حرب إنغما» (الناشر ـ دينت ـ ١٩٨٠ / مكربنير ـ ١٩٨٠)
: «الرواق السويسري» (الناشر ـ جاي. إم. دينت ـ ١٩٨١)
جيزيفيوس، هانزيبيرند: حتى النهاية (الناشر ـ كايب ـ ١٩٤٨ / هوتون مغلن ـ ١٩٤٧) جسكيس، هيرملن: «لندن تنادي القطب الشمالي» (الناشر ـ وليم كمبر ـ ١٩٥٣)
جولدستن، رتشارد: لمحات شريرة ـ الحرب السرية ضد هتلر» (الناشر ـ دايال بريس ـ ١٩٨٢)
جوردن، هارولد: «هتلر ومحاولته الانقلابية في ميونخ» (الناشر ـ برنستون ـ ١٩٧٢)
جونز، فيليب: «النشاطات التجسسية المزدوجة» (الناشر ـ وليام كمبر ـ ١٩٧٩)
جونز آر. في: «حرب سرية للغاية» (الناشر ـ هايمش هاملتون ـ ١٩٧٨)

(د)
دالين، دافيد: «التجسس السوفياتي» (الناشر ـ اوكسفورد يونفيرستي بريس ـ لندن ١٩٧٩ / نيويورك ١٩٨٠)
دافيدسون، بازل: «اوربا العمليات الخاصة» (الناشر ـ غولانسيز ـ ١٩٨٠.
ديكون، رتشارد: «تاريخ منظمة الخدمات السرية البريطانية» (ميولر ـ ١٩٦٩ / نابلنجير ـ ١٩٧٠)
: «تاريخ منظمة الخدمات السرية الروسية» (الناشر ـ ميولر ـ ١٩٧٢ / تابلنجير ـ ١٩٧٢)
: «الحرب الصامتة» (الناشر ـ دافيد وتشارلس ـ ١٩٧٨ / هيبوكرين بووكس ـ ١٩٧٨)
: «الارتباط البريطاني» (الناشر ـ هايمش هاملتون ـ ١٩٧٩)
ديشنر، غونثر «هايدرش» (الناشر ـ اوربس / شتاين وداي / ١٩٨١)
دي سلفا، بير. صب روزا. وكالة الاستخبارات المركزية واستخدامات المعلومات الاستخبارية (نايمز ـ ١٩٧٨)
دودز پاركر، دوغلاس. «اشعال اوربا ناراً» (الناشر ـ سپرنجوود ـ ١٩٨٣)

دونتز، كارل: مذكرات (الناشر ـ وايدنفيلد ونكلسون ـ ١٩٥٩ / وورلد بوبلشيرز ـ نيويورك ١٩٥٩)
دالاس، الن: «الحركات السرية في المانيا» (الناشر ـ ماكميلان ـ ١٩٧٩)
: «حرفة الاستخبارات» (الناشر ـ وايدينفيلد ونكلسون ـ ١٩٦٤ / هاربرور ١٩٦٣)
: «الاستسلام السري» (الناشر ـ وايدينفيلد ونكلسون ـ ١٩٦٧ / هاربرورو ١٩٦٦)
: «روائع القصص الجاسوسية الحقيقية» (كولنز ـ ١٩٦٩ / هاربرورو ـ ١٩٦٨)
دنلوب، رتشارد: «جاسوس امريكا البارع» (الناشر ـ راند ماكنالي ـ ١٩٨٢)

(ر)
روبرتسون، تيرينس: «دييب» (الناشر ـ هتشنون ١٩٦٣ / ماكليلاند وستيوارت ـ تورنتو ـ ١٩٦٣)
روزفيلت، كيرمت: «التقرير الحربي لدائرة الخدمات السوقية» (الناشر ـ ووكر ـ ١٩٧٦)
روسكيل، ستيفن: «البحرية في الحرب» (الناشر ـ كولنز ١٩٦٠)
روثفيلس، هانز: المعارضة الالمانية ضد هتلر» (الناشر ـ اوسوالد وولف ١٩٦١ / ريجينسي ١٩٦٢)
روون، الجنرال فون: «المقاومة الالمانية ضد هتلر» (الناشر ـ فان نوستراند راينهولد ـ لندن / نيويورك ١٩٧١)
روان، رتشارد: الجاسوس ـ الجاسوس المقابل (الناشر ـ جون هاملتون ـ ١٩٢٨)
رايان، كورنيليوس: «جسر ابعد من اللازم (الناشر ـ هايمش هاملتون ـ ١٩٧٤)

(س)
سانسوم، اي. دبليو.: «راقبت الجواسيس» (الناشر ـ جورج هاراب ـ ١٩٥٩)
سنجر، كرت: «الجواسيس والخونة في الحرب العالمية الثانية» (الناشر ـ برنستون ـ هول ـ ١٩٤٥)
: رجال في حصان طروادة (الناشر: بيكون بريس ـ ١٩٥٣)
: «المزيد من قصص الجاسوسية (الناشر: دبليو. اتشن الن ـ ١٩٥٥)
«حافلة الجواسيس» (الناشر ـ دبليو. اتش الن ـ ١٩٥٩)
سمث، براولي وآجاروسي، إلينا: «عملية صنرايز» (الناشر ـ اندرية دويتش ـ ١٩٧٩)
سنايدر، جيرالد: «كارثة السفينة رويال اوك» (الناشر ـ وليام كمبر ـ ١٩٧٧)
ستافور، دافيد: «بريطانيا وحركات المقاومة الاوربية ١٩٤٠ ـ ١٩٤٥ (الناشر ـ ماكميلان ـ ١٩٨٠)
ستيفنسون، وليام: «اخوه بورمان» (الناشر ـ آرثر باركر ـ ١٩٧٣)
: رجل يدعي الجسور (الناشر ـ ماكميلان ـ ١٩٧٦)
: «آخر قضية للجسور» (الناشر ـ مايكل جوزيف ـ ١٩٨٤)
سترونج، كنيث: الاستخبارات في القدمات العليا (الناشر ـ كاسيلز ١٩٦٨)
«رجال الاستخبارات» (الناشر ـ كاسيلز ـ ١٩٧٠)
سوبيت ـ إسكوت، بكهام: «النشاطات السرية» (الناشر ـ ميثوين ـ ١٩٦٥)

(ش)
شيلينبرج، والتر: «المتاهة» (الناشر ـ اندرية دويتش ـ ١٩٥٦)
شلابريندورف، فابيان فون: «الحرب السرية ضد هتلر» (الناش ـ هودروستوفتون ١٩٦٦)

شرام، فيلهيلم فون: «التآمر بين القادة» (الناشر ـ الن وآنوين ١٩٥٦)
شوارز، اورس: «عين العاصفة» (الناشر ـ ويستفيو ـ ١٩٨٠).
شايرير، وليام: «يوميات برلين» (الناشر ـ هايمش هاملتون ـ ١٩٤١)

(ف)
فارجور لادسلاس: «احرق بعد القراءة» (الناشر ـ ووكر ١٩٦١)
«لعبة الثعالب» (الناشر. هودر وستوفتون ١٩٧٢)
فولير، جان الفيرتون: « مادلين» (الناشر ـ فكتور جولانسز ١٩٥٢)
«قضية ستار» (الناشر ـ فكتور جولانسز ١٩٥٤)
«الالمان في تنظيمات هيئة العمليات الخاصة» (الناشر ـ وليام كمبر ١٩٧٥)
« الشبكة المزدوجة» (الناشر ـ بوتنام ١٩٥٥)
فلبي، كيم: « حربي الصامتة » (الناشر ماكجين وكيي ١٩٦٨)
فوت، ام، آر. دي: « نشاطات هيئة العمليات السرية في فرنسا(مكتب قرطاسية صاحبة الجلالة ١٩٦٦)
فوت، ام، آر. دي. ولانجلي، جاي.ام. « إم.آي ٩» (الناشر ـ بودلي هيد ١٩٧٩)
فوت، الكسندر: « دليل للجواسيس» (الناشر ـ ميوزيوم بريس ١٩٤٩/دوبلداي ١٩٤٩)
فرانك، ولفجانج: « غواصة العدد» (الناشر: وليام كمبر ـ ١٩٥٤)
فرشوبر، ويلي: « الرجل الذي عاد» (الناشر ميولير ١٩٥٨/سوندرز ـ تورونتو ١٩٥٨)
فيليكس، كرستوفر: «الجاسوس واسياده» (الناشر ـ سيكرو واربورج ١٩٦٣)
فرمن، ستانلي: «جاءوا للتجسس» (الناشر ـ هتشبنون ١٩٥٠).
فتزجبون، قسطنطين: «قتل هتلر» (الناشر ـ توم ستاسي١٩٧٢)
«الاستخبارات السرية في القرن العشرين (الناشر ـ هارت ديفز ساكجين ١٩٧٦)

(ك)
كاهن، دافيد: « محللو الجفر » الناشر ـ دابد نفيلد ونكلسون ـ ١٩٦٦)
كرامارز، يوشوام: « ستوفينبر» (الناشر: اندريه دويتش ـ ١٩٦٧)
كلارك، رونالد: « الرجل الذي اكتشف سر بربل» (الناشر، وايدنفليد ونكلسون ١٩٧٧)
كلارك، دادلي: « سبع مهمات» (الناشر ـ كايب ـ ١٩٤٨)
كلايتون، آيلين: « العدد ينصت» (الناشر ـ هتشنون ١٩٨٠)
كولير، باسل: « الاسلحة المخفية» (الناشر هامش هاملتون ١٩٨٢)
كولفن، ايان: « رئيس الاستخبارات» (الناشر ـ جولانسز ١٩٥١)
العدو السري لهتلر» (الناشر ـ بان ـ ١٩٥٧)
كونستانتنيدس، جورج: « الاستخبارات والتجسس » (الناشر وسوديو بريس ١٩٨٣)
كوكردج إي. اتش: « اسرار منظمة الخدمات السرية البريطانية » (الناشر ـ لو. مارستون ١٩٧٤)
« جاءوا من السماء » (الناشر ـ هاينيمان ١٩٦٥)
«داخل صفوف هيئة العمليات الخاصة » (الناشر ـ آرثر باركر ـ ١٩٦٦)

: الرجل الثالث ، (الناشر ـ آرثر باركر ـ ١٩٦٨)
كليف ـ براون، انطوني:، غطاء من الاكاذيب ، (الناشر ـ هاربروروويد ١٩٧٥)
:، البطل الاخير ، (الناشر ـ تايمز ١٩٨٢)
كوستويلو، جون:، حرب المحيط الهادي (الناشر ـ روسون، ويد ١٩٨١)
كوولسون، توماس:، ماتاهاري ـ جاسوسة وغانية ، (الناشر ـ هتشهنون ١٩٣٠)
كوزنز، جيوفيري:، قصة سكابافلو ، (الناشر ـ ميولير ١٩٦٥)
كروسكشانك، تشارلس:، اساليب الخداع في الحرب العالمية الثانية ،(الناشر ـ مطبعة جامعة اوكسفورد ١٩٧٩)
كورجانوف، الكسندر:، شبح سكابافلو، (الناشر، ايان الن ـ ١٩٧٤)
كمشي، جون :، التجسس من اجل السلام، (الناشر ـ وايدنفليد ونكلسون ـ ١٩٦١)
نتشبول ـ هاجيسين، السرهيو:، دبلماسي في السلم وفي الحرب، (الناشر ـ موري ١٩٤٩)
كيرستن، جاكوب وماكميلان، جيمس:، سر تورجاو،/الناشر هاراب ١٩٨٢)
كيسارس، بول:، الفرقة الموسيقية الحمراء، (الناشر ـ المنشورات الجامعية الامريكية ١٩٧٩)

(ل)
لاندوا، هنري:، كل عمل مشروع ، (الناشر ـ بوتنام ١٩٣٤)
:، اسرار السيدة البيضاء ، (الناشر ـ بوتنام ١٩٣٥)
لانجلي، جاي. إم.:، حارب في آخر ، (الناشر ـ كولنز ١٩٧٤)
لورينس، آن:، قضية لنديمانز ، (الناشر ـ وندجيت ١٩٧١)
ليسور، جيمس:، الساحل الاخضر ، (الناشر ـ هاينمان ١٩٧٥)
:، المحارب المجهول ، (الناشر ـ هاينمان ١٩٨٠)
ليفيركون، بول:، الاستخبارات العسكرية الالمانية ، (الناشر. وايدنفليد ونكلسون ١٩٥٤)
ليوين، رونالد.، الترا تذهب الى الحرب ، (الناشر ـ هتشينون ـ ١٩٧٨)
:، السحر الامريكي ، (الناشر ـ بينجوين ـ ١٩٨٣)
:، الترا الاخرى ، (الناشر ـ هتشينون ـ ١٩٨٢)
لوفيل، ستانلي:، ما يتعلق بالجواسيس والخدع السوقية ، (الناشر برنتيس ـ هول ١٩٦٣)

(م)
ماكال، جب:، رحلة صحية في غاية السرية ، (الناشر: وليمكمبر ١٩٨١)
ماكي، الكسندر:، السبت الاسود ،(الناشر ـ سوفنير بريس ١٩٥٩)
ماكلين، السير فتزروي:، قصة تسعة جواسيس ، (الناشر ـ وايدنفليد ونكلسون ١٩٧٨)
ماجواير، ايريك:، ديبيه في التاسع عشر من آب ، (الناشر ـ كايب ١٩٦٣)
مانفيل، روجر :، المتآمرون ، (الناشر ـ بان ١٩٧٢)
مارشال كورنوال، السير جيمس:، الحرب واشاعات اندلاعها ، (الناشر ـ سيكرو واربورج ١٩٨٤)
مارتن، دايفيد سي. :، تيه المرايا ، (الناشر ـ هاربر ورو ١٩٨٠)

مايسون، هيربرت مولي:» قتل الشيطان « (الناشر ـ مايكل جوزيف ـ ١٩٧٩)
ماسترمان، جاي. سي.:» جهاز الخداع في حرب ١٩٣٩ـ١٩٤٥ «(الناشر ـ سفير ١٩٧٣)
مديلبرووك، مارتن:» غارة نيورهنبورج « (الناشر ـ الن لين ١٩٧٣)
موورهيد، الن:» الخونة « (الناشر ـ هايمش هاملتون ـ ١٩٥٢)
مورافيتش، فرانتسيك:» سيد الجواسيس « (الناشر ـ بودلي هيد ١٩٧٥)
موزلي، ليونارد:» القط والفئران « (الناشر. آرثر باركر ١٩٧٨)
:» الدوريـد « (الناشر ـ الير ميثوين ١٩٨٢)
مويجيش، لودفيج:» عملية شيشرون « (النـاشر ـ ونجيت ١٩٥٠)
ميور، دافيد:» ممارسة للخداع « (الناشر ـ وليام كمبر ١٩٧٧)

(ن)
نيومان، بيرنارد:» الجاسوس « (الناشر ـ وليام كمبـر ١٩٣٥)
» صياد الجـواسيس « (الناشر ـ فكتـور جولانسز ١٩٤٥)
نيومان، بيرنارد:» تحقيق قضائي حول قضية ماتاهاري « (الناشر ـ هايل ١٩٥٦)
:» عالم التجسس « (الناشر ـ سوفنير ١٩٦٢)
:» جواسيس في بريطانيا « (الناشر ـ روبرت هيل ١٩٦٤أ)

(هـ)
هازويل، جوك:» الاستخبارات العسكرية البريطانية « (الناشر ـ وايدنفليد ونكلسون ١٩٧٣)
:» الاسخبارات ووسائل الغش والخداع ليوم الانزال الحليف
على نور ماندي « (الناشر ـ باتسفورد ١٩٧٩)
هيـروات، هانزفون:» حيال شيرين « (الناشر ـ كولنز ١٩٨١)
هيرزوج، بودو:» كناريس « (نشرة داي نوخت في عدد كانون ٢/١٩٧٣)
عتزلي، إف. انش:» الاستخبارات البريطانية في الحرب العالمية الثانية «المجلدين الثاني والثالث (الناشر ـ مكتب قرطاسية HMSOs صاحبة الجلالة . ١٩٧٩)
هويهلنج، أي. اي:» الجسوسات « (الناشر ـ دور ميد ١٩٦٧)
هوفمان، بيتر:» تاريخ المقاومة الالمانية: ١٩٣٣ـ١٩٤٥ « (ماكدونالد ١٩٧١)
هايد، مونتجومري:» الكندي الهادىء « (الناشر ـ هايمش هاملتون ـ ١٩٦٢)
:» سنثيا « (الناشر ـ هايمش هاملتون ـ ١٩٦٦)
:» جواسيس القنبله الذرية « (الناشر ـ هايمش هاملتون ١٩٨٠)
» عميل الاستخبارات السرية « (الناشر: كونستابل ١٩٨٠)
هولستيتر، روبيرتا:» بيرل هاربر: تحذير وقرار « (الناشر ـ ستانفورد ١٩٦٢)

(و)
واجنر، سام: «مقتل ماتاهاري». (الناشر ـ آرثر باركر ١٩٦٤)
وينر، يان: « اغتيال هايدرش.» (الناشر بيرامد ١٩٦٦)
وتون، شالرس وبيس، غوتنر « تجسسوا على انكلترا » (الناشر ـ اودهامس ١٩٥٨)
وتلي، دينس: « الهرب من الخيال » (الناشر ـ هتشينون ١٩٥٩)
: « مخططو وسائل الغش » الناشر ـ هتشينـون ١٩٨٠)
وايتهيد، دونالد: قصة مكتب التحريات الفدرالي . (الناشر ـ ميولير ١٩٥٧)
وايتهاوس، آرج: « التجسس والتجسس المقابل » (الناشر ـ دوبلداي ١٩٦٤)
: « اساطير وملاحم الحرب العالمية الاولى » (النناشر ميولير ١٩٦٤)
ونتر باثم، فريد: « سري وشخصي » (الناشر وليام كمبر ١٩٦٩)
: « سر ألترا » (الناشر ـ وايدنفليد ونكلسون ـ ١٩٧٤)
: « الارتباط المنازي » (الناشر ـ وايدنفليد ونكلسون ـ ١٩٧٨)

(ى)
يونغ، اي. بي.. «الوثائق المجهولة» (الناشر ـ اندريه دويتش ١٩٧٤)

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٢٩٣ لسنة ١٩٨٦

خيط الخداع

اولع بعض الكتاب بقصص الجاسوسية ورجال المخابرات السرية ودورهم في الحربين العالميتين الاولى والثانية فالخيوط الدرامية التي تؤلف بين تفاصيل الأحداث وروح المغامرات الدونكيشوتيه كل هذا وغيره يبعث في نفس القارئ رغبة جامحة في متابعة هذا النمط من القصص.

على أن أغلب الكتاب لم تتوفر بين أيديهم كل التفاصيل كاملة الحلقات، ولهذا عمدوا إلى الوضع والاختلاق بعد أن تاكدوا أن مصادر الأخبار قد حجبت عنهم هذه التفاصيل.

ولعل حكاية الجاسوسة (ماركريت ماكلاود) المعروفة باسم (ماتا هاري) خير مثال لذلك.

مؤلف هذا الكتاب حاول جهده أن يكشف عن حقائق هذه التفاصيل بعد أن أذنت الجهات الرسمية بكشفها.



السعر: ديناران وربع

١٩٨٦


مجلة
حصريات يوليو 2014
www.ibtesama.com/vb